أنيس منصور

أكثر من رأي



أنيس منصور

أكثـــر من رأي



العنــــوان:
أكثــــر مــن رأي

المؤلــــف:
أنيــس منصــور

إشــراف عــام:
داليــا محمــد إبراهيــم

الترقيم الدولي: 1-2337-14-977
رقـم الإيــداع: 13060 / 2009
الطبعـة الأولى: ينايـر 2010

تليفــون: 33466434 - 33472864 02
فاكـــس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

ارحمــوا الفلـــوس!

قابلت بلدياتي د. فاروق العقدة محافظ البنك المركزي وقبل الأحضان والقبلات قلت: إن الأوراق المالية استعادت البهدلة والقذارة، واختفت الأوراق من فئة الخمسة والعشرة جنيهات. وللأمانة لم تبق قوية ومتينة سوى الأوراق من فئة المائتي جنيه – وهي الأقل تداولاً– بيننا؛ ولذلك لاتزال متينة، ومشكلة هذه الأوراق عندما نصرفها، وعقوبة إذا صرفناها فسوف تنهمر علينا الأوراق الزبالة من فئة الجنيه والخمسة!

ويرجو فاروق العقدة من السادة المواطنين أن ينتظروا سنة واحدة، تكون المطبعة التي اشتراها بنصف مليار جنيه قد اكتمل بناؤها ويومها سوف تكون الأوراق المالية من القوة بحيث يمكن استخدامها في تقطيع الجبنة، أما ذات المائة والمائتين فسوف يكون استخدامها في تقطيع اللحم!

وأنا أصدقه، ولكن كل ما ينقصني أنا وبقية السبعين مليونًا هو صبر أيوب عليه السلام.. ومع الأسف لن تكون المشكلة هي الأوراق الورقية أو المعدنية وإنما مشكلة المواطنين الذين يمسحون بالأوراق أيديهم وعرقهم وأفواههم..

وهو يرجو المواطنين أن يرحموا الأوراق المالية التي يتناوبون عليها بالأيدي والأقدام، فنحن الذين نطيل عمرها أو نقصفه..

ولابد أن نتعلم استخدام البطاقات أو الشيكات، أذكر أنني كنت في أمريكا أقف في طابور لكي أدفع قيمة ما اشتريت وإذا بواحد واقف ورائي يقول لي لا تستخدم أوراقًا مالية كبيرة؛ حتى لا يخطفها أحد ويجري، إنهم يستخدمون البطاقات ولا يستخدمون الأوراق المالية إلا نادرًا؛ ولذلك طال عمرها في تداولها بين القارات الخمس..

ولكنها عادة مصرية فريدة أن تتحول الأوراق في أيدينا إلى أوراق من البردي عليها إمضاء فاروق العقدة!

كان مؤرخًا كبيرًا

طبيعي ألا يذكر أحد مؤرخًا مخلصًا متفانيًا مثل د. عبد العظيم رمضان، وقد كان باحثًا جادًا طويل النفس صبورًا وكانت دراسته عظيمة الاحترام، مات الرجل خرست الأقلام، حتى الصحف والمجلات التي كان ينشر فيها أبحاثه لا حس ولا خبر، كأن الرجل ما كان ولا كتب ولا ترك أثرًا عامًا في المثقفين المصريين.

وهو واحد من كبار مؤرخينا الكبار: سليم حسن وابن إياس والجبرتي وعبد الرحمن الرافعي، وقد عايشت د. عبد العظيم رمضان في مجلة أكتوبر ومجلس الشورى والمجلس الأعلى للثقافة، وأشهد أنه كان غيورًا على بلده حريصًا على رأيه، وله مواقف مشهورة مع خصومه المتطرفين في كل لون سياسي وديني في مصر وخارجها..

وكانت له اهتمامات فنية أيضًا: الموسيقى الكلاسيكية والأوبرا، وكان يحب أن يتحدث كثيرًا عنها، وكنا نستمع وسألته مرة: لماذا لا تكتب تجاربك في التذوق الفني، وخطر لنا أن نؤلف معًا كتابًا عن الموسيقار موتسارت، وضاع موتسارت بين هموم لنا كثيرة، وسرنا كل في طريق!

وأسعدني وأهمني وغمني أن تكون مجلة (أريف) الأرمنية هي وحدها التي وضعت صورته على غلافها مع تحية من رئيس التحرير

محمد رفعت الإمام الذي تحدث بحب وسخاء عن عبد العظيم رمضان وأشاد بالسلسلة البديعة التي تولى الإشراف عليها:

سلسلة (تاريخ المصريين) التي صارت كنزًا للأبحاث الأكاديمية ولولاه لظلت مخطوطات في أركان المكتبات الجامعية -وأخشى أن يكون الأستاذ رفعت الإمام قد أسرف في الأمل- وأظنه كذلك!

ولكـــن روسيـــا أجـــرأ

وتسابقت كل الهيئات العلمية في تشخيص الداء.. وزاد نشاط الجواسيس الأمريكان.. ولأن الأبحاث العلمية في أمريكا تتولاها الهيئات والمؤسسات والشركات الأهلية، فلم يعرف العالم ماذا قررت هذه الشركات.. ولكن مؤسسات البحث العلمي هي التي أعلنت وكشفت عن وجهها وعيوبها، فمعهد بروكنجز عظيم الاحترام صدرت عنه دراسات إرشادية لتصحيح مسار البحث العلمي في أمريكا؛ أهم ما قال إن أمريكا ليست دون روسيا. ولكن روسيا أجرأ في اتخاذ القرار؛ لأن القرار له مصدر واحد هو المصدر العسكري. وأمريكا تأخرت ـ لا تخلفت ـ بسبب أن جهات كثيرة لها رأي ودور في توحيد القرار، أو بعبارة أخرى: إن كل نظريات الفيزياء والرياضيات والفلك معروفة لدى الدولتين. ولكن أمريكا دفعها غرورها إلى أنه مادام كل مواطن عنده سيارة وثلاجة وتأمين صحي، فهو قادر على كل شيء، وهذا هو نصف الحقيقة. أما الحقيقة فهي أن العلماء الروس مثل أي مواطن أمريكي لديه كل ما يحتاج وأكثر، وهم الذين يقررون ويدفعون بلادهم ـ وقد فعلوا ـ إلى السماء! والرئيس كيندي عندما أعلن أن أمريكا سوف تبعث بإنسان إلى القمر وتعيده سالمًا، لم يكن أمريكيًا وإنما كأنه روسي، فقد قالها عن يقين العلماء، لا عن يقين الساسة.. والذي قاله كيندي قد قرره العلماء الروس في هدوء ودون أن يدري بهم أحد! وإذا كانت صدمة أمريكا مروعة عندما أغرقت اليابان

أسطولها في هاواي، مما دفعها إلى ضربها بالقنابل الذرية وقتل ربع مليون نسمة في لحظة واحدة. وكذلك كانت صدمتها فادحة عندما هزمتها فيتنام ومات سبعون ألفًا من جنودها، وقد أدت هذه الصدمة إلى انهيار الروح المعنوية لشباب أمريكا سنوات طويلة، فكذلك كانت صدمتها شنيعة عندما سبقتها روسيا إلى الفضاء.

وهذه الصدمات قد أيقظت أمريكا وأطالت أنيابها وأظفارها وقرون استشعارها وميزانيات الصواريخ وسفن الفضاء، والبحث العلمي الرسمي والمدني.. حتى ظهرت رسوم كاريكاتورية عبارة عن سلالم إلى الكواكب وعتبات السلالم من الدولارات!

طبيعي أن يصدقوها!

لقد ظهرت شعارات كثيرة في أمريكا، من أهمها: البحث من أجل التقدم على روسيا، والتقدم من أجل الرفاهية، والرفاهية من أجل السيطرة على العالم..

واتجه الباحثون مباشرة إلى معرفة الخلل الذي انكشف؛ أي أمريكا تعرت تمامًا وظهرت عيوبها.. واتجه الباحثون إلى برامج التعليم في أمريكا فوجدوا أن التلميذ الروسي يدرس الجبر والهندسة والتفاضل والتكامل في المرحلة الابتدائية.. ووجدوا أن الأمريكيين يجهلون اللغات الأخرى، وأنهم يعتمدون على أن كل المعلومات مترجمة إلى لغتهم الإنجليزية، ثم إنهم يكتفون باتساع وثراء بلادهم ويجهلون الدنيا كلها –وليسوا مشغولين مثلنا باتحادات الطلبة ومشاركتهم في إدارة نشاطهم الرياضي وليس بتطويرهم علميًّا وثقافيًّا لأسباب أمنية!! وفي دراسة لأديب الرحلات جون جنتر يقول إنه في زيارة لإحدى المدارس في موسكو أذهله أن التلاميذ الصغار إلى جانب معرفتهم وعشقهم للأدب الروسي يضعون الجداول النووية في جيوبهم.. ويجدونها على ظهر الكراريس بدلاً من نصائح: اغسل يديك قبل الأكل وبعده.. ومن أهم معالم الفلسفة الماركسية أن الفردوس المفقود سوف يجدونه في نهاية التاريخ عندما تنهار الرأسمالية الأمريكية في العالم وعندما تملك الطبقة العاملة كل شيء، وعندما تتلاشى كل التناقضات في المجتمع وتتوقف عجلات

التاريخ؛ لأن التاريخ قد بلغ نهايته عندما يتحقق فردوس الطبقة العاملة- أي أن روسيا تعمل على إعلاء الشيوعية والعدالة الاجتماعية في كل الدنيا على جثة الرأسمالية الأمريكية المتوحشة..

يعني أن الطريق إلى ذلك هو الدوران حول الأرض والنزول على القمر والإقامة في المريخ. وإن هذا ممكن. وقد أمكن للكلبة لايكا ومن بعدها جاجارين وفالنتينا.. ولا شيء يدل على مصداقية روسيا إلا الذي حققته على مرأى من الدنيا كلها.. انتصارًا بعد انتصار وأمريكا لاتزال تتخبط في الكونجرس والبيت الأبيض وتوزيع التهم على كل مسئول.. ولكن الاتحاد السوفيتي في القمر وأمريكا في الأرض!

أنـا جنـدي بسيــط!

أما انتصار الانتصارات فقد حدث في يوم 12 إبريل سنة 1961؛ فقد أطلق الروس إنسانًا إلى الفضاء الخارجي؛ إنه الميجور يوري جاجارين.. أطلقوه من قاعدة «بايكنور» في كازاخستان.. فقد حملته السفينة «فوستوك» (الشرق) ليدور حول الأرض مدة 108 دقائق بسرعة 17 ألف كيلومتر في الساعة.. طبعًا هنأ الزعيم خروشتستيف رائد الفضاء جاجارين.. واستمع إلى صوت الزعيم الروسي أول رائد فضاء في التاريخ.. لما أرسل له برقية من منتجع له على البحر الأسود.

وأعلنت روسيا أن جاجارين هو أحدث أبطال الاتحاد السوفيتي.. وعاد جاجارين سالمًا إلى الأرض.. وهذا انتصار آخر.. فقد كان المعتقد أن أحدًا إذا طار لا يعود.. تمامًا كالكلاب والقرود والحيوانات الصغيرة.

والروس قد دربوا جاجارين (27 سنة) على هذه الرحلة سنتين في البر والبحر والجو وفي الضغوط المختلفة وفي انعدام الوزن.. ولم يكشف الروس عن الدروس المستفادة ولا عن المشكلات الرهيبة التي تغلبوا عليها.. أما أن الروس في السماء والأمريكان في الأرض فلا شك في ذلك.. فهل الأمريكان قد تلقوا الهزيمة حالمين صامتين نائمين؟ الجواب: لا.. وإنما دبت الحياة والسخط والغضب والرغبة في الثأر في كل الهيئات العلمية والعسكرية والسياسية.

وفي الوقت نفسه، تزاحمت النياشين على صدر جاجارين من كل دول العالم.. واستعد السوفيت للاحتفال بالبطل في الميدان الأحمر وفي داخل الكرملين.. ثم أرسلوا جاجارين إلى العواصم العالمية لكي يراه الناس ويتفرجوا على هذه الأعجوبة وعلى العظمة العلمية لروسيا.

وكان جاجارين يتأمل الحفاوة البالغة بقوله: لست أنا الذي اخترع الصاروخ ولا السفينة.. إنهم العلماء.. أما أنا فجندي بسيط.. وحاول جاجارين الساذج أن يرد تحية الحزب الشيوعي وفروعه في كل روسيا فقال: إنه صعد فوق ولكنه لم يجد الله (مؤكد شاب جاهل).. فهو لم يصعد إلا بضع مئات من الكيلومترات! في فضاء أبعاده ملايين ملايين.. إلى آخر الصفحة من الكيلومترات! كلها تؤكد عظمة الله التي لم يرها!

كسبوا الطريق إلى القمر!

في سنة 1957 ذهبت إلى بروكسل أتفرج على المعرض الدولي، طبعًا روسيا هي وجهة كل الناس، فصوت (بيب بيب) يتردد في كل جنبات المعرض وصورة القمر الروسي الصغير قد ظهرت على مدخل الجناح الروسي، ولكن العيون كلها اتجهت إلى الكلاب التي عرضها الروس، وكان الناس يسألون و(الروس في ذهول) إن كانت هذه الكلاب هي أخوات لايكا.. والروس يضحكون فهم لا ينظرون إلى الكلاب مثل هذه النظرة الرومانسية، إنها كائنات أجريت عليها تجارب وماتت، وسوف يحدث لغيرها أيضًا، ثم أطلق الروس قمرًا به كلبتان أيضًا، والتف الملايين حول الكلاب ومدربي ومدربات الكلاب يلتقطون الصور التاريخية..

وعلى الرغم من أن الإنجليز قد عرضوا اختراعات باهرة وكذلك الأمريكان والألمان، ولكن روسيا استولت على كل العيون والعقول في ذلك الوقت..

وقد أحست روسيا أن معركتها مع أمريكا لم تنته؛ ولذلك أرسل الروس صاروخًا إلى القمر يوم 12 سبتمبر سنة 1959.. الصاروخ لونيك (1) وبعد ذلك لونيك (2).. وعرض الروس لأول مرة في التاريخ صور الوجه الآخر للقمر.. وكان جبالاً وهضابًا ووديانًا سحيقة..

واستخدمت روسيا صاروخًا متعدد المراحل ينطلق بسرعة 11 كيلومترًا في الثانية لكي يفلت من جاذبية الأرض..

وشاء الروس أن يتزامن الوصول إلـى القمر مـع زيـارة نـيكيتا خروشتستيف إلى أمريكا.

وأعلن خروشتستيف أنه لا خوف من الهبوط على القمر، ولن تعلن روسيا أنها تملك القمر؛ لأنـها أول من وصل إليه وأسقط عليه صاروخًا قد ارتسم عليه العلم الروسي: المنجل والمطرقة..

والروس يهنئون أنفسهم وكذلك الدول الشيوعية؛ لأنـها قد كسبت السباق إلى الفضاء الخارجي.. وإلى القمر!

وأنقذهم الألمان!

وقبل أن تفيق أمريكا من هذه الصدمة الموجعة، حقق الروس انتصارًا أعظم، ففي 3 نوفمبر 1957، أي بعد شهر واحد، أطلق الروس قمرًا به كائن حي: الكلبة «لايكا» أطلقوها من قاعدة بايكنور، وأعلن الروس أنه من الصعب إعادتها إلى الأرض، حتى الاسبوتنك لا يزال حتى الآن يدور في الفضاء، واختفت الكلبة لايكا وماتت من الخوف أو من الجوع أو منهما معًا. وهاجت كل جمعيات الرفق بالحيوان، ولكن الروس أعلنوا أنها ماتت فداء للبشرية مثل ملايين الحيوانات التي تموت في المعامل. وكان وزن هذا القمر 558 كيلوجرامًا، وقد انطلق هذا القمر وروسيا تحتفل بمرور أربعين عامًا على الثورة الشيوعية، وكان على ارتفاع 1500 كم من الأرض وبسرعة ثمانية كيلومترات في الثانية، ويدور حول الأرض مرة كل 42 دقيقة.

ولم يكتف الروس بهذا النصر الباهر، وإنما نشروا مكونات هذه الأقمار واسم الأجهزة العلمية التي علقوها في كل جزء من جسم الكلبة لايكا، وكذلك عشرات من حيوانات المعامل التي رافقتها حول الأرض.. وأعلن الروس أنهم سوف يجدون حلاً لمشكلة العجز عن استعادة سفن الفضاء بعد أن احترقت سفينة الكلبة لايكا وهم يحاولون استردادها، وسقطت السفينة رمادًا بالقرب من جزر بربادوس يوم 14 إبريل سنة 1958..

أما الذي أصاب الأمريكان فلم نعرفه إلا فيما بعد؛ فقد أصيبت كل الجامعات والهيئات العلمية ومهندسو الفضاء بصدمة عنيفة، وأصابهم وجوم، وطلبوا من العلماء الألمان أن يتداركوا الكارثة وكان الألمان على أتم الاستعداد، واعتمد لهم الكونجرس ما يحتاجون إليه من مال، وانطلق أول صاروخ بنجاح، وثاني صاروخ واحترق. ولكن الأمريكان قد استعادوا عافيتهم، واحتشد العلماء في كل مجال يبحثون ويحللون ويوزعون التهم، ولكن الأصابع كلها اتجهت إلى الكونجرس؛ فهو الذي عوق مسيرة العلماء إلى السماء.

ومن يوم 4 أكتوبر سنة 1957، لم يعرف الابتسامة أحد في أمريكا!

إنقاذهـا مـن العـار!

والأمريكان يلعنون اليوم الذي ذهبت فيه البارجة ليشرب جنودها الماء؛ لأنها أيقظت الشيطان الياباني الذي صحا ولم ينم.. ولن ينام..

أما صدمة الصدمات في القرن العشرين، وهي نموذج رفيع للاستفادة من الصدمات، فعندما فوجئ العالم كله، وأمريكا بصفة خاصة، بأن روسيا في 4 أكتوبر سنة 1957 قد أطلقت أول جسم من صنع الإنسان ليكون قمرًا يدور حول الأرض. هذا الجسم هو الذي اسمه بالروسية (اسبوتنك) ومعناها: رفيق الطريق أو التابع.. التابع للأرض يدور حولها مرة كل 89 دقيقة وعلى ارتفاع 950 كم وبسرعة 26 ألف كم في الساعة ووزنه 83 كيلوجرامًا. وكان صوته (بيب بيب) قد زلزل الدنيا. وقد أنتجت المصانع الأمريكية واليابانية ما لا نهاية له من اللعب لهذا الصوت الذي تأكد للأمريكان أنه صادر من السماء!

في الوقت الذي انطلق فيه الاسبوتنك حول الأرض كان العلماء الروس والأمريكان يتناقشون في الذي يجب أن يعملوه في الاحتفال بالسنة الجيولوجية. صدمة لأمريكا لم تمنعها من تهنئة العلماء الروس. أما العلماء الأمريكان ورجال السياسة ورجال الاقتصاد فقد أصابهم حزن شديد: كيف أن دولة شيوعية متخلفة جائعة تحقق هذا النصر الفريد في التاريخ؟

وإذا كان الروس قد مسحوا بالأمريكان الأرض، فإن الأسرى الألمان قد رفعوها إلى السماء. فالأمريكان قد استولوا على قاعدة الصواريخ الألمانية، وأسروا كل من فيها من علماء ومهندسين ومخترعين، وفي مقدمتهم فون براون مخترع الصاروخ الذي ضرب لندن.. وهذا الصاروخ قد أعده فون براون لحمل أقمار صناعية إلى السماء.. واعترض الكونجرس على المشروع ورأى فيه إهدارًا للمال بسبب أفكار ألمانية مجنونة!

وفزع الرئيس أيزنهاور، ولكنه قال للشعب الأمريكي: مبروك على الروس. ولكن لا خوف منهم علينا. سوف نتخذ لنا مكانًا في السماء!

وانعقدت عشرات اللجان العلمية والسياسية والاقتصادية لإنقاذ أمريكا من العار القومي!

الإنســان يولــد سليمًــا!

وعلينا نحن المصريين أن نتأمل ما قاله الأقدمون عن الأطباء المصريين: إن الأطباء المصريين هم أعظم الأطباء في هذا الزمان. وإن هذا العالم المريض علاجه في مصر وحدها..

وقالوا إن الطبيب المصري لا يلجأ إلى السحر والخرافات في التشخيص والعلاج. ولم يكن الأطباء يستخدمون الأعشاب والعلاج بها، وكان ذلك متفشيًا في العالم القديم.

والدليل على ذلك تلك البرديات الشهيرة باسم برديات ادوين سميث (1600 ق.م)؛ هذه البرديات طولها خمسة أمتار، وهي خاصة بالجراحة، وقد جاء فيها تسجيل لحوالي 480 عملية جراحية في الرأس والعنق والكتفين والقفص الصدري. وقد توقف كاتب هذه البرديات فجأة.. فلم يكمل عبارته عن الحنجرة.. وهذه البرديات تشخص الحالة وتكتب لها العلاج..

وهناك (برديات ايبرز) وطولها عشرون مترًا وعرضها 30سم.. وهي تعالج أمراض العين والجلد وآثار العمليات الجراحية. وفي هذه البرديات مصطلحات طبية، وجاءت في هذه البرديات 877 روشتة و400 عقار..

وكان الفراعنة يعتقدون أن الإنسان يولد سليمًا ثم يصير مريضًا. أما أسباب المرض فكلها من الخارج.. من حياته أو من الأرواح

الشريرة.. ورغم هذه المعتقدات فإن الطبيب لديه معلومات متقدمة جدًّا عن الدماغ وعن القلب والدورة الدموية والنبض.. ولماذا يسرع ولماذا يبطئ!

وأخطر من هذا كله أن الطبيب المصري يظل يقلب في جسم المريض، ثم يسأله كثيرًا عن حياته وطعامه وشرابه وعمله ويسأل أفراد الأسرة أيضًا عن الذي حدث قبل يوم أو يومين، ثم بعد ذلك يشخص ويصف الدواء. ويعود الطبيب إلى المريض يسأله عن أثر الدواء بعد يوم أو يومين. وكثيرًا ما قام الطبيب بتغيير الروشتة.. وفي كل الحالات يطلب من المريض أن يلزم الراحة ثم يلتفت إلى أهله ويطلب إليهم أن يساعدوه على ذلك!

بوش هو سبب التأخير!

لابد من استئناف الكلام عن (البحث العلمي) فالقضية خطيرة والسكوت عنها جريمة، صحيح ليس هذا هو المكان المناسب، فالكلمات قليلة، لكن المقالات هنا تشبه أصابع صغيرة تشير إلى الهرم الأكبر ولابد أن يشير أحد إلى شيء ولابد أن يقول من هنا ولابد أن يقول قف عندك قل كلمتك وامش، ثم عد إلى مكانك وقل مرة أخرى وثالثة ورابعة، وقد غضب مني كثيرون في مصر وفي الخارج عندما نقلت أصوات من يقول لي: بلاش وجع دماغ.. دماغي ودماغ القراء، فلا أمل في صلاح أو إصلاح ومن يقول إن شعار الحضارات الإسلامية هو المئذنة والأذان خمس مرات في اليوم من كل مسجد وليكن هذا هو الشعور: الأذان والدعوة إلى الصلاة والإصلاح.. فليكن!

سؤال في مجلة (العالم الأمريكي): هل أمريكا حقًّا في قمة التكنولوجيا؟ الجواب: نعم.. هل أمريكا أكثر الشعوب تقدمًا في الأبحاث النظرية والتكنولوجيا؟ الجواب: لا..

فقد سبقتها اليابان وكوريا الجنوبية وهونج كونج وكثير من الدول الأوروبية؛ فاليابان تقدمتها في صناعة السيارات والإنسان الآلي والبحث العلمي، وكندا تقدمت العالم في صناعة الطاقة والوقود، والهند يتخرج في جامعاتها عشرة أمثال الذين يتخرجون في أمريكا من المهندسين في كل التخصصات، والصين تزحف

وسوف تتقدم، وقد تقدمت أمريكا في العلوم والتطبيقات العلمية، وقد وضعت خططًا طموحة وتؤكد أنها سوف تبلغها سريعًا.

وتقول المجلة إن أمريكا فقدت مكانتها في كثير من المعارض الدولية، صحيح أن جامعات أمريكا هي في القمة، ولكن الجامعات الأمريكية ليست أحسن من جامعات اليابان وألمانيا التي هي أعمق دراسة وأكثر إبداعًا.

ويكفي أن تقرأ ما عرضته اليابان وكوريا الجنوبية وألمانيا عن مستقبل البحث العلمي فيها لتجد أن هذه الدول مهمومة بما وصلت إليه، ومهمومة أكثر بأهدافها البعيدة، وأن هذه الجامعات لم تعد تتخوف من الجامعات الأمريكية، وإنما من اليابانية والهندية والصينية وهونج كونج وكوريا الجنوبية؛ ولذلك ففي أمريكا صيحات تقول: إن الرئيس بوش مسئول تمامًا عن تعويق التسارع الأمريكي نحو المقدمة، وإن دولاً صغيرة قد سبقت أمريكا بخطوات واسعة!

الحل: زواج السادات من جولدا!

جاء من إسرائيل عدد من المدرسين طلبوا مقابلة الرئيس السادات لأمر مهم، وكان الأمر المهم أنهم يريدون أن يعرفوا رأي الطفل المصري في السلام. وفي السلام بين مصر وإسرائيل، والمطلوب أن يذهبوا إلى إحدى المدارس الابتدائية، ويوزعوا على الأطفال ورقًا وأقلامًا وينتظروا حتى يرسم الأطفال تصورهم للسلام، وللسلام بين مصر وإسرائيل، ووافق الرئيس السادات، ولكن وزارة التربية والتعليم تشككت، وبعض المسئولين وجدوها مناسبة للتسلل والاختراق والتجسس والتنصت إلى آخر المرادفات التي تدل على سوء الظن.

وبعد شهرين جاءني هؤلاء المدرسون ومعهم لوحات، تسعون لوحة –رسمها أطفال في مدارس مختلفة من إسرائيل عن السلام الذي يرونه، أو يحلمون به، واللوحات قد امتلأت بصور الحمام الأبيض، والمزارع الخضراء، ومداخن المصانع، وصور للأهرام التي يتمنى الأطفال أن يروها، وصور للسكك الحديدية بين البلدين، وأغصان الزيتون التي ثمارها حمائم السلام، وصور لساحات القتال تحولت فيها البنادق والمدافع إلى أشجار وثمار وأزهار..

أما الأطفال –بنين وبنات– فدون العاشرة، وهناك لوحات أخرى مكتوب عليها بالعبرية والعربية والإنجليزية كلمة «السلام».. وبعض آيات من الكتاب المقدس يمشي فيها الذئب إلى جوار الحمل، وكل

الطائرات لونها أخضر.. أو لونها أبيض.. ومقدمة الطائرات عبارة عن وجوه ضاحكة..

وطلب المدرسون أن يقام هذا المعرض في مصر؛ لتعريف المصريين والطفل المصري كيف يرى أطفال إسرائيل السلام، وعرضت اللوحات على الرئيس السادات، وأعجبته الفكرة وكنت قد أخفيت وراء ظهري إحدى اللوحات التي رسمتها طفلة، فلم يكد الرئيس السادات يراها حتى تساقط من الضحك ونادى السيدة جيهان السادات لترى، فقد تصورت طفلة أن الحل الوحيد للسلام هو أن يتزوج السادات جولدا مائير!

يتدربـــون صغـــارًا..

المصريون في الخارج أكثر اهتمامًا واغتمامًا بحالنا، ولا يعرفون كيف أننا لم نسارع إلى نشر (الوعي) العلمي، وليس الوعي الخرافي بين الطلبة، ويرون أن البداية في رياض الأطفال وما بعدها. وقد تلقيت رسالة طويلة من الأستاذ يحيى البدراوي المغازي أستاذ الإحصاء وضبط الجودة في جامعة أوبرن بولاية آلاباما الأمريكية، يقول إن ابنه الصغير (8 سنوات) جاءه بمشكلة، فقد طلبوا منه أن يتقدم بمشروع لتقليل آثار الإعصار كاترينا والطفل لا يعرف وأبوه أيضًا، ولكنه ظل يفكر ويسمع ويناقش؛ فرسم جدرانًا وسدودًا وجسورًا لمنع وصول المياه إلى الشاطئ.

يقول الأستاذ المغازي إن البداية يجب أن تكون في المراحل الأولى للتعليم؛ مرحلة ضبط عدسات الرؤية وجلاء السمع والبصر. وبالطريقة العلمية، فالطفل يجب أن يشارك ولا يكتفي بالفرجة على المصائب في التلفزيون بل يجب أن يغلق التلفزيون ويفكر في حل الأزمة، في علاج المرض.

وتقول د. أماني الرشيدي من هيوستون إنها فوجئت بابنها الصغير وقد جلس مع أربعة آخرين، وقد أغلقوا عليهم باب الغرفة ويتحدثون عن حل لمشكلة فلسطين. واندهشت. ففوجئت بأن المدرسة الابتدائية قد أعطتهم ورقة مطبوعة تتحدث عن الخلافات التاريخية

والجغرافية بين إسرائيل وفلسطين وورقة أخرى فيها الحروب بين العرب وإسرائيل، وضياع حقوق الشعب الفلسطيني. وصعوبة أن يكون سلام بينهما. والمطلوب من هؤلاء الأطفال أن يجدوا حلاً. وجلسوا وراحوا يفكرون في حل والأطفال كلهم دون العاشرة. والمطلوب أن يتفقوا فيما بينهم على صيغة.

وإذا لم يتفقوا فلابد أن يعرض كل واحد رأيه على المدرس غدًا!

لابـــد مـــن صدمـــة

جاء علينا حين من الدهر كان من الضروري أن نفيق.. أن نقف إن كنا جالسين.. أن ننهض وأن نجري، وأن ننافس وأن نتقدم.. ولكن نحن فوتنا هذه الفرص على أنفسنا عندما جاء الطهطاوي، وعندما استأنف النهضة العقاد وطه حسين والحكيم. لقد اهتزت مصر ولم تتقدم.. وإذا كانت قد تحركت في الآداب والفنون فلم يكن للعلوم نصيب من ذلك.

وكما يحدث للأفراد يحدث للشعوب.. فلابد من صدمة لكي يصحو النائم، ولابد من صدمة ليستعيد ذاكرته أيضًا.. والشعوب كذلك.. لابد أن يصدمها شيء.. فترى عالمًا جديدًا مختلفًا عن عالمها القديم.. وأهم من ذلك أن تدرك أن شعوبًا أخرى قد سبقتها.. وأن تواجه عيوبها وألا تسكت عنها.

وجاءت الهزيمة العسكرية: صدمة.. وجاء النصر العسكري: صدمة.. وقد أدت صدمة الهزيمة إلى الإحباط.. وأدت صدمة النصر إلى النشوة.. ولكن لم نذهب إلى أبعد من ذلك في كل مجالات العلم والأدب والفن.

أما أعظم صدمة في القرن التاسع عشر فهي صدمة اليابان التي أدت إلى «الثورة البيضاء» الوحيدة في كل حالات الغضب النبيل في تاريخ البشرية.. فقد وقفت بارجة أمريكية في ميناء طوكيو.. ورأى

اليابانيون أن عليها مدافع.. وكانت أول مرة يرون فيها ذلك.. وعليها جنود يرتدون زيًّا موحدًا أبيض.. ولأول مرة يعرفون ذلك.

أخطر من كل ذلك أن الشعب الياباني أحس أنه جاهل.. وأن هذه حالة لا سكوت عليها.. ولابد من العلم.. وكان السؤال الأكبر: هل يذهبون إلى الخارج يتعلمون ويعودون يعلمون الشعب؟ أو هل يأتون بالخبراء من كل الشعوب يعلمون المئات الذين سوف يعلمون الألوف؟ وقبل ذلك كان لابد من إيفاد عشرة من المثقفين يسافرون ليروا الدنيا ويعرفوا مدى احتياج الشعب الياباني ليكون شعبًا آخر.. فوجدوا أنه لابد من الإنجليز ليبنوا لهم السكك الحديدية والتليفونات.. ومن الفرنسيين ليضعوا لهم الدستور والقوانين.. والألمان لبناء المستشفيات وصناعة الدواء.. والإيطاليين ليعلموهم الموسيقى والرسم.. والأمريكان ليبنوا لهم المدارس ويضعوا لهم برامج التعليم.

وتعلم اليابانيون سرًّا.. وكانت المفاجأة الكبرى عندما التقى الأسطول الياباني بالأسطول الروسي في بحر اليابان.. وأغرقه اليابانيون.. هنا فقط عرف العالم أن دولة شابة قد اتخذت مكانها في التاريخ الحديث!

شخصيـــة جـــدًا!

كـان رئيس وزراء بريطـانيـا تونـي بلير أعجوبة الدنيا؛ عندما أعلنوا أنـه سوف يصبح أبًـا! وتساءل الخبثـاء: كيف يجدون الوقت؟

إنهم وجـدوا الوقت وجـاء الـولـد.. ولـم تكن هـذه هـي المفـاجـأة الوحيدة. المفـاجـأة الأخرى أن زعيم حزب العمـال قرر أن يـأخذ إجـازة وضع؛ أي وضـع زوجتـه لمولودهـا، وأنـه يجب أن يكون إلـى جوارهـا. إجـازة من حكم بريطـانيـا.. فـالإجـازة حق. وجـاءت الفرصة ولا يستطيع أن يكون أبًـا متفـانيًـا ورئيس وزراء فـي نفس الوقت. وهـاجموه. ولكنه أصر. وهددوه ولكنـه تمسك بحقه وحيـاة ابنـه. ولمـا نـاشدت الحكومة أطفـال الشعب الإنجليزي أن يتعـاطوا لقـاح شلل الأطفـال، نشرت الصحف أن ابنـه هو المولود الذي لم يفعل ذلك..

وقـالوا: إشمعنى!

ولم يشأ رئيس الوزراء أن يرد، ثم قـال: إنهـا مسـألة شخصية جدًّا. وليس من حق أحد أن يقتحم خصوصيـات ابنـه..

ربمـا كـان السبب ان ابنه عنده حساسية لبعض العقـاقير. وهذا شأنـه. وليس من حق أحد أن يعرف ذلك. والأمر متروك للابن عندمـا يكبر أن يفصح عن امتنـا ع والديه عن إعطائه هذا العلاج..

وكـانت المفـاجـأة الكبرى لمن سوف يصبح أبًـا أن يحصل على إجـازة ستة أشهر مدفوعة الأجر ليبقى إلى جوار المولود ـ هذا إن رأت

الأم أن تواصل عملها.. أما إذا لم تستطع الأم أن تعمل والزوج أيضًا؛ فمن حقها أن تأخذ إجازة سنة مدفوعة الأجر. هذا قانون سوف يكون ساري المفعول بعد سنتين. ولا يهم موقف الشركات والمؤسسات. وإنما هذا قانون. انتهى!

والفلسفة وراء ذلك أنه ليس أعظم ولا أروع من إنتاج وإبداع مواطن صغير. ولابد للدولة أن توفر له كل ظروف الحياة السليمة ليكون صحيح البدن سليم النفس متوازن العقل والقلب. ومن أجل هذا المواطن النموذجي فلن تبخل عليه الدولة بهذه الحضانة: حضانة الأب والأم. فقد عاشت الشعوب الأوروبية ويلات الابن الذي مات أبوه أو ماتت أمه.. أو اختلف الاثنان وتمزق الطفل -عظيم الاحترام!

أجنبيـة فـي لغتنــا!

أتـابع إحدى هواياتي وهـي البحث عن الأصل الفصيح للكلمات العامية.. أو الكلمات الأجنبية التي دخلت لغتنا واتخذت أشكالاً أخرى ـوأهمية هذه الهواية أنها تدلنا على كيف اخترع الإنسان اللغة لتفي بحاجتنا اليومية..

تقول: أرم ويـؤرم وشخص مـارم.. وكلمة أرم فصيحة ومعناها أكل.. أرم الطعام: أي أكله بسرعه. وتقول: أرمه في ذراعه، أي عضه في ذراعه..

وكلمة: اش يؤشش أشـا.. أي أنـه تحـرك بسرعـة واستولـى على كل شيء.. ونحـن في الكوتشينـة نقـول: إن الولـد يـؤش أي يأخذ كل شيء..

واليـافوخ هو النـافوخ.. ونقول عندما ندعو على شخص: الإل وتعب السر. والإل: السرعة والاضطراب في المشي أيضًا. فنحن ندعو عليه بالتعب والاضطراب وقلة الراحة..

ونقول: برطم. وهي فصيحة؛ لأن معناها البؤس والغضب. وهذا واضح في ملامح الوجه وفيما يقول كل إنسان يبرطم.

ونقول: بلبط في الماء.. وهـي فـي الأصل بربط أي يعزف على آلة مثل العود وهي كلمة فارسية بمعنى تحريك الأصابع واليد.. وبلبط ليفعل نفس الشيء ولكن بقدميه في الماء..

ونقول بطحه: أي أصابه في رأسه وسقط على الأرض. والكلمة فصيحة ومعناها ألقاه على الأرض فانبطح..

ونقول: حدوة الحصان. وهي فصيحة. فهي في الأصل حذوة أي قطعة من الجلد.. أو أي شيء آخر.. توضع على قدم الحصان حماية له..

ونقول: حز في نفسه ـأي تأثر حتى توجع. وأصلها حذ في نفسه أي ترك أثرًا موجعًا.. وحذ في جلده أي ترك أثرًا مؤلمًا..

ونقول: فلان حدق ـبكسر الدال أي شاطر وبارع.. والكلمة أصلها حذق والحذق ـبكسر الحاءـ أي الشطارة والبراعة..

أما الكلمات الأجنبية الموجودة في العامية، مثل الشكربين أي الجزمة أو الشبشب فهي إيطالية الأصل: اسكاربينا.. والتراسيناـ أي الأرض الصغيرة أو الساحة الصغيرة من الأرض.. وهي البلكونة.. والبلكونة كلمة فرنسية أو إنجليزية.. والترابيزة أي الطاولة التي لها ثلاث أرجل.. والطاولة كلمة إيطالية: تافولا.. أصلها لاتيني: تابولا.. وغيرها كثير!

بـل عنـدنـا أبحـاث!

ومن مـائة وخمسين رسـالة سوف أختـار رسالة بـاحثة في المركز القومي للبحوث: أشكر لسيـادتكم اهتمـامكم بـالبحث العلمي في مصر؛ فهو يمثل الأمل في اللحـاق بمن سبقونـا من الأمم المختلفة وأرجو عدم اليأس فـالحل يكمن في اتبـاع سياسة البحث العلمي الموجه مثل إنتـاج منتج معين بمواصفـات محددة أو تطوير منتج آخر لينـافس المستورد.

فـالأمر ليس صعبًا حيث توجد بـالفعل آلاف الأبحـاث بـالمركز القومي للبحوث وعند تكليف البـاحثين بحل مشكلة معينة بشرط أن يكون ذلك عن طريق جميع بـاحثي التخصص لأن كل بـاحث يكمل عمل البـاحث الآخر ولكنهم يفتقدون همزة الوصل بينهم؛ لذلك فـإن وضع خطة للبحث العلمي الموجه والمكلف لـهم جميعًا بـالعمل في فريق عمل مثلمـا يحدث في الدول المتقدمة يجلب الكثير من همزات الوصل التي تفتش في الأبحـاث القديمة وتدعمها بـالأبحـاث الجديدة.

إيمـان عبد القـادر
بـاحثة بـالمركز القومي للبحوث

ونفس المعنى قـالته د. منة الله المسلمـاني من ميونيخ بألمـانيا: أقترح موضوعًـا حيًّا، فنحن في رمضـان الكريم والأسواق المصرية كمـا قـرأت قد امتـلأت بـالمنتجات الصينية: السبح والسجاجيد

والفوانيس والفول المدمس والتماثيل الفرعونية.. وليس هناك تحدٍّ أعظم وأعنف من هذا.. إنهم على ملعبنا وقد تفوقوا علينا. لماذا؟ هذه هي القضية كيف نواجه هذا الزحف متفرجين. يجب أن نتخذ موقفًا علميًّا. الآن وليس غدًا.

إن الألمان في مدارسهم لا يزهقون من عقد ندوات لتشجيع الطلبة على المنافسة وتطوير كل المنتجات لمواجهة أمريكا واليابان والصين.

ومن د. محمد المهدي فرانكفورتر (ألماني قد أسلم) يحكي قصة مصري كان في برلين وكان صاحب سيرك. وهذا السيرك قد أعجب به هتلر. هذا الرجل استطاع أن يخترع شبكة كهربية لربط جوانب السيرك.

هذه الشبكة استخدمها الألمان وطوروها بعد ذلك. هذا الرجل نموذج للعقلية العلمية ولكنه أخطأ الطريق لأن يكون مخترعًا كبيرًا. فالبداية هي أن يكون كل من التلميذ والطالب أو الأستاذ إيجابيًّا!

اللـــه أكبـــر في مالطـــة!

قرر القراء هذا الأسبوع تعييني مؤذنًا في مالطة -لم يكن هذا رأي قــارئ أو باحث واحــد وإنـمــا عشرات.. وأمـــام رغبـات القراء وإلحـاحهم يجب أن ألملم هدومي وأسافر على أقرب طائرة وأؤذن هناك- لعل وعسى!

ومن رأي كثيرين أن الأذان واجب في أي مكان سواء سمعني الناس أو لم يسمعوني. سواء استجاب أحد أو لم يستجب. والقرآن الكريم يقول: لست عليهم بمسيطر!

وتلقيت رسائل من أساتذة وأولـيـاء أمـور يشيرون إلــى الكتب المدرسية سيئة الطبع رديئة الأسـلـوب.. وبـها أخـطـاء في النحو والصرف.. ومنذ أيام نشرت الصحف أن بـهـا أخطاء علمية فـادحة فقد كتبـهـا مدرسون وراجعـهـا مفتشون.. وحتى لو كتبوهـا بـأسلوب متطور، فمـادام غير مفهوم فكـأنـهم مـا كتبوا..

وتلقيت من أ. د. عبد الحميد محمد عبد الحميد أستـاذ إنتـاج الحيوان بكلية زراعــة المنصورة أن بـاحثة هي د. منـال إبراهيم الحريري.. قد سرقوا أبـحـاثـهـا وظهرت بـأسمـاء أساتذة آخرين -عيني عينك. وبعثت بشكواهـا لرئيس الجـامعة والعميد وكثير من الهيئـات العلمية تشهد الجميع على السرقة الشنيعة. ولكنهم «هــي وهو وغيرهمـا» أيضًـا مطلوب منـهم الأذان في مـالطة..

وإذا كان الأذان في مالطة أصبح هدفًا قوميًّا، وأمانة علمية فلا أمل في أي شيء جاد في مصر.

ومادام اللص لا يعاقب، لأنه لا يوجد في بلادنا قانون لمعاقبة اللصوص والمنحرفين والغشاشين والمرتشين.. ولكن في مصر دوائر معارف للقانون الجنائي وكل أنواع القوانين إذا كان اللص قد سرق رغيفًا؛ فسرقة رغيف عندنا أهم من سرقة بنك.. والرغيف أبو عشرة قروش أغلى على الدولة وأعظم من سرقة عشرة وعشرين ومائة ومائتي مليون... إلخ.. الأذان في مالطة!

كائنات أخرى...

أنقل إليك خلاصة بحث طويل للفلكي المعروف شوكسنتال، الموضوع: إن كانت هناك كائنات أخرى في الكون.

الجواب: من المنطقي أن تكون هناك كائنات، ولكن نحن لا نعرف أين.. ولا طولها ولا عرضها ولا شكلها، ولا إن كانت تمشي على ساقين أو أربع أو أكثر.. فليس من الضروري أن تكون الكائنات العاقلة مثل الإنسان.. فالحيوانات الأخرى ليس لها شكل واحد وكذلك النباتات، ومع ذلك لا يستطيع أي عالم فلكي أن ينفي أن تكون شبيهة بالإنسان، وليس من الضروري أن تعتمد على الأوكسجين في تنفسها..

وكل ما يحاوله العلماء الآن، هو أن يصوبوا الهوائيات الضخمة إلى نجوم في السماء لكي يسمعوا أو يتنصتوا، فلابد أن هناك اتصالات ما بين هذه الكائنات، وفي بعض الأحيان تلتقط الهوائيات موجات عالية التردد، وليست هي أصوات النجوم أو الأصوات الكونية المألوفة، ونحن لم نبعث بأية رسائل، ولا هي بعثت لنا، ولا نعرف إن كانت هناك ضرورة لذلك، أما نحن فنريد أن نعرف، ولا تزال وسائل المعرفة ضعيفة، ولكننا لا نتوقف..

ولو حاولنا أن نبعث برسالة صوتية فسوف تحتاج إلى خمسة قرون، يعني إذا قلت: ألو.. فسوف نتلقى الرد بعد ألف سنة، حتى لو كانت الرسالة بسرعة الضوء الذي هو 186 ألف كيلومتر في الثانية..

ولا أحد يستطيع أن يعرف إن كانت لهذه الكائنات أية علاقة بالأطباق الطائرة؛ لأن الأطباق الطائرة لغز لم نجد له حلاً، ولا نحن قادرون على إنكاره أو إثباته، وأمام علماء الفلك ظواهر كثيرة وغريبة وعجيبة.. ولابد من التفكير في أسبابها وهذا يحتاج إلى وقت طويل..

والإنسان لا يخاف من الذي لا يعرفه.. وإنما هو يحاول أن يعرف، أن يفهم، ولكن لا مبرر من خوف من لا نعرف.. فنحن أمام ظاهرة غريبة علينا، ولن ندخر جهدًا أو مالاً أو وقتًا لكي نمضي في المعرفة مهما كلفنا ذلك..

وليس من طبيعة العقل الإنساني أن يتوقف في محطة الأتوبيس، في انتظار سكان الكواكب الأخرى ليهبطوا ويأخذونا بالأحضان!

الأغنيـــات.. مـــرض!

أريـد أن أسأل الأستاذين عمار الشريعي وحلمي بكر إن كان لموسيقانـا هذا الأثر الكبير على الدورة الدموية ودقات القلب، وإن كانت قادرة على تهدئة الأعصاب أو العلاج عمومًا.. وما اسم هذه المقطوعات أو الأغنيات؟

فقد نشرت مجلة (القلب) البريطانية بحثًا ضافيًا للبروفيسور بيتر سلات من جامعة أكسفورد أنه بعد تجارب طويلة على عدد من الشبان والشابات في العشرينات من العمر وجد أن الموسيقى الكلاسيكية الأوروبية لها هذا الأثر القوي في تنظيم التنفس وضبط الدورة الدموية. وأنها تؤدي إلى عدم الإصابة بالذبحة. يقول البروفيسور سلات إنه جرب ذلك على الذين لديهم ثقافة موسيقية والممارسين للعزف أيضًا؛ فهم أكثر دراية وإحساسًا بالموسيقى، بالإيقاع وليس بالأسلوب وقد رأى البروفيسور سلات أن السيمفونية التاسعة لبيتهوفن هي نموذج للموسيقى الهادئة القادرة على العلاج.. وبعض الأعمال البديعة للموسيقار موتسارت والموسيقار فيفالدي..

طبعًا لا يمكن أن تؤدي أغنياتنا الحديثة اللاسعة والملسوعة إلى هدوء الأعصاب.. ولا يمكن أن تكون (البرطعة) الغنائية أيضًا..

وقد جرب العالم الإنجليزي الموسيقى الكلاسيكية الهندية وخصوصًا موسيقى (الراجا) فوجد أنها تؤدي إلى نفس النتيجة.

وقد استخدم علماء النفس الموسيقى في العلاج في السنوات الأخيرة: صحيح أن هناك خلافًا في المزاج عند الناس، ولكنَّ هناك أعمالاً موسيقية لا خلاف عليها بين الجميع، وفي مقدمتها السيمفونية التاسعة لبيتهوفن. وأنا لا أعرف إن كانت عندنا ـسيد درويش وعبد الوهاب والسنباطي والموجي وبليغ والطويل- مما يحقق لنا مثل هذا الهدوء وراحة البال والسلام مع النفس ومع الآخرين!

صيني في كل مكان!

حدث في المغرب ما حدث في مصر: الهجوم الصيني على الأسواق؛ فقد تسلل الصينيون إلى كل مكان في الأسواق الصغيرة، يبيعون سلعًا أرخص ومنسوجات، ولم يشعر أحد كيف دخلوا، وكيف استقروا، وكيف دقوا الأبواب.

وكيف أنهم يقبلون الثمن على أقساط -وهم في غاية الأدب. وأذكر أنني كنت في أستراليا سنة 1959 عندما فزعت الدولة إلى التسلل الصيني الخفي بتشجيع من أصحاب رءوس الأموال؛ لأن الرجل الصيني يقبل أي أجر ويعيش على أي طعام -فوجوده مكسب لأصحاب الأعمال. وفي ذلك الوقت أعلنت أستراليا عن سياستها البيضاء- أي رفضها لأي مهاجر أصفر. وإنما البيض فقط. وفي ذلك الوقت استمعت إلى محاضرة عميد المؤرخين توينبي الذي حذر أستراليا من هذه السياسة الخاطئة؛ إذ كيف يواجهون ألف مليون صيني وهندي وإندونيسي..

ويبدأ رجال الدين في المغرب يقولون إن الغزو الصيني قد ورد في القرآن الكريم. فيأجوج ومأجوج -الذين هم من كل حدب ينسلون- هم الصينيون.. وقد جاء الصينيون إلى بلاد المغرب من قرنين، ونقلوا إليهم الشاي الأخضر الذي هو شرابهم الوحيد.. والذي جاءوا به إلينا في الأزهر ولم نكن نعرفه قبل ذلك!

ويبدو أن المغاربة لم يقرأوا جيدًا ما رواه ابنهم الكبير ابن بطوطة عن الذي شاهده في بلاد الصين.

ويبدو أن المغاربة قد سلموا بهذا الواقع.. فالوجود الصيني في المغرب وفي مصر هو تطبيق لاتفاقيات العولمة.. الأسواق المفتوحة لكل الشعوب.. وكانت الصين أسبق.. وذهب بعض المغاربة إلى ضرورة تعلم اللغة الصينية وأن يكون هناك وزير للشئون الصينية وأعالي البحار..

أو على المغرب ومصر أيضًا أن تقاوما بمنتجاتهما الأجود والأرخص هذا الغزو الصيني الهادي الخفي. وقالوا في المغرب: إذا كان الحديث النبوي يقول: «اطلبوا العلم ولو في الصين» فإن الحديث الصيني يقول: اطلبوا المال ولو في مصر والمغرب!

أغنيات جديدة جدًا

سمعت أصواتًا جديدة قدمها الموسيقار جمال سلامة: البنات حلوة. خامة الصوت جيدة ويحتجن إلى تدريب.. وهذه هي المهمة الثانية لجمال سلامة.. أما الأولى فهي اكتشاف هذه المواهب في كل المحافظات والمدارس وحفلات الأوبرا. وقد نجح في ذلك..

أما قضية جمال سلامة فهي أن هناك فقرًا في الحناجر الذهبية.

وهو فقر وليس تضورًا. فالمواهب موجودة. وتحتاج إلى من يذهب إليها ويأخذ بيدها ويساعدها. ومادامت الدولة لا تقوم بهذه المهمة فليقم بها وحده ومعه عدد من الملحنين والمؤلفين. والأمل: أن تظل القاهرة عاصمة للغناء العربي..

وجمال سلامة درس في روسيا -وكان أستاذه الموسيقار العالمي الأرمني خاتشادوريان- وهو من أسرة موسيقية، أبوه وإخوته فاروق وشريف وخالد. وهو الذي قدم سميرة سعيد وماجدة الرومي ولطيفة وياسكال مشعلاني ورجاء بلمليح وغيرهن..

وفي مواجهة احتكار القنوات الفضائية لكل الشركات المصرية والأصوات لابد أن نفعل شيئًا. فذهب جمال سلامة إلى المحافظات والحفلات المدرسية وحفلات الأوبرا واختار فتيات صغيرات وقام بتدريبهن ومعه عدد من الملحنين على استعداد لتقديم ألحان جديدة.

وإنعاش الموسيقى الشرقية بعد أن اختفت لتظهر ألحان متشابهة وأصوات متناسخة.. وهناك أمل وأن هذا الأمل سوف يصبح سهلاً لو ساعدته وزارة الإعلام كأن تخصص قناة أرضية للمواهب في كل الفنون.

وأنشأ جمال سلامة شركة لتقديم الأغنيات الجديدة، وهو فنان ورجل أعمال أيضًا يعرف ما يفعل؛ فالفتيات قد اشترى لهن الملابس الأنيقة وحشد الكوافيرات، وذهب متطوعًا إلى الحفلات العامة وقد شهدتهن في حفلة سحور (النساجون الشرقيون).. فأعجبني معظم ما سمعت.

ولديه من الأصوات الناشئة والصاعدة أيضًا أكثر من عشرين صوتًا من مصر وأصوات أخرى من بلاد عربية. تمنياتي لنجاح مشروع وطني قومي يستحق الاحترام والتشجيع.

غلـط يـا أستـاذ!

لولا أنه عالم كبير لقلت كلامًا لا يليق.. فقد قرأت لأحد علماء النفس مقالاً يقول فيه: إن الذين يكتبون بيدهم اليسرى كان من الممكن أن يكتبوا باليمنى لولا إهمال آبائهم.. ولولا تدليلهم لأطفالهم.. يعني أن استخدام اليد اليسرى هو بسبب إهمال الوالدين أو بسبب الدلع الذي يحظى به الصغار.. كأن يقول لهم آباؤهم: اكتب على كيفك بالشمال باليمين المهم أن تكتب!

وأعتقد أن هذا التفسير غير صحيح علميًا. أولاً باعتراف من يكتبون بيدهم اليسرى؛ فالرئيس الأمريكي ريجان كان يستخدم يده اليسرى.. وقد حاول أبواه أن يدفعاه إلى استخدام اليمنى.. لكنه لم يستطع.. وفي النهاية أصبح يكتب باليدين.

وثانيًا لأن الطب الحديث أثبت أن استخدام اليد اليسرى له علاقة بالمخ؛ فالإنسان يولد مستخدمًا يده اليسرى.. ولا دخل له ولا لأبويه في ذلك.

وعدد كبير من رؤساء أمريكا يكتبون باليسرى مثل: جارفيلد وترومان وفورد ونيكسون وريجان وبوش الأب وكلينتون.. ومثل الفنانين: شارلي شابلن ومارلين مونرو والموسيقار باخ والرسامين مايكل أنجلو ودافنشي.. والمفكر الإنجليزي كارليل بعد أن فقد ذراعه اليمنى راح يكتب باليسرى.. ويقول: إنها أيسر كثيرًا.

ولـي تجربة.. فقد أصيبت ذراعــي اليمنى بكسر فرحت أكتب باليسرى لأول مـرة.. وكـان خطي أوضح وبعد أن تم عـلاج يدي اليمنى.. رحت أكتب باليسرى.. صحيح كنت أبطأ ولم أعد أجد صعوبة في ذلك.

أما الشذوذ الجنسي فإن العلم الحديث لم يعد يرى أن السبب هو سوء التربية.. وأن الانحلال ليس في الأصل سلوكًا أخلاقيًّا أو اجتماعيًّا.. وإنما هو خلقي –بكسر الخاء– أيضًا.. لذلك فلا لوم على أحد.. لا الشخص نفسه.. ولا أبويه.. فهو قد ولد كذلك.. ولا حيلة له فيما حدث.

ولهذا كان العطف على الشواذ؛ لأنهم لم يختاروا ما أصابهم فاختلفوا عن بقية خِلق الله.. فهم ضحايا وليسوا مجرمين.. فالطب الحديث قد حكم ببراءة الآباء والأبناء معًا!

أخطــــاء الكبــــار!

ما نشرته «الأخبار» عن الأخطاء الفادحة في كتابي الفيزياء والكيمياء- فضيحة!

لقد وجدوا أخطاء فادحة، ومن المفروض ألا يقع فيها التلميذ وليس المدرس، والقضية الآن هكذا: أسلحة فاسدة جديدة.. كتب مدرسية كتبها مدرسون وراجعها مدرسون أو مفتشون فكانت فيها مثل 2+2 =5 و2×2 =7.. هذه الكتب طبعت وروجعت ووزعت وهي مقررة على التلامذة فما المعنى؟ المعنى أن المدرسين الذين ألفوها جهلة مستهترون والذين راجعوها لم يراجعوها، أو أن الذين ظهرت أسماؤهم عليها لم يكتبوها، فنحن أمام مؤلف مجهول جاهل، ومراجع مجهول جاهل.. وهذه هي النتيجة!

إننا -إذن- نعطي التلامذة أسلحة فاسدة للعلم والتعليم والتربية والذمم، ونطلب من التلاميذ الصغار أن يحفظوا الخطأ ويكتبوه..

وهذا إفساد لأنه غش، حتى العلم مغشوش، وكذلك الطعام والشراب، وإن لم يكن ذلك انحلالاً وانهيارًا أخلاقيًا وعلميًا فهو المدخل الصحيح للطريق الخطأ نحو مستقبل مظلم، وهو مظلم؛ لأنه بدأ بالجهل وانعدام الضمير، ولا أعرف التكييف القانوني لمثل هذه الجريمة، ولا أعرف كيف يمكن تجريم هؤلاء الأساتذة، ولا أعرف أيضًا متى طبعت هذه الكتب ومتى وزعت على الطلبة.. هذا العام

أو قبل ذلك بأعوام، وهل هذه الأخطاء الشنيعة قد عرفت قبل ذلك، وتواصى الناس بالسكوت؛ لأنه سكوت على زملاء لهم عندهم عائلات وأولاد وربنا أمر بالستر! يعني أن المدرسين قد بهدلوا التلامذة، ومصر التي يجب أن تنشغل بالبحث العلمي، وهل البحث العلمي من الممكن أن يبدأ بهذه الصورة البشعة؟ كيف يمكن أن يكون عندنا أي أمل في أي مجال إذا كان المدرسون جهلة، تمامًا كما نقول كيف يمكن أن نحقق العدل والقاضي يسرق ويغش!

إنها مأساة حقيقية يجب أن نواجهها بما تستحقه من عقاب شديد.. فإذا كان المجرم واحدًا فإن الضحايا ملايين.. ومستقبل مصر!

معجـزة! لا معجـزة!

يندهش اليابانيون عندما نتحدث عنهم، ويتحول الحديث إلى حفلات تكريم يواجهها اليابانيون بالانحناء -والانحناء ليس معناه تقديرًا عظيمًا لما نقول؛ لأنهم ينحنون «عمال على بطال» لا لشيء. فإذا توجهت إليه انحنى، وإذا لم تتكلم انحنى، وإذا تكلمت وإذا سلمت وإذا ودعت..

ويندهشون أكثر عندما نستخدم كلمات المعجزة اليابانية والسر الياباني واللغز. أي أننا نرى إنجازاتهم في كل مجالات العلوم والصناعة ترقى إلى مستوى المعجزة التي لا يقدر عليها أحد سواهم. ويندهشون كيف أن العالم العربي يتكلم عن (اللغز) الياباني.. ويتساءلون كيف أنه سر مع أن كل أعمالهم وإبداعاتهم في فترينات كل الأسواق في الدنيا تنافس وتتفوق على الصناعات المثيلة.

وقد قرأت أن عدد الكتب التي تتحدث عن (المعجزة) اليابانية في السنوات العشر الماضية بلغت عشرة آلاف.. ليس من بينها كتاب واحد من تأليف أي باحث ياباني!

وأذكر أنني ذهبت إلى ألمانيا بعد الحرب مباشرة، واتجهت إلى شركة (كروب) للحديد والصلب. وقد فككها الإنجليز ونقلوها كلها إلى بريطانيا تعطيلاً لنشاطها وشللاً لإنتاجها. ولكن ليس الحديد والصلب هو الذي يصنع العظمة. وإنما العقول التي تفكر وتصمم

وتبدع؛ ولذلك عادت ألمانيا أعظم وأروع مما كانت عليه أيام هتلر. وفي إحدى الحفلات جاء دوري لكي أعبر عن الذي رأيت مما حققه الألمان بسرعة. فقلت معجزة! فغضب أحد المهندسين وقال: المعجزة دي عندكم في بلاد البخور والعطور والعفاريت! ولم أفهم سبب غضبه. ولكنه قال: إن السماء لم تساعدنا.. إنما نحن تعبنا وعرقنا! نحن.. لا المعجزة يا سيدي القادم من شرق الخرافات والمعجزات!

وقد سُئل أحد المؤرخين الألمان عن سر العظمة الألمانية فقال: قبل أن ندخل الجامعة تخرجنا في الجيش!

أي أنهم يتعلمون الانضباط والمسئولية والعمل الجماعي وإطاعة الأوامر -وفي المعامل يفعلون نفس الشيء.. وهذه هي المعجزة بالمعنى الألماني!

وفي مقدمة كتاب صدر أخيرًا عن (المعجزة اليابانية) كتب الباحث الياباني بوشيرو كوتو مالي يقول: المؤلف، وليس أنا هو الذي يقول إنها معجزة. ولكني ولكننا نرى أن ما حدث هو أقل كثيرًا جدًّا مما نحلم به. فإن كان لك عمر انتظرنا!

..نـدايـــــــات!

نفرض -مجرد فرض- أن د. أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء طلع علينا في التلفزيون يقول لنا: يا اخوانا يجب أن نقتصد في الطاقة: الكهرباء والغاز والبنزين. والطريقة سهلة: لا داعي لإضاءة الغرف التي لا يجلس فيها أحد.. وكذلك أجهزة التكييف والغسالة. وسوف توزع كتيبات على الشركات والمواطنين. فنحن في هذا الشهر الفضيل نأكل كثيرًا وننام طويلاً ونستهلك طاقات كثيرة. فارحموا مصر يرحمكم الله!

ولم يقل ذلك د. نظيف وإنما قاله الرئيس بوش ووزير الطاقة صموئيل يودمان. وقد طلب الرئيس ووزيره من الشعب الأمريكي أن ينشروا الغسيل في الهواء والشمس توفيرًا للطاقة؛ فقد أدت الأعاصير والفيضانات إلى خسائر فادحة في كل شيء.. وعلى الشعب الأمريكي أن يتعاون مع الدولة في مواجهة كوارث الأعاصير وترشيد الطاقة.

ولم أقرأ في كل الصحف الأمريكية والمجلات استخفافًا بكلام الرئيس ووزيره.

ولا أحد قال للرئيس بوش ابن الرئيس بوش: أنت نحس علينا ياريس.. الله يخرب بيتك كما خربت بيوت الملايين -إن مثل هذه العبارات لا تصدر عن شعب مستنير يعرف مبادئ الجغرافيا والفيزياء والتاريخ!

ونفرض –مجرد فرض– أن د. نظيف انتهز فرصة الشهر المبارك، وقال للناس: ارحموا أنفسكم وارحموا الدولة وامسكوا أيديكم واربطوا الأحزمة قليلاً..

مع أنه من الواجب أن نفعل ذلك دون تنبيه من الدولة. ولكن الدولة قررت أن تلفت نظر الناس ومعداتهم وجيوبهم –مجرد لفت نظر. فسوف تصرخ (الندابات) في كل صحيفة أملاً في إسقاط الحكومة الرشيدة التي تدعو إلى الرشد والعقل بعد أن امتلأت معدات الناس وفرغت عقولهم من أي فكرة واعية!

هذا هو الموضوع!

عاتبني بعض القراء؛ لأنني أكثرت من الكتابة عن (البحث العلمي). وأنني يجب أن أشوف لي موضوعًا آخر حتى لا يزهق الناس!

ولا شيء يدل على أن البحث العلمي ليس قضية ولا من هموم الناس، إلا الزهق من موضوع خطير. ونشره ومناقشته والكتابة عن جوهر الإصلاح. وأساس الإصلاح أن تشعر بأننا تأخرنا وأننا يجب ألا نقف عند هذا الاعتراف. وإنما أن نذهب إلى البحث عن العلاج. فإذا كان التشخيص هو أننا تأخرنا، فالعلاج هو أن نجد الحل، والحل وحيد: البحث العلمي.. أي الدراسة العلمية الجادة والحازمة والحاسمة. ليس اليوم ولا غدًا. وإنما غدًا وبعد غد وكل يوم. وألا نعرف الملل. وألا يرتبط الإصلاح بشخص أو مرحلة أو عصر.. وإنما هو كالحياة أبدًا.. ومثل العلوم بلا حدود– انظروا إلى كل الدول الأوروبية والنمور الآسيوية!

والله واحد قال: يا أخي دوشتنا.. إيه البحث العلمي.. يكفي أن أحدًا لم يرد عليك. ومعنى ذلك أنه وأنهم أغلقوا في وجهك كل الأبواب – يعني يجب أن يكون عندي دم وأن أدق أبوابًا أخرى!

ولو نشرت ما كتبه أساتذة الجامعات في مصر وفي أمريكا وكندا وأوروبا وأستراليا –وهم جميعًا مصريون قلقون على بلادهم– لاحتجت إلى مثل هذه الصحيفة. ولكن المكان ضيق –240 كلمة–

والصدور بدأت تضيق؛ لأن الكلام عن البحث العلمي في مصر له مذاق الفضيحة. ونتائج أبحاث جامعة شنغهاي وتقديرها العظيم لخمسمائة جامعة ليست من بينها جامعة عربية.. له وخز العار!

قال لي أحد الوزراء: يا سيدي أنت تصرخ في وادي الطرشان.

وأنا أختلف معه، لسنا طرشانًا ولا عميانًا.. ولكننا نتغابى ونتظاهر بأننا كذلك. والسبب هو أن هؤلاء الذين تبدد صوتهم وصداه فأصابهم اليأس. اليأس من أي حل.. أو من أي أمل في النجاة من هذه الكهوف المظلمة!

والحل: هو البحث العلمي. وألا نزهق وألا نمل.. فالداء وبيل؛ ولذلك يجب أن يكون العلاج سريعًا قويًا حاسمًا ولسنا في حاجة إلى دليل جديد.. وإنما الدول التي تقدمت هي أكبر دليل!

استغاثة متأخرة!

في كتاب (التاريخ في زجاجة) للكاتب السويدي أرتون تسيجلر يقول إن عددًا كبيرًا من صرخات الاستغاثة جاء متأخرًا جدًّا. هو يتحدث عن الزجاجات المغلقة التي بداخلها رسالة استغاثة. وهذه الزجاجات يلعب بها الموج والعواصف فتصل أو لا تصل إلى الشواطئ بعد مائة سنة أو مائتي سنة ويكون أصحابها قد ماتوا. ولكنها وثيقة تاريخية. ويذكر أن رسالة من هذا النوع قد أرسلها البحارة اليابانيون سنة 1714 يطلبون المساعدة العاجلة فسفينتهم توشك على الغرق. وقد وصلت الرسالة إلى شواطئ اليابان بعد 150 عامًا!

ويحكي قصة غريبة أن أحد الإيطاليين كان يستحم في مياه شاطئ العجمي عندما رصدت عيناه جسمًا لامعًا فسبح إليه. وكانت زجاجة وفي الزجاجة رسالة. والرسالة على ورق مصقول وبخط جميل. وصاحب الرسالة يقول: من المؤكد أن أحدًا لا يستطيع إنقاذنا. وإنما نحن قررنا أن نكتب أسماءنا لعل أحدًا يتذكرنا. وإذا تذكرنا أن يترحم علينا.. إننا فلان وفلان وفلانة على ظهر زورق صيد قادم من قبرص. وضربتنا موجة حطمتنا. والباقي من الزمن قليل.. أما تاريخ هذه الرسالة فيعود إلى فبراير سنة 1840 وبعد مائة سنة تمامًا اقتربت من شواطئ الإسكندرية!

وعلى شاطئ كوبنهاجن عاصمة الدانمارك في 13 نوفمبر سنة 1945 دفع البحر زجاجة تقول للشعب الألماني والشعوب المعادية

لألمانيا إن هتلر حي ولم ينتحر هو وزوجته تحت قصر المستشارية في برلين. وإنما هو هنا حي معنا في أعماق العوامة نوتيليوس في طريقه إلى فنلندا أو الأرجنتين ليستأنف القتال من هناك. فألمانيا ولدت لتعيش منتصرة شامخة.

وظهرت على شواطئ كوبنهاجن رسالة أخرى تقول: هذا آخر نداء من السفينة (...) هذا النداء موجه من هتلر إلى الشعب الألماني يدعوه إلى أن يقاوم وسوف ينتصر في النهاية. وهذه الرسالة ألقتها إحدى طائرات سلاح الجو الألماني. وهتلر الآن في مكان آمن تمامًا. وسوف يعود. انتظرونا قريبًا. وتاريخ الرسالة هو 15 نوفمبر سنة 1945.

ويبدو أن هذه الرسالة تهدف إلى لخبطة أجهزة المخابرات البريطانية.. فهي أيضًا سلاح آخر للتشويش وتضليل أعداء ألمانيا..

ليس فيه مخ!

رأيت في برنامج (ليالي غادة الرمضانية) في تلفزيون الكويت فقرة أضحكتني. فقد كان موضوع هذه الفقرة: ماذا يفكر الشباب في الكويت؟ وصاحب الفقرة قدم هذه الفقرة بلغة عربية فصيحة. وكان جادًّا تمامًا بما يعطي انطباعًا أننا أمام برنامج تربوي أخلاقي جاد؛ لأن القضية جادة. وهي جادة؛ لأنها تتحدث أو سوف تتحدث عن مستقبل الكويت. ومستقبل الكويت كمستقبل أي بلد آخر هو: شبابه..

أفكارهم وحياتهم وما يعجبهم وما لا يعجبهم. وكيف استعدوا لذلك.. والذي يعجبهم سوف يكون مختلفًا جدًّا، فهم في زمن وآباؤهم في زمن آخر.. ولكنَّ آباءهم هم الذين وفروا لهم هذه الحياة الرخية.. ولم تكن هذه الحياة كذلك عند آبائهم وأجدادهم.

واعتدلت أسمع موضوعًا يهمني. يهمنا.. وظهر الشاب موضوع هذه الفقرة.. وهو بؤرة هذا البحث.. الشاب ممتلئ. وأبرز ما فيه شعر رأسه كأنها معرفة الأسد، وإن لم يكن أسدًا، إنه رأس كله شعر. وليس فيه مخ. وهو لا يكشف عن وجهه. فوجهه لا يهم. وإنما الرأس وما في داخل الرأس.

وقد تعمد صاحب البرنامج أن يقدم لنا صورة ساخرة. ولم يمض وقت طويل حتى ضحكنا على خيبة أملنا في الشباب وفي المستقبل نفسه.

فالشاب لا يقرأ ولا يهمه أن يقرأ. ولا يعرف، ولا يريد أن يعرف أي شيء عن أي شيء..

والمصيبة أنه يضحك.. يضحك على الأسئلة.. ويضحك على أنه لا يعرف.

ـ أي أنه لا يخجل من جهله؛ لأنه لا يعرف أنه جاهل.

وتذكرت فقرة سريعة لمذيعة تسأل الشباب في القاهرة عن الذي يعرفه عن (القرية الذكية)، هي عبارة عن مجمع إلكتروني لخدمة كل من تهمه الاتصالات السريعة الحديثة بالقرب من الجيزة.. قال شاب: إنها قرية لتربية الدواجن. وقال واحد أكثر استنارة إنها لتعليم الطلبة المتفوقين.. وقال ثالث إنه معجب بها جدًّا.. وإنه قد رآها ودخلها وشوارعها نظيفة.. وهي من أجمل المعالم في شرم الشيخ!! والعجيب أن حديثهم عن «القرية الذكية» كان بكثير من الثقة بمعلوماتهم التافهة الخطأ.. حتى الادعاء الكاذب بأنه رآها.. وهي صورة مؤلمة عن مستقبل مصر!

أنقذوا أمريكا!

تصور: عشرون من كبار علماء أمريكا يتهمونها بالتخلف. ويرون أن في استطاعتها في مدى سبع سنوات أن تستعيد مكانتها القيادية والريادية في العالم بشرط أن تنفق عشرة مليارات دولار سنويًا!

وهذا قرار اتخذوه في الندوات التي قدمتها مؤسسة (ناشيونال أكاديمز).. وحددوا لذلك عشرين خطوة من الواجب تطبيقها..

وهذه هي المرة الثانية التي يفزع فيها العلماء إلى الشعب الأمريكي ويطلبون إليه أن ينقذ أمنه القومي والاستراتيجي والاقتصادي.. أما المرة الأولى فكانت سنة 1957 عندما أطلقت روسيا أول جسم فضائي. وسبقت بذلك أمريكا. وبعدها بعشرين عامًا أصدر العلماء تحذيرهم العلمي الخطير في كتاب عنوانه (أمة في خطر). وظلت اللجنة التي أصدرت هذا الكتاب منعقدة حتى نهاية القرن العشرين..

وبعد أن قدمت جامعة شنغهاي أحسن 500 جامعة في الدنيا، وكان نصيب أمريكا هو الأكبر. غير أن العلماء يرون غير ذلك. ويرون أمريكا من الممكن أن تكون أفضل وأعظم.

وأولى خطوات الإصلاح أن تضاعف أمريكا عدد المنح الدراسية في الرياضيات والفيزياء لتبلغ مائة ألف منحة سنويًا..

وثانية هذه الخطوات أن تسهم الهيئات والشركات في مجال البحث العلمي بما يعادل 10٪ من دخلها سنويًا لمدة سبع سنوات..

وثالثًا أن تجعل خدمات الإنترنت بملاليم تمامًا كالتليفون لتكون المعلومات في متناول كل تلميذ وكل مواطن..

وقد أعلن تورمان أوجسطين الرئيس السابق لشركة لوكهيد لإنتاج الطائرات أن الموقف خطير. والخطورة تتعلق بأمن أمريكا في العالم كله. فالتحديات كثيرة. ويجب ألا نستهين بالدول الآسيوية وفي مقدمتها اليابان والصين.. وعلى الكونجرس الأمريكي أن يتنبه إلى خطورة الوضع العلمي والإبداعي لأمريكا. ولكي يصل إلى قرار عليه أن يراجع ماذا تستورد أمريكا وماذا تصدر. إن الشعب الأمريكي في حاجة إلى تعبئة عامة. ولا وقت للتأجيل..

ونشرت مجلة (العالم الأمريكي) أن هناك حقائق خطيرة يجب أن يعرفها الرئيس الأمريكي وهذه المعاني بسيطة جدًا. بقدر بساطتها فهي موجعة أيضًا: مرة أخرى أمريكا في خطر!

لابــد مــن الإنجليزيــة..

اللغات العشر في الدنيا الأكثر انتشارًا هي: الماندرين ويتكلمها 800 مليون صيني، والإنجليزية 360 مليونًا، والروسية 250 مليونًا، والإسبانية 220 مليونًا والهندية، 200 مليون، والعربية 130 مليونًا والبرتغالية 125 مليونًا، والبنغالية 124 مليونًا، والألمانية 120 مليونًا، واليابانية 100 مليون. ولكن لماذا الإنجليزية هي أسهل اللغات وأكثرها انتشارًا وشعبية.. أو بعبارة أخرى: كيف تكون لغة سيدة اللغات الأخرى؟

صحيح أن الذين يتكلمون الإنجليزية كلغتهم الأصلية أقل كثيرًا جدًّا من الذين يتعلمونها في المدارس والجامعات.. حتى أصبح من المستحيل أن يكون الإنسان باحثًا أو عالمًا وهو لا يعرف الإنجليزية.

السبب: هو أن اللغة الإنجليزية أسهل وأكثر انضباطًا في مجال العلوم. إنها ليست أجمل كالفرنسية أو الإيطالية، أو الإسبانية..

ربما قلنا إن الأسلوب المصري في الكتابة وفي الحوار بين الناس على الشاشة أو الميكروفون أو في الحياة العامة أسهل وأبسط باعتراف كل العرب.. وقد حاول كثيرون أن تكون هناك لغة علمية واحدة –لغة عربية واحدة.. وذلك عن طريق توحيد المصطلح العلمي. ولكننا –كما نفعل في كل شيء آخر– لم نتفق..

وأذكر أنني كنت ضمن وفد خبراء الثقافة العربية في اليونسكو وكانت د. سهير القلماوي هي رئيس الوفد –هي الرئيس وأنا الوفد!

وقدمت تجربة وهي كيف نضع تفسيرًا عربيًا للمشتقات من كلمة (فرد) الفرنسية أو الإنجليزية، ثم ما هو المرادف للكلمات الآتية في الإنجليزية والفرنسية: فرد وفرداني وانفرادي وتفردي وفردانية والمذهب الفردي..

وأذكر وأنا طالب وكان أستاذي د. منصور باشا فهمي. وكان يدرس لي وحدي (علم الجمال) وعرضت لنا نفس المشكلة الفلسفية، فطلب مني أن أعرض مشكلتي في خطاب للمجمع اللغوى. ففعلت. ولم أتلق ردًّا حتى الآن -أي من خمسين عامًا.

وبقيت المشكلة: نحن العرب شعوب تمزقنا لغة واحدة!

نكتة مرورية!

صديقي المرحوم ممدوح سالم رئيس وزراء مصر قد استدعى خبراء أمريكيين لتنظيم المرور في مصر، فجاءوا بالمصادفة في يوم المرور، وساروا في الشوارع ورأوا وهزوا رءوسهم إعجابًا بما شاهدوا، وكيف أننا في مصر نجحنا فيما فشلت فيه أمريكا ودول أوروبية أخرى.

واستوضحهم ممدوح سالم فقالوا: إنهم سعداء بأن مصر في «يوم المرور» قد أعطت للسائقين حرية الحركة دون مراعاة لإشارات المرور يومًا واحدًا في السنة!

ولم يقل لهم أحد تعليقًا على ذلك أن الذي رأوه هو المرور اليومي العادي، وليس عيدًا من أعياد المرور ينطلق فيه السائقون على حريتهم، فهم كذلك في كل يوم!

منذ يومين دعيت للإفطار عند الصديق د. إسماعيل سلام في مصر الجديدة، غلطت أو السائق هو الذي غلط، فقد قدرنا المسافة التي هي عشرة كيلومترات بأنها سوف تستغرق نصف ساعة، وخاب ظننا وساء تقديرنا، وتحركنا حركة السلحفاة من الجيزة إلى مصر الجديدة في ساعة ونصف الساعة، وكان من الممكن أن تضاف نصف ساعة أخرى لولا أنني وكثيرين، قررنا أن نقطع الطريق الباقي على أقدامنا.

هل نظلم أنفسنا لو قلنا: إنه إذا أراد أحد أن يعرف كيف تمشي الحياة في مصر فلينظر إلى شوارعها: هيصة.. وزحام وفوضى، واختفاء لكل قواعد السلوك الإنساني والمروري.. وإذا كانت علامات المرور هي القانون، ورجال المرور هم الساهرين على تنفيذ القانون، وكل هؤلاء لا نراهم ولا نسمعهم، فليس غريبًا أن نعاني ما نعانيه كل يوم.. ولا أحد يعرف إن كانت الغلطة في الشوارع، أو في السيارات، أو الترخيص للسيارات الجديدة، أو الإبقاء على السيارات القديمة، أو هي السلبيات المصرية العريقة.. وحياتك كلها!

يبعثون على الحزن!

والله على ما أقول شهيد: التقيت بعدد من الشبان –بناء على طلبي– وتكلمنا في كل شيء. وحزنت على كل شيء في حاضر ومستقبل مصر، فأكثرهم لا يهمه ما يحدث في مصر؛ لأنه ليس فاهمًا لأي شيء. وحتى إذا فهم فقد قرر أن يهاجر.. وبعضهم ليس عنده وقت للكلام الفارغ.

أما هذا الكلام الفارغ فهو كل ما نراه مليانًا في الصحف وفي التلفزيون. وبعضهم لا يقرأ الصحف والمجلات ولا يعرف سر الخناقات التي بيننا.

قال لي أحد الطلبة إنه من حين إلى حين يقلب في الصحف الجادة وفي الصحف الهلس. ولكنه في جميع الأحوال لم يفهم ما الذي نقول ولمن نقوله وإن كان هناك أي أمل في علاج. وهو لم يفهم وليس عنده استعداد لأن يحاول. فلابد أن يفرغ من دراسته أولاً وبعدها ربك يفرجها في كندا أو في أمريكا أو أستراليا. ولم تمنعه دموع أمه. فهذه حياته وهو حر فيها.

سألت أحد الطلبة إن كان من آماله القريبة أن يتزوج. فأجاب لقد كان. ولكن الفتاة المصرية لا تريد أن تترك مصر. إذن فلابد من الزواج من البلد الذي سوف يهاجر إليه.

وسألت: هل كلكم على هذه الصورة؟

فأجابوا: نعم.. إن لم يكن كلنا فمعظمنا يعني أن نصف مصر لا تهمه مصر. ولا أمل عنده في علاجها ولا يهمه شقاؤها أو بقاؤها.

أما النصف الثاني الذي هو نحن ففي حالة توتر مستمر. لا نصدق ما نقرأ. فمصر الأمل غائبة عن النصفين. والنصفان يلتقيان عند معنى واحد: لا نعرف علاجًا لمصر التي لا نعرفها ولا نريد.. وكلا النصفين لا يصدق ما يسمع ولا حتى ما يقول. وكأنهما قد قررا معًا أن المريض المسجى أمامنا لا نعرف له مرضًا ولذلك لا نعرف علاجًا.. وضاعت حياتنا في سجال بين الذين كانوا السبب والذين هم السبب والذين سوف يكونون السبب. وعليه العوض فينا وفي بلدنا.

أقول لك حاجة: نحن نكره مصر.

فلا شيء يدل على أننا نحب بلدنا، ولا أننا مستعدون للحياة من أجلها والموت أيضًا.. نفرض أن لك ابنة وأنت تقول إنك تحبها، وطبيعي أن تحب ابنتك وأن تحب ابنك أيضًا، ولكن إذا كنت حريصًا على ضربها وإهانتها واحتقارها وفضحها وبهدلتها كل يوم في الصحف والتلفزيون؛ فهل هذا حب؟ قد تقول إنك تضربها بالشلوت لكي تنهض وفي ذلك تقوية لعضلات ساقيها، وقد تصفعها على قفاها لكي تقفز وفي ذلك تقوية لعمودها الفقرى ولسعها بالنار لتصرخ وتبكي، والصراخ يقوي الحبال الصوتية والبكاء يجلو العين ثم تعريها لتدفعها إلى أن تتعلم السباحة -فهل هذا حب أم هو الهوان والإذلال والعار؟

هات كل الصحف المصرية وضعها بعضها إلى جوار بعض واقرأ.. قل لي بعد ذلك من فضلك إن كان هذا دليلاً على حب مصر؟ هات بسلامته حكيم الحكماء ومؤرخ المؤرخين وداعية الحرية وقبل ذلك رسول الإذلال والهوان بوق الدكتاتورية واقرأ ما يقوله عن مصر ماضيها وحاضرها وتوزيع تهمة الخيانة -التي يستحقها هو- على كل من حكم مصر بعد الرئيس عبد الناصر.. وراقب صوته وشكله والمرارة على لسانه والسم ينفثه في كل شيء. فإذا مات الناس فإنه يتهم غيره من السفاحين والقتلة والخونة أيضًا فهل ترى أنه يحب مصر؟ هل هذا هو الحب القاتل.. هل هذا ما قصده أمير الشعراء:

ومن الحب ما قتل؟

أما أنه قتل أو محاولة لذلك فلاشك، أما أنه حب فليس صحيحًا.. إنه حب لذاته، محاولة لإطالة عمره الافتراضي على جثة مصر..

وإما أن ينصت الناس إلى ذلك فهي مشاركة في الرأي وتدعيم للإجهاز على مصر –مع أن مصر لا تموت وإنما يموت سكانها واحدًا بعد واحد.. فهذه سحابة سوداء والسكوت عنها أكثر سوادًا!

وأن يقال ذلك على شاشات عربية فتغليظ للفضيحة وتعظيم للعار وجنازة للعزيزة الغالية المحروسة مصر.. مع أنها لا تموت ولا تستحق هذه النهاية على أيدينا.. ولكن (غربان البين) يريدونها كذلك.. ونحن نتمنى لهم مثل هذه النهاية!

الإلـــه يانـــوس!

وقع خطأ مطبعي في مقال سابق؛ فقد ظهر اسم الإله (يوناس)، ولا يوجد إله بهذا الاسم في كل الأساطير، وإنما الاسم الحقيقي هو إله يانوس، ويجعلونه على شكل تمثال نصفي له وجهان.. واحد ينظر إلى باب الدخول، وواحد إلى باب الخروج، إلى البداية والنهاية، وأحد الوجهين له لحية، وفي يده اليمنى مفتاح، وكان الرومان يستعينون بالإله يانوس لحماية مؤسساتهم، وفي زمن الحروب كانوا يجعلون أبواب معابده مفتوحة، لكي يتمكن من مساعدة القوات الرومانية، وفي زمن السلم يغلقون الأبواب.. لأنهم ليسوا في حاجة إليه..

وتقول الأساطير أيضًا إنه كان حاميًا لمدينة روما، فعندما هاجمها الأعداء فجر من تحتهم ينابيع المياه التى تغلي فهربوا.. وهو الذي أدخل الفلوس وعلمهم زراعة الأرض والعناية بالثمار، وهو أيضًا الذي لقن القانون للحكماء.. وفي الوقت الذي انتشرت فيه عبادة يانوس ظهر في الصين إله مثله تمامًا، يرسمونه على الأبواب.. أبواب البيوت والمعابد والقلاع.. وهذا الإله الصيني هو الذي يحمي الداخلين والخارجين.. وهو البداية وهو النهاية.. وهو رمز الحياة والموت معًا..

وشهر يناير مأخوذ من الإله يانوس لأنه بداية السنة الجديدة.. وقد أطلق علماء الفلك اسم (يانوس) على أحد الأقمار التي تدور حول الكوكب زحل، وهو القمر السادس الذي يدور في فلك يبعد عن الكوكب

زحل بنحو 150 ألف كيلو متر دورة كاملة كل 17 ساعة، وهو مكون من مادة مسامية جلدية، وقد اكتشفه العالم الفرنسي دولفيس سنة 1966، واكتشف معه قمرًا آخر في نفس المدار.. وقد تلقيت خطابًا من د. أميمة عبد الرءوف ثابت من روما تقول: إنه أحد آلهة الإغريق وليس الرومان كما ذكرت..

أؤكد لك أنه من أساطير الرومان وليس له نظير عند الإغريق.. وأن حكايته قد تداولتها الأساطير القديمة منذ أكثر من 12 قرنًا حتى ظهرت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، مما أدى إلى انحسار عبادة يانوس.. وظلت تنحسر حتى تجمدت على الأبواب والمداخل، وأصبح الإله رمزًا تاريخيًّا للنصر والسلامة..

بهرتـــه العيـــن!

عاد د. هشام الشريف الخبير العالمي في علوم وفنون المعلومات مبهورًا من الصين؛ فالذي رآه في تلك البلاد جعله يؤكد أن الصين تقفز فوق أمريكا، وأنه هو أيضًا في ذهول، صحيح أنه كان يتوقع ذلك، ولكن الذي رأى والذي سمع أكثر من كل توقعاته، ففي الصين تقدموا الكثير من الشعوب الأوروبية، أما الهند فقد تقدمت الدنيا في علوم البرمجيات، وأن الذي تصدره للعالم يبعث على الإعجاب.

يقول د. هشام الشريف الذي كان ولا يزال يحلم بثورة معلوماتية في بلاده، بل أكثر من ثورة المعلومات بثورة أخرى جديدة اسمها «ثورة المعرفة»: إن هذه الشعوب قد عرفت الطريق، والطريق هو العلم، هو البحث العلمي، هو الحياة العلمية الجادة، ففي كل جامعات الدنيا أينما ذهبت تصطدم بطلبة من الصين كلهم انكفئوا على الدراسة والعلم ليعودوا إلى بلادهم وينضموا إلى جيش من ملايين الباحثين، والطريق واسع باهر للصين.

جاءني من د. حسام حسنين الغمراوي من كندا أنه درس في أمريكا، ومن الغريب أن أساتذته نصحوه أن يذهب إلى الصين، وذهب هو وزوجته التي درست أيضًا في أمريكا، يقول: إن المحاضرات التي استمع إليها والعروض التي قدمها الأساتذة في جامعة شانغهاي بالصين تقطع بأن الصين في طريقها إلى القمة.. وأنها لا تختلف، بل تتفوق على أمريكا في كثير من العلوم الإلكترونية والمعلوماتية، كل

ذلك قد حققته الصين في هدوء تام، بل إنها لم تغلق الباب، لا عليها ولا في وجه أحد.

ويلتفت د. الغمراوي إلى العلماء في مصر ويقول إنهم يعرفون ذلك وإنهم قادرون ولكن عندهم عقبة، هذه العقبة هي اللوائح والقوانين والسلبية والاستكانة وخمول الهمة، فالعلماء ليسوا العقبة ولكن اللوائح المهلكة المبيدة والتي كادت تقضي علينا لولا أن هربنا بجلودنا!

لديهـــم مشروعـــات!

قال الشاعر القديم:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا   ولكن لا حياة لمن تنادي!

يعني لو كنت قد تكلمت إلى أحد له أذنان لسمعك، ولكن المصيبة أنك تكلمت إلى واحد أطرش.. ألف واحد.. مليون.. وكل المسئولين في كل مجال، فعلى أثر ما كتبت هنا كثيرًا عن إصلاح مناهج البحث العلمي الذي بغيره لا يمكن أن نتقدم، كتب كثيرون يقولون إنه كانت لديهم مشروعات ومناهج وخطوات للتطور أرسلوها إلى كبار المسئولين، ووقفت على بابهم أو استقرت في سلال المهملات، يعني أن كثيرين قد استشعروا الجهل والتخلف وحاولوا أن يجدوا حلاً عاجلاً ولكن لا حياة لمن تنادي!

ولقد تلقيت من الدكاترة: سمير باسيلي الأسيوطي، وهنري باسيلي الأسيوطي، ودولت رفيق جندي صورًا من الدراسات التي بعثوا بها لعدد من الوزراء، الواحد بعد الآخر، وكلها خريطة لسلامة مصر العلمية وأكثرها مأخوذ عن تجارب ناجحة في كندا وفي أمريكا، ويقولون معًا: لسنا في حاجة إلى معجزة، وإنما أن نعرف بالضبط ماذا نريد وكيف نحقق ذلك بعزيمة وإصرار وبمنتهى الشدة، ويقولون: جئنا إلى هذه الدنيا الجديدة نلهو ونلعب، ولكن بعد أيام وجدنا أن مجال اللعب ليس في الجامعة والمعاهد والمعامل، وإنما في أماكن

أخرى، وهذه الأماكن الأخرى جادة جدًّا، فاللعب هنا نشاط جاد له قواعد وأصول، وإذا كان اللعب جادًّا، فكيف يكون الجد نفسه؟

ومن الوالد د. أيمن عبد السلام درويش وأبنائه الأطباء والمهندسين أسامة وشوقي وناريمان ونور الدين أن والدهم أتى بهم من أعماق ريف الدقهلية، وانتقلوا إلى كوكب آخر.. كل شيء فيه ممكن، فقد نجح الناس هنا لأنهم آمنوا بأن كل شيء يمكن تحقيقه، والشروط ليست صعبة: وضوح الرؤية، ووحدة الرأي والإصرار على ذلك، وبس!

ولا أعرف -كما أنك أنت لا تعرف أيضًا- أين نحن من هذا الذي يقوله المصريون هناك.. وكيف يصبح المصريون هنا مثل الذين نجحوا هناك وقلوبهم علينا هنا!

مــرة واحـــدة!

أعجبني قرار وزير التربية والتعليم صديقي وبلدياتي د. أحمد جمال الدين موسى، بـأن كل تلميذ يعيد إلى المدرسة كتب العام الماضي نظيفة فله مكافأة هي خفض المصروفات بما يقرب من النصف، المبلغ ليس خطيرًا.. ولكن النتيجة التربوية والجمالية والأخلاقية هي الخطيرة.

ولا أريد أن أقول إننا كنا ونحن تلامذة نقوم بتجليد الكتب والكراريس حتى لا تتسخ، الكتب طبيعي، ولكن الكراريس؟ نعم كنا نجلدها لتبقى نظيفة رغم أننا سوف لا نحتاج إليها بعد ذلك.

وفي المدارس الأجنبية وفي المكتبات العامة أيضًا، نجد أن الكتب قد ظهرت عليها أسماء أصحابها الأوائل، وأسماء الذين جاءوا بعد ذلك.. وبقيت الكتب نظيفة، فما المعنى الذي قصده وزير التربية والتعليم؟ أن يكون التلميذ نظيفًا، أن يجعل كتبه نظيفة ليكون قدوة لتلميذ من بعده.. أن يسهم في حل مشكلة الكتب المدرسية.. أن يشعر بغيره من التلامذة، وأن يطيع القانون وأن يكون متعاونًا.. وأن يساعد والديه أيضًا في مصاريف العام الجديد.. وأهم من كل ذلك أن تكون النظافة خلقًا!.

على أيامنا –ولا أعرف الآن ماذا يفعلون– كنا نقف كل يوم في الطابور.. ويجيء المدرس أو ناظر المدرسة يفتش علينا.. ينظر إلى

أيدينا.. أصابعنا.. أظافرنا.. وهو عندما ينظر إلى أظافرنا يلمح أحذيتنا، فإن وجد شيئًا ليس نظيفًا لفت أنظارنا وأحيانًا أخرجنا من الطابور وعاقبنا.. ولذلك كان من المناظر المألوفة أن يمسح الطلبة أحذيتهم في البنطلون خوفًا من الإهانة والعقاب.

أذكر أنني ذهبت إلى المكتبة العامة في مدينة «هيدلبرج» الألمانية.. ووجدت في نهاية كل كتاب مظروفًا صغيرًا، في داخله أسماء الذين تداولوا هذا الكتاب وملاحظات لهم على ما وجدوه في الكتاب من نقص في حروف بعض الكلمات بتاريخ كذا وكذا.. ثم عناوين كل الذين قرأوا الكتاب.. فقد يحتاج إليهم أحد.. أما الكتاب فكأن أحدًا لم يمسسه.. وهذا هو الأمل.

أمـــة فــي خطـــر!

وكنت أول من نشر تقرير (أمة في خطر).. وأنا أعيد وأزيد وأقول: كيف حدث ذلك؟ لقد قرأت التقرير وقدمته للرئيس مبارك في بيته. وأحاله الرئيس إلى د. مصطفى كمال حلمي وزير التعليم في ذلك الوقت. قرأه د. مصطفى حلمي. وكتب مناقشة ومقارنة بينه وبين التعليم في مصر..

وتناوله بالذكر عدد كبير من وزراء التربية والتعليم. وفي كل مرة يتحدثون عن التطوير، فإنهم يشيرون إلى هذا التقرير. ولكن لم يأخذوا بروح التقرير، ولذلك بقي التقرير أمريكيًّا، واللجنة التي وضعت هذا التقرير الأمريكي قررت أن تظل منعقدة إلى نهاية القرن، أي أكثر من عشرين عامًا، أي حتى يتحقق كل ما جاء فيه.

وأهم ما جاء في التقرير يتعلق بسلوك الطلبة وحالة المدرسين. أما الطلبة فهم منشغلون عن الدراسة ومتفرغون للرياضة.. ولذلك يهجرون المعامل وقاعات البحث، ويتكدسون في الكافيتريا يشربون القهوة ويأكلون السندوتش.. ولأنهم اعتادوا على الأكل السريع وخطف الخبز واللحم. فهم ينشدون ذلك فيما يقرأون أيضًا: الملخصات التي مثلها الأعلى هو مجلة «ريدرز دايجست» والتي ترجمت إلى العربية بعنوان (المختار). وكنت أحد رؤساء تحريرها، وهي تضم ملخصات لكتب ومقالات أمريكية. فالطلبة يخطفون الأكل

ويخطفون المعلومات أيضًا.. ولا صبر لهم على الموائد، ولا احتمال لهم على قراءة الكتب.

أما المدرسون والأساتذة فأجورهم صغيرة، وحياتهم صعبة، فكيف يشرحون العدل وهم مظلومون، وكيف يعدون بالفردوس وهم في جهنم الفقر. وكان لابد من إصلاح كل ذلك، مهما يطل الزمن. ولابد أن كل ذلك قد تم إصلاحه -هناك وليس هنا. فأساتذة الجامعة عندنا مساكين. شحاذون إلا قليلاً ومن المستحيل أن يعيش أستاذ بمرتبه.. ولذلك يعمل في أكثر من مكان، فلا وقت عندهم للقراءة والتدريس.. والحياة!.

موسيقى العذاب..

أنت على حق عندما تنزعج من الموسيقى التي تشوي الناس وتكويها في الأفراح والليالي الملاح. وأنت لا تستطيع أن توقفها لأنها من مطالب الشباب ومعالم حياتهم الصاخبة. وإذا أنت استرحت إلى الموسيقى الهادئة فليس معنى ذلك أنك قد تقدمت في السن.. وأن هذا الهدوء هو الذي يسبق الموت: أي الهدوء التام. غلط يا سيدي. فقد جاء في مجلة (القلب) البريطانية بحث للبروفسور بيتر سلايت أستاذ الشرايين والقلب في جامعة كمبريدج بعد تجارب على أربعين شخصًا أنك على حق. ومن رأيه أن الاستماع إلى السيمفونية التاسعة لبيتهوفن علاج للقلب وتنظيم لدقات القلب وعضلات القلب. فقد أتى بعدد من المرضى وأسمعهم الموسيقى بصورة منتظمة، فكانت النتائج التى تؤكد أن الموسيقى الهادئة العميقة دواء.. ويقول البروفسور سلايت إن موسيقى فيفالدي توجع القلب..

وفي الريف نجد الفلاح ينام بالقرب من الساقية.. فصوتها الرتيب يبعث على النوم. وكذلك صوت عجلات القطار وصوت الدخان الذي ينبعث منه يؤدي إلى النوم. وإذا كان المتحدث رتيب الصوت متكرر المعاني، فالنوم هو الوسيلة العاجلة للهرب..

وفي أساطير الإغريق لم يكن من قبيل المصادفة أن يلجأ الشعراء إلى خرير المياه وتغريد الطيور لكي يناموا.. وليس من قبيل

المصادفة أن تذهب الطيور إلى الشاعر هوميروس وتمتص الرحيق من شفتيه.. حتى تنام هي أيضًا..

يقول البروفسور سلايت إن سكان الريف أسعد حالاً من سكان المدن. ولذلك يذهب الناس إلى الريف أو الغابات وقمم الجبال. فإن لم تكن تفعل شيئًا من ذلك فمن الواجب أن تفعل.. إن الله قد أعطانا الكثير من الشفاء مجانًا. وكل ما ينقصنا أن نقرأ جيدًا الروشتات التي كتبها الله لنا.. لكي نصرفها من صيدليات الطبيعة!.

يقول عالم الحيوان دزموند موريس إن الإنسان يستريح إلى الموسيقى التي سمعها في بطن أمه.. فكل موسيقى لها وزن موسيقي، دقات القلب تبعث على النوم. فقد سمعنا ذلك ونحن أجنة. فاختر لك دواء موسيقيًا تُكتب لك السلامة!.

صدمـــــة فلكيــــة!

كم يتكلف جرام من المعدن أو الوقود في رحلات الفضاء -هذا عنوان كتاب العالم الفلكي جراهام وادنجتون. السؤال يبدو سهلا بسيطًا، ولكن الأرقام مذهلة فالروس عندما صدموا الدنيا بإرسال أول (اسبوتنك) -أي جسم صناعي يدور حول الأرض كان وزنه 83 كيلو جرامًا.. وكانت أول صدمة لأمريكا أن الصاروخ الذي حمل مثل هذا الوزن لابد أن يكون طوله وعرضه وكمية الوقود التي به، كذا وكذا من الأرقام. وبذلك تكون روسيا قادرة على إرسال صواريخ عابرة للقارات وفي رءوسها قنابل نووية -أي تعبر أوروبا والمحيط الأطلسي وتصيب أهدافًا أمريكية..

ولما أرسلت روسيا الكلبة لايكا احتاجت إلى تطوير في القمر الصناعي.. واحتاجت أيضًا إلى وقود أكثر. أو إلى أن يكون الصاروخ من عدة مراحل.. فلما أرسلت جاجارين، كان من الطبيعي أن تطور القمر نفسه والتهوية والملابس والصواريخ والوقود.. وكلما طورت روسيا صواريخها وأقمارها احتاجت إلى مزيد من العلم. وكذلك كلما زادت الدورات حول الأرض والرحلات إلى القمر والدوران حوله والهبوط عليه والرحلات إلى الكواكب الأخرى...

وكل خطوة تحتاج إلى بحث، والبحث يحتاج إلى وقت وإلى فلوس..

وقد استفادت روسيا من إطلاقها أحد القرود لكي تطلق أول رجل ثم أول سيدة.. وروادًا كثيرين.

ورائد الفضاء يسميه الأمريكان استرونوت –وكلمة نوت يونانية بمعنى السفر.. واسترو بمعنى النجوم. والروس يسمونه كوزمونوت..

وكوزموس معناها الكون.. والصينيون يسمونه تيكونوت. فقد وضع الروس أجهزة على كل عضو في جسم القرد –كل عضو، واستفادت روسيا من اللقاء الجنسي الذي تم بين رائدة الفضاء فالنتينا والرجل الذي صار زوجها ثم طلقها. وكانت لهما ابنة مشوهة.

وبعد خمس سنوات أذاعت روسيا صورة مفبركة للابنة التي لم يرها ولم يسمعها أحد!.

فتـــح مخـــك!

في التعبيرات الشعبية عبارة تقول: فتح مخك! ومعناها: فكر.. انظر إلـى المعلومات الجديدة ليكون أفقك واسعًا، ويبدو أن أحدًا لا يفتح مخه، وإنما لابد أن يدق باب المخ أحد أو شيء، ولابد أن يكون الدق عنيفًا، وأن يجيء ذلك في الوقت المناسب.. وكما يحدث للأشخاص يحدث للدول أيضًا..

فالتفاح يتساقط من الشجر من ملايين السنين، ولكن عندما سقطت تفاحة على رأس العبقري نيوتن بدأ يفكر في الأسباب التي تجعلها كل الأشياء تسقط على الأرض، فعرف قوانين الجاذبية..

والماء يغلي في الإناء من ألوف السنين، ولكن مهندسًا بريطانيًّا هو الذي اكتشف أن الماء الذي يغلي ويهز غطاء البراد أو الحلة، يمكن أن يكون قوة دافعة لعجلات القطار..

وقد اكتشفوا الشاي عندما سقطت ورقة في ماء يغلي فتلون.. واكتشفوا البن عندما لاحظ أحد الرعاة أن الأغنام تقفز ولا تنام إذا أكلت من شجرة البن..

وعندما سقطت حبة عنب أحمر على قميص أحد الرجال وحاول أن يمحو لونها فلم يستطع، هنا فقط اخترع (أحمر الشفاه) الذي لا تمحوه القبلات!

ومن ألوف السنين ونحن في مصر نمسك عروسًا من الورق ونثقبها بالإبرة ونقول: رقيتك من عين فلانة، ومن عين علانة.. في

هذه الأثناء أعلنت مصلحة البريد في بريطانيا عن حاجتها إلى فكرة تنقذ طابع البريد من التمزق، لأن طوابع البريد لكي يفصلوها لابد من استخدام السكين أو الموس، ولكن أحد الإنجليز كان يعيش في مصر اكتشف أن العلاج هو (التثقيب) الذي رآه عندالرقية من عين الحسود!

وفيلسوف الحضارة الألماني اشبنجلر رأى: أن اكتشاف الإنسان للنار هو أعظم اكتشافات العصور القديمة وقد اكتشفها الإنسان بالمصادفة عندما راح يحك الأخشاب بعضها في بعض.. وأدت النار إلى التدفئة، والنار بداية النور، والنور هو الذي أطال نهارنا..

وكلها أحداث صغيرة أدت إلى تغيير كبير، وكلها صدمات أدت إلى تفتيح المخ وإضاءة الطريق..

وقد أحدث إطلاق روسيا لأول جسم صناعي يدور حول الأرض كالقمر صدمة لأمريكا.. زلزالاً.. إهانة، وكان ذلك هو الفجر الأول لريادة الفضاء.

أحسن 500 جامعة..

لأن كثيرين طلبوا مزيدًا من الإيضاح في الذي كتبته عن اختيار أحسن 500 جامعة في العالم، ولم يكن بينها جامعة واحدة مصرية..

في منتصف القرن التاسع عشر أحس اليابانيون أنهم جهلة، وأنه يجب أن يتعلموا، فحسبوها إما أن يذهبوا إلى أوروبا وأمريكا ليتعلموا، أو يأتوا بخبراء من الخارج ليعلموهم.. فإذا هم أرسلوا واحدًا يتعلم، فهو واحد فقط.. ولكن إذا أتوا بخبير أجنبي واحد، فإنه سوف يعلم المئات، والمئات سوف يعلمون الألوف.. فأتوا بالإنجليز ليقيموا لهم السكك الحديدية والتليفونات، وأتوا بالفرنسيين يضعون لهم الدستور والقانون.. وأتوا بالإيطاليين يعلمونهم الموسيقى والرسم، وبالألمان يعلمونهم بناء المستشفيات وصناعة الدواء، وأتوا بالأمريكان يبنون لهم المدارس.. وفي سنوات صارت اليابان دولة من الدرجة الأولى! وبعد التجربة اليابانية، أرادت الصين أن تعرف أين هي من العالم.. إنها تريد أن تعلم وتتعلم، فكلفت الحكومة الصينية جامعة شنغهاي، وهي أقدم الجامعات، بأن تدرس وأن ترصد وتحلل أحسن الجامعات في العالم، فاختارت جامعة شنغهاي أحسن 500 جامعة، ثم أحسن 400 وأحسن 300 وأحسن 200 وأحسن 100 وأحسن عشرين جامعة في الدنيا، فكانت جامعة هارفارد الأمريكية أحسن جامعة في كوكب الأرض.

فعلى أي أساس كان الاختيار؟ الاختيار كان على عدد الحاصلين على جائزة نوبل من الأساتذة ومن الخريجين وعلى عدد الدرجات العلمية وعلى عدد الأبحاث العلمية التي نشروها، وعدد الاكتشافات العلمية والاختراعات، ثم عدد الطلبة وعدد المدرجات والمعامل..

إن هذا القرار يحتاج إلى وقفة طويلة.. ويجب ألا نسارع باتهام الجامعة الصينية؛ لأننا إحنا حلوين قوي وزي الفل!!

تصويـــر ذرة!

في هدوء ودون ضجة إعلامية أرسلت اليابان إلى الفضاء سفينة صغيرة يوم 9 مايو عام 2003، ووصلت إلى هدفها يوم 4نوفمبر هذا العام، أما المهمة فهي أن تلتقط عينات من الذرات المتناثرة من نيزك أكبر من هرم خوفو مائة مرة، وتستغرق عملية تصوير الذرات المتناثرة من النيزك ثانية واحدة، وبعدها تعود السفينة الصغيرة إلى الأرض، والسفينة اسمها هايا يوسا (الصقر) والإنسان الآلي الصغير جدًّا «20سم× 20سم»، ولما أصبحت السفينة على مسافة 70 مترًا من النيزك صدرت لها الأوامر بالعودة إلى أستراليا، وسوف تبلغها سنة 2007 ـأي قطعت مسافة 580 مليون كيلو متر ذهابًا وإيابًا من أجل ثانية واحدة، فالإنسان الآلي صدرت له الأوامر التي تأخرت نحو أربعين دقيقة، فسقط في الفناء.

وتلقى العلماء اليابانيون التهنئة الصادقة من كل علماء الفضاء لهذا الإنجاز والإعجاز العلمي. فقد استخدمت اليابان أجهزة متطورة جدًّا، في الطاقة والتصوير والمتابعة للنيزك، لا بالرادار، ولكن باستخدام الأشعة لأول مرة، كما أن الإنسان الآلي (ميرفا) كان قمة في التطور التكنولوجي، وسبب التأخر أن الأوامر قد صدرت من اليابان إلى مركز المتابعة في أستراليا ومنها إلى القمر الياباني.

وسوف تعاود اليابان المحاولة، وقد حاولت ونجحت، والسبب هو أننا لم نحصل إلا على عينات من تربة القمر لمعرفة أصل الكون،

ولكن يعيب تربة القمر أنها تعرضت للحرارة والبرودة طوال أربعة آلاف مليون سنة، ولكن النيازك لم تتأثر كثيرًا، ولذلك فتربتها هي أقرب إلى المادة الأولى للكون، والبرامج الفضائية في اليابان حافلة بأشكال التجارب المتنوعة، في صناعة السفن ومادتها ووزنها وطاقتها والأدوات المستخدمة فيها، وقد أرسلت اليابان إلى الفضاء أجهزة كثيرة بعيدًا عن الأضواء، وانفردت أمريكا بكل الأخبار المثيرة، ولكن اليابان تتقدم، وبخطوات واسعة وفي هدوء.

شر البليــة ما يضحك!

والشاعر يقول: وشر البلية ما يضحك.. أما البلية فهي الذي نحن فيه.. في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا والجالسين على مقاعد الحكم والقرار في بلادنا بالأمس واليوم وغدًا.. وربنا يعطيك العمر الطويل لترى ما لا يصح أن تراه!

أما الذي يضحك فهو ما كتبه د. أيمن نور الدين البهنساوي من ديترويت بأمريكا، يقول إنه يتابع مع الأسى والأسف ما أكتبه هنا عن البحث العلمي.. أي عن انعدام البحث العلمي.. وعن أن الذي أقوله وأوجع دماغي بسببه ليس له أي صدى علمي.. وأن الأصوات في مصر لها خاصية غريبة.. فالصوت يأكل صداه.. كأن أحدًا لا قال ولا أحد قد سمع.. وقل: يا باسط.

يقول د. البهنساوي إنه شاء القدر أن يكون له أولاد يدرسون في مصر وأولاد يدرسون في أمريكا.. ويلتقي من حين إلى حين بأولاده في مصر.. ويسألهم عن الذي يدرسون.. ويسأل أولاده الأمريكان.. وهم جميعًا في مراحل متقاربة ويدهشه جدًّا كيف أن الأولاد المصريين متخلفون علميًّا برغم اجتهادهم.. ولا ذنب لهم.. وإنما ذنب التعليم المصري والبرامج والمناهج.. ويقول إنه متخصص في بعض فروع الفيزياء النظرية.. وإنه شجع أولاده على المضي في نفس الطريق.

وقد ضرب د. البهنساوي أمثلة في الفيزياء النظرية في اختبار معلومات أولاده.. أما أولاده الأمريكان والأصغر سنًا فواسعة ومتقدمة.. وأما أولاده المصريون فدون ذلك كثيرًا.. وليس على سبيل الحماس والمبالغة في قيمة الأشياء أن وجد أحد أولاده الأمريكان يناقش نظرية النسبية ويرى أنها غير مطابقة لكذا وكذا.. وقد حذره من أن يتعجل الحكم في قضية بهذه الخطورة وأن يرجئ البحث في ذلك حتى يكبر.. ولكن فوجئ بأن أحد أبنائه المصريين لا علم له بنظرية النسبية.. والذي يعرفه لا قيمة له!

مجلس الشعب الأوروبي..

فماذا فعلت الدول الأوروبية؟ لقد قرر الاتحاد الأوروبي أخيرًا إنشاء (مجلس البحث الأوروبي). لماذا؟ لأن 22 عالمًا أوروبيا قد لاحظوا أن العلماء في أوروبا يتشاركون معًا. ولكن ليس بينهم أي تنافس علمي.

والهدف: ليس المشاركة ولا التعاون وإنما التنافس من أجل الأفضل والأعظم.

وقدوافقت الدول الأوروبية على اعتماد مبلغ مائة ألف مليون جنيه مصري للبحث العلمي -الفردي والأكاديمي.. وقد لاحظ هؤلاء العلماء أن الأبحاث العلمية في أوروبا متناثرة مفككة. ويجب ألا يضيع العلماء وقتهم وجهدهم في الحصول على الدعم المالي. وإنما يجب أن تتجه جهودهم إلى البحث والتفوق بعضهم على بعض لمواجهة التحديات الأمريكية واليابانية والصينية.

ورأى العلماء المؤسسون أن البحث العلمي يجب ألا يخضع لأي قرار سياسي. وأن يختار العلماء أنفسهم، الموضوعات التي يدرسونها دون تدخل من أحد. وأي بحث يرى المؤسسون أنه يستحق الإنفاق عليه هو الذي يعطونه الدعم المالي..

وقد لاحظوا أنه فيما بين 1980 و2003 قد حصلت أوروبا على 68 جائزة نوبل في الطب والفيزياء والكيمياء.. بينما حصلت أمريكا في

نفس الوقت على 154 جائزة نوبل. أما لماذا حصلت أوروبا على رقم أقل من أمريكا، فالسبب هو انعدام المنافسة بين العلماء والهيئات العلمية في أوروبا..

وجاء في قرار العلماء أن أوروبا تحتاج إلى 700 ألف باحث لتواجه التحديات..

والمجلس العلمي يضم 22 عالمًا من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبولندا وإسبانيا وإيطاليا.. ولا خلاف بينهم على قبول التحديات من أجل التفوق في كل العلوم وتطبيقاتها النظرية..

إصلاح التعليم: ضرورة!

لو راجعنا كل خطابات الرؤساء الجدد في أوروبا ومستشاري ألمانيا في السنوات الماضية الخمس أو العشر لوجدنا خيطًا ذهبيًا يربط بينها جميعًا: ضرورة إصلاح التعليم والاهتمام البالغ بالبحث العلمي. وهناك عبارة للرئيس الفرنسي الأديب ميتران تقول: نحن تعلمنا ودرسنا وتأملنا وأبدعنا، لا شك في ذلك. ولكن نريد أن نتعلم أعمق. وأن يكون المثقف عالمًا، وأن يكون العالم مثقفًا. فهذه تقاليد فرنسية ورثناها ويجب أن نترك لمن بعدنا من هو أعظم وأشمل!

وأذكر في افتتاح المعرض الدولي للكتاب في فرانكفورت أن توجه وزير التعليم لنا، وكأنه يرجونا إنقاذ الثقافة الألمانية.. فشكا لنا من أن الألمان لا يقرأون، وأنهم يجب أن يقرأوا أكثر. وأعاد هذا المعنى وذكر أرقامًا تدل على تناقص القراءة عند الألمان.. كأنه يريدنا أن نصدقه!

مع أن الذي رأيناه في المعرض كان باهرًا، فألمانيا ألفت وترجمت ونشرت الملايين وطبعت وباعت لعشرات الملايين.. ومع ذلك يرى الوزير أن شعبه لا يقرأ. فماذا عساه يقول لنا لو جلس على كرسي وزيري التربية والبحث العلمي. لوشاء أن يقول للألمان لمنعناه بالقوة ـ خجلاً من الحقيقة التي لها مذاق الجهل وطعم العار!

والرئيس الأمريكي كيندي هو الذي أعلن أن أمريكا سوف تبعث برواد إلى القمر وتعيدهم سالمين إلى الأرض -وقد حدث- والرئيس بوش الابن أعلن أن أمريكا سوف تهبط برواد على المريخ وسوف تعيدهم أيضًا.

وكلها معجزات علمية سوف تتحقق.. بالعلم!

كيف تعالج مشكلة..؟

قال لي بلدياتي د.فاروق العقدة محافظ البنك المركزي -الذي درس في جامعة بنسلفانيا في أمريكا -إن أحد أساتذته دعاه مع ثمانية زملاء من دول مختلفة. وقال لهم إنه سوف يلتقي بهم في بيته للحديث معهم. والحديث هو محاضرات علمية. موضوعها كيف تعالج مشكلة؟ ورأى أن العلاج يبدأ أولاً بتعريف هذه المشكلة ومعرفة أبعادها أو الإحاطة بها تمامًا. حتى يمكن رؤيتها أو لمسها أو وزنها -كما قال لهم الأستاذ. وبعد ذلك يجيء البدء في وضع الفروض والاحتمالات -ولا شيء من كل ذلك في جامعات مصر..

وقال د. فاروق العقدة إن الرئيس بوش الأب هو الذي قام بتمويل الفكر العلمي في أمريكا.

فقد لاحظ أن أمريكا تقدمت في التكنولوجيا -أي في التطبيق العلمي- ولكنها لم تتقدم في العلوم النظرية، أي في أساسيات الفيزياء والكيمياء والرياضيات ولذلك، طالب بالعودة إلى الأصول.. إلى الأساس..

أما أ. د. محيي الدين الأزهري الأستاذ المتفرغ بكلية تجارة القاهرة، فقد كانت رسالته ضافية بديعة. ويؤسفني أنني لا أستطيع أن أنشرها. وإن كنت سأحاول في مكان آخر. فيقول أهم ما يجب أن نتجه إليه هو (منهجية البحث)، أي المنهج العلمي في البحث. وهناك

فرق بين البحث أو الدراسة أو (البحث العلمي) فله عناصر وخصائص وأصول. وهو علم وليس اجتهادًا. وليس فهلوة أيضًا. ويقول: لا أريد أن أظلم أحدًا أو أتجنى عليه.

ولكن أقول: إن النسبة التي تدرك هذا المنهج علمًا ودراية وتطبيقًا وتمسكًا هي نسبة قليلة جدًّا. والخلاصة أنه بدون تطبيق (المنهج العلمي) في البحث فلا ثقة في المعلومات المجمعة أو الاعتماد عليها ولا النتائج. إن علماءنا يبحثون ويجتهدون. ولكن ليس على أساس منهجي علمي..

تقول د. فيوليت أيوب المصري من كندا: لماذا لا نبعث بمئات الشباب على حساب الشركات المصرية ليدرسوا؟ إن محمد على الذي تحتفلون بذكراه قد فعل ذلك من مائتي سنة!

كـــلام فـــارغ!

في الصحف تصريحات للرد على هذا الذي أكتبه. من بينها أن جامعات مصر لم تفز بأي موقع من الـ500 جامعة ممتازة اختارتها جامعة شنغهاي الصينية –والسبب أن أحدًا لم يطلب من الجامعات المصرية أن تشترك؟!.

وللرد على هذا الكلام الفارغ أن الجامعة الصينية لم تطلب من أحد أن يشترك. وإنما هي بحثت وسألت وتأكدت وانتهت إلى قرار هو أننا ولا احنا هنا في الدنيا المتطورة، وهذا رأي الأغلبية من أساتذة جامعاتنا أيضًا!.

ورأى منشور في إحدى الصحف أن الكلام عن البحث العلمي يجب أن نوجهه للدولة وليس للجامعات. فالدولة هي التي عندها الفلوس، ولابد أن يكون عندها الوعي. ومادامت الحكومة غائبة أو في غيبوبة، فعلى البحث العلمي السلام!

يعني لا داعي للكلام! وأن القرار سياسي، وليس قرارًا علميًّا أكاديميًّا! لا يهم ما قيل. ولكن هذا لا يمنعني من أن أشير إلى ما فعلته أمريكا وما سوف تفعله الدول الأوروبية. فأمريكا تلقت هجومًا عنيفًا من الهيئات العلمية واتجهت بالهجوم إلى الرئيس الأمريكي وقالت له أمامك سبع سنوات –أي أمامك أنت والذي بعدك – وفي هذه السنوات السبع لابد من اعتماد عدد من المليارات للبحث العلمي

الذي تشرف عليه الدولة -طبعًا غير مليارات أخرى تنفقها الشركات والمؤسسات.

ولكن إذا لم تنجح أمريكا في أن تستدرك ما فاتها في السنوات القادمة، فلن تستطيع بعد ذلك اللحاق باليابان والصين وأوروبا.. وقدمت الهيئات العلمية مشروعًا من عشرين نقطة واجبة النفاذ، لأنها خلاصة شهور من البحث والتحليل.

أو بعبارة أخرى: يا بوش الابن أكمل البداية العظيمة التي استهلها بوش الأب قبل أن يجيء بوش الأخ أو بوش الحفيد!.

محتاجــون إلــى ثــورة!

يؤسفني أنني لا أستطيع أن أنشر، أو حتى أشير إلى الأبحاث البديعة التي تلقيتها من مصريين في أمريكا وأوروبا، ومن أساتذة في جامعات القاهرة والإسكندرية وعين شمس، ولكن سأحاول نشرها في غير هذا المكان.

يقول د. علي عبد المنعم: إن البحث العلمي عندنا في حاجة إلى ثورة، ليس مجرد تغيير قرار، أو حتى تغيير مدير أو عميد، وهذا الذي يقوله ليس من دماغه، أو من فراغ، فالجامعات الأوروبية ماذا تفعل، وماذا في مشاريعها أن تفعل؟ كل ذلك مكتوب ومدروس ومنشور، وليس علينا إلا أن نمد أعيننا وأيدينا ونفتح مخّنا.

ويقول د. عادل ياسين: إنه يتذكر عنوانًا لصديقه د. أسامة الخولي الذي له كتاب اسمه «النقش على الماء»، الذي غيره د. مصطفى طلبة وجعل عنوانه «قضايا بيئية»، وكلا العنوانين يدل على اليأس وانعدام الأمل في أي حل.

يقول د. عادل جارحي عثمان من لندن: إن كل الإبداعات والاختراعات خرجت من بريطانيا بشهادة الجميع صحيح أن أمريكا ساندت أوروبا بعد الحرب ودفعتها إلى التقدم العلمي، وعندما جاء بيل جيتس صاحب ميكروسوفت إلى جامعة كمبريدج سنة 1980، قال: إن من كمبريدج خرجت كل العلوم، وكل التطورات التكنولوجية،

فالجامعات في بريطانيا: معابد لمن يطلب العلم والبحث على عكس كل الجامعات في مصر.

تقول د. همت فوزي الدرمللي من كندا: إنها كانت في أمريكا تزور صديقة لها في إحدى دور النشر وسألتها عن عدد المشتركين في المجلة العلمية الأولى في أمريكا، وكان عدد المشتركين ثلاثين، أكثرهم مثقفون عاديون وأقلهم أساتذة في الجامعة. أما المعاهد العلمية فلا واحد، مع أن المجلة شهرية ورخيصة الثمن، وعرفت أن عدد المشتركين فيها في إسرائيل أكثر من ألف!.

والله نفسي تحدثني أن أنهي هذه السلسلة لأسباب كثيرة ليس أقلها أنني أسمع هنا صوت أغنية سيد درويش: والديك بيدن كوكو.. في مالطة!.

فوق كل الفوارق!

إذا كانت الصين قد قررت أن تهبط مركباتها على سطح القمر، فكذلك أعلنت اليابان والهند.

وقد أعلنت الهند أن لديها مشروعات قمرية، والهند تعاونها هيئة الفضاء الأوروبية (أيسا) في طموحاتها الفضائية، واليابان قد سبقت وأطلقت مركباتها القمرية بلا رواد إلى القمر.

وأعلنت الهند أن أقمارها صغيرة، ولها مهمة لرسم الخرائط المجسمة لشبه القارة الهندية، كما أنها سوف تساعد هواة الفلك والريادة الفضائية على معرفة الكثير من المعلومات وبسهولة.

واليابان مشاريعها صغيرة، ولكنها أكثر تقدمًا وطموحًا.

وعلى الرغم من أن أمريكا وروسيا اشتركتا في مشروعات فضائية كثيرة، وتشتركان اليوم وغدًا، وأنهما معًا قوة هائلة، فإن أمريكا ترى أن غريمها ومنافسها الحقيقي هو الصين.

وعلى الرغم من أن دولاً كثيرة لها إسهامات واضحة في الرحلات الفضائية، ولها مشاريع علمية وتربوية أيضًا، فإن أمريكا ترى أن الفضاء هو مجالها وحدها، وأنها لا تقبل المنافسة.

ولكن علماء الفضاء الأمريكان أوسع أفقًا من رجال السياسة، فبعد انهيار الحرب الباردة بين روسيا وأمريكا، فالعلماء يرون أن العلم للجميع، وأن الوطنية والقومية تلغي العقل وتعرقل الخيال،

ولذلك قال كبير علماء مشروعي القمر والمريخ د. جيم جارفين: إن الأعلام التي سوف يغرسها الرواد الأمريكان على سطح المريخ سوف تكون للأمم المتحدة، قال: إن كل خطوة من أي دولة هي خطوة للأمام لكل الشعوب وهي العبارة نفسها التي قالها أول إنسان نزل على القمر، وقال: هذه خطوة صغيرة لإنسان خطوة كبيرة للإنسانية!

وقال عالم الفضاء الصيني وو- جي: إن هذه الرحلات الفضائية كلها خطوات رفيعة المستوى من أجل التعاون الدولي والتسامي الإنساني فوق كل الفوارق الطبيعية واللونية، والتعاون يجب أن يكون بين كل الدول: الولايات المتحدة وروسيا، والهند، واليابان، والصين.. فنحن جميعًا متحضرون.. أو من الواجب أن نكون كذلك!

صغير له دلالة كبرى!

فليس غريبًا أن يتقدم مئات الطلبة من تسع دول بمشروع إطلاق قمر صغير إلى الفضاء.. إنه مشروع علمي على قدرهم.. لا مانع.. وقد ساعدتهم دول كثيرة.. ساعدتهم هيئة الفضاء الأوروبية (أيسا) وساعدتهم روسيا وأمريكا أيضًا.. فكان أول قمر وزنه 52 كيلو جرامًا.. انطلق من روسيا بصاروخ روسي في مرحلته الأولى.. وهذه هي المرة الأولى التي يتعاون فيها الطلبة عبر الإنترنت فيتبادلون المعلومات والمعادلات والحوارات.

وقد أعلن هؤلاء الطلبة أن هذا القمر الصغير جدًّا له دلالة كبرى.. إنه من صنع الطلبة ومن أجل الطلبة هواة الفضاء.. وأنهم سوف تكون لهم خطوات أكبر.. وسوف يعتمدون على هيئات الفضاء.. لأن العلم للجميع.. وأنه من الضروري أن تكون للباحثين الصغار محاولاتهم ومغامراتهم وأخطاؤهم أيضًا. وقد رسم الطلبة أكثر من مائة وعشرين تخطيطًا للقمر الذي أطلقوه.. واستقر رأيهم على القمر الأخير.. فلا أحد ينفرد برأي أو بقرار.. ولم يحدث أن اختلفوا فقد وزعوا العمل بينهم: علماء الفلك.. ومهندسو الوقود.. ومهندسو الأرصاد.. وخبراء الرادار والعدسات.. وقد وعدتهم هيئات علمية مدنية بأن تساعدهم في طموحاتهم من أجل بلوغ القمر والكواكب الأخرى. وفي حديث نشرته صحيفة «دي فلت» الألمانية لأحد العلماء الشبان: أن لديهم أفكارًا جديدة.. وأنهم سوف يجعلونها مفاجأة للعلماء الأساتذة الذين كانوا

صغارًا مثلهم.. ويذكرون على سبيل المثال العالم الألماني فون براون مخترع الصاروخ الذي ضرب لندن.. هو أيضًا كان تلميذًا صغيرًا ضبطوه ينطلق من الأرض إلى فوق السطح.. وهو الذي أطلق سفن الفضاء الأمريكية إلى مدار حول الأرض في سباق مع الروس.. حتى تفوق عليهم بعد ذلك ولابد أن يخرج من بين هؤلاء الطلبة ألف فون براون!

لابــد مــن بيئــة مناسبــة!

أنت لا تزرع نباتات المناطق الحارة في القطب الشمالي، كما أن الدب القطبي لا يعيش عند خط الاستواء.. لابد من البيئة المناسبة.. لابد من الجو العلمي الذي يسمح بأن يظهر العالم الصغير فيكبر، والعالم الكبير فيكون عبقريًا، وهؤلاء الطلبة عندهم هذا اليقين.

أحكي لك حكاية حدثت في مصر مع الأسف، وبعد قليل سوف تعرف لماذا الأسف. فقد نشرت إحدى الصحف المصرية والكبيرة عنوانًا بالخط الأحمر في الصفحة الأولى: تلميذ يخترع صاروخًا أسرع من الضوء!

والتلميذ لا أعرف في أي مدرسة، والذي فعله الطالب هو أن جسمًا دفعه مفجر موضعي إلى الانطلاق، أي أنه جسم ليس له عقل يوجهه.. بالمناسبة أيضًا كان عندنا صاروخان، واحد اسمه القاهر، والثاني اسمه الظافر، ولم يكن لهما عقول إلكترونية للتوجه إلى أي هدف، وإنما يطلعان كالثيران الهائجة، وبس!

معنى خبر الصاروخ: أنه أسرع من الضوء، وقد نشرت الصحيفة الخبر.. ومعنى ذلك أن رئيس التحرير قرأه ومدير التحرير وسكرتير التحرير وقسم المراجعة، وكلهم لم يلاحظوا أنه لا توجد سرعة في الكون أسرع من الضوء، أي 300 ألف كيلو متر في الثانية، والصواريخ هذه الأيام سرعتها 27 ألف كيلو متر في الساعة!

المؤسف أكثر أن أحدًا من القراء، لم يعلق على هذا الخبر.. الطلبة وأساتذة كليات العلوم وأساتذة الفيزياء والكيمياء والميكانيكا والوقود.. والمعنى أن هذا الخبر فضيحة، ولم تدرك الصحيفة ذلك، وحتى الذين أدركوا من القراء لا يعنيهم هذا الخطأ الفادح الذي ينحط إلى العار القومي!

وأذكر أني يومها كنت مسافرًا في وفد لمؤتمر الأدباء في الكويت فجمعت هذه الصحيفة وأخفيتها وكأنني أخفي وجهي من الكسوف!

القمر الصيني أرق!

أما (الفجر الثاني) لريادة الفضاء، فقد بزغت أنواره عندما أعلنت الصين أنها سوف تصل إلى القمر عام 2007، وأنها أعدت كل شيء، وأن قمرها أكبر وأدق وأجمل من كل الأقمار. وفي الوقت نفسه، أعلنت أمريكا أنها سوف تتخذ القمر عام 2020 منصة لإطلاق السفن إلى الكواكب الأخرى.

والصين يجب أن ننظر إليها نظرة خاصة، لأن الصين هي التي قررت أن تكون في السماء، معتمدة على علمائها وليس على علماء أمريكا. والذي قررته الصين في مجال الفضاء قررته في مجالات أخرى: في الاقتصاد والعلوم والتطبيقات العلمية، وفي الحياة والصحة والاقتصاد أيضًا.

ولم تنزعج أمريكا مما بلغته روسيا في علوم الفضاء، فالدولتان تتعاونان الآن كثيرًا، في الإبقاء على المحطة الدولية المدارية.. وأمريكا لم تعد تخاف من روسيا، بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الدولة السوفيتية كدولة عظمى. ولكن الخوف كله من الصين، وليس من الريادة الأوروبية أو اليابانية أو الهند للفضاء.

فقد كانت أمريكا تخاف أول الأمر من أن تتحول الصواريخ الروسية التى تحمل أقمارًا إلى صواريخ عابرة القارات لها رءوس نووية. وقد تجدد خوف أمريكا من الوحش الصيني الذي يتربص

بآسيا وأمريكا وقد حظرت أمريكا بيع مكونات الصواريخ والأقمار إلى الصين، بل إن سفن الفضاء الأمريكية لا تمر فوق الصين مطلقًا. وكان الحديث النبوي ينصحنا بأن نطلب العلم (ولو) في الصين -أي من أي مكان مهما يكن بعيدًا. والسياسة الآن تقول: بل تطلبه من الصين، ففيها علم وفيها تكنولوجيا متطورة وخطيرة. وخطورتها أنها اعتمدت على نفسها، وعلى علمائها وخبرائها. وكان في استطاعتها أن تشتري الخبرة والخبراء -ولكن الصين رفضت تمامًا بسبب كرامتها واعتزازها بنفسها. وقد أنفقت الصين بلايين الدولارات. ولم تمد يدها إلى أي اختراع أمريكي.

الدولة لا تدرس!

وفي أمريكا معهد عظيم الاحترام اسمه بروكنجز له دراسة عن الصين: حاضرها ومستقبلها.

ومن الاستراتيجيات الأمريكية أن الدولة لا تدرس ولا تبحث وإنما تطلب من المؤسسات العلمية المتخصصة أن تدرس لها مقابل مبلغ من المال. مثلاً: اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ظهرت في كتاب صغير اسمه: إطار السلام في الشرق الأوسط. وهناك حادثة رويتها كثيرًا. فعندما سافرنا إلى أمريكا مع الرئيس السادات لتوقيع اتفاقية السلام. فوجئت بالمشير الجمسي يستوقفني ويقول لي: أعط الرئيس العدد الأخير من مجلة (أكتوبر) لأن فيه نص اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل. وهو المشروع الذي قدمه معهد بروكنجز، وكانت دهشة الرئيس كبيرة. فقد كان يظن أنه تقرير سري. وهذا الذي نشرته بروكنجز هو بالحرف الواحد: اتفاقيات كامب دافيد. فليس سرًا. وهو مطروح للبيع في الأسواق.

ولمعهد بروكنجز دراسات عن كل المشكلات الكبرى في الدنيا. وقد أصدر مشروعًا للتفاهم مع الصين. وهذا المشروع حصيلة ندوات ومناقشات بين خبراء السياسة الأمريكية والصينية واليابانية وبين رجال الصناعة والاقتصاد والفضاء والأمن القومي وسفراء أمريكا في الصين وفي آسيا. والهدف من الدراسة الجديدة معرفة أثر الصين

على العالم اليوم وغدًا. فالنهضة الصينية هي أهم وأخطر أحداث القرن الحادي والعشرين.

ويقول التقرير: ما هذا الذي يحدث في الصين وما هي سياستهم في الطاقة والإصلاح السياسي والنهضة الاقتصادية والنمو العمراني والصحة والبحث العلمي وريادة الفضاء.

وتقرير بروكنجز يلفت نظر رجال السياسة والاقتصاد في أمريكا وفي الصين وآسيا وما الذي يجب عمله في أمريكا والصين فالحضور الصيني في كل الأسواق هو أخطر ما تواجهه السياسة الأمريكية لسنوات قادمة كثيرة. وهو يحتم على كل الأطراف اتخاذ خطوات رشيدة.

أما الذي قاله الرئيس بوش بعد صدور هذا التقرير فهو أن أمريكا قررت في 2020 أن تجعل القمر أول منصة فضائية لانطلاق سفنها بما فيها من رواد ومعامل وعدسات إلى الهبوط على كوكب المريخ.

..اللمس مطلوب!

لا أنسى متحفًا في ألمانيا للعلوم وعلى بابه هذه العبارة: نرجو من السادة الزوار أن يلمسوا كل شيء بأيديهم!

وفي المتحف نجد الأطفال والشبان وقد حشروا أنفسهم بين الأجهزة وراحوا يجربون ويتساءلون.. هنا في هذا المتحف تتولد الأفكار الجديدة.. هنا تنشغل وتتقد العقول الشابة. هنا تولد العبقرية..

والألمان لهم عبارة مشهورة: نحن قبل أن ندخل الجامعة مررنا على الثكنات فتعلمنا الضبط والربط والوطنية وإنكار الذات من أجل النهضة ببلادنا..

ولقد رأيت في جزيرة ميكوموتو لزراعة اللؤلؤ متحفًا صغيرًا. هذا المتحف لا تدخله إلا التلميذات الصغيرات. ومطلوب من كل واحدة أن تميز بين اللؤلؤة الصافية واللؤلؤة كاملة الاستدارة.. وهي ليست عملية سهلة.. ولكل واحدة مكافأة..

والمعنى: أن الصغير يجب أن يلمس.. أن يختار.. أن يقرر لنفسه ولبلده..

ورأيت في أحد المصانع اليابانية في قاعة كلها من الفتيات اللاتي يستخدمن أصابعهن الدقيقة الحساسة في تركيب أجزاء من التليفزيون لا يستطيعها الإنسان الآلي. ولو انفجرت قنبلة بين

الفتيات ما سمعنها. فالتركيز شديد والموقف خطير والغلط مستحيل.. لأنه تدمير للصناعة اليابانية.. وقد رأيت فتاة قد ربطت شريطًا أحمر على ذراعها. فسألت إن كانت هي الرئيسة أو كابتن الفريق. فقال لي المهندس معترضًا: لا.. لا..

إنها تريد شيئًا وهي تلفت النظر إليها وعلى الفور ذهب إليها أحد المسئولين وكتب رغبتها في ورقة فأزالت الشريط الأحمر ومضت في عملها ـ عندنا إذا كان أحد له رغبة فإنه يترك عمله ويظل يدور بين المكاتب يخلق رأيًا عامًّا مضادًّا للإدارة.. وينسى أنه هرب من العمل. ومع ذلك يتقاضى أجرًا عن هذا الهرب.. ثم إنه لا يكتفي بذلك وإنما يحاول أن يدعو بقية العمال إلى الصعلكة مثله!

وكل الدول المعاصرة التي تريد أن تكون شيئًا مهمًّا، لها أسلوب واحد: أن تكون جادة متفتحة وألا تتوقف!

آلهــة القمـــر..

المشروع الصيني للقمر اسمه (شايجيئي-1).. وهذا الاسم هو اسم إلهة القمر عند الصينيين. ومن أهداف الرحلة سنة 2007 هو رسم خريطة مجسمة للقمر تمهيدًا لهبوط الرواد عليه بأجهزة أكثر تطورًا. والصين موجهة نصف عيونها إلى القمر، والنصف الثاني إلى الدورة الأوليمبية سنة 2008.

وسوف تضع الصين إنسانًا آليًا على سطح القمر 2020 -نفس السنة التي أعلنتها أمريكا ليكون القمر منصة فضائية تقفز منها إلى الكواكب الأخرى..

وفي نفس الوقت أطلقت الهند قمرها (كارتوسات) لرسم الخرائط الدقيقة للهند.

هذا القمر وزنه طن ونصف -لعلنا نتذكر أن أول قمر أطلقه الروس كان 83 كيلو جرامًا!

أما هيئة الفضاء الهندية (اسيرو) فقد أعلنت أن مشاريعها كلها لخدمة المواصلات ولمساعدة الهواة في علوم الفضاء على التزود بالمعلومات مباشرة. بينما الدول الكبرى -رغم كثرة ما تعرضه على الإنترنت- فإنها شديدة الحذر. فهي لا تريد لهذه المعلومات أن تقدمها مجانًا للصين!

وقد نشرت مجلة (العالم الأمريكي) وهي مجلة عظيمة الاحترام بحثًا عن الخطوات التي اتخذتها الهند في مشوارها في ريادة

الفضاء. تقول: إن علماء الهند على الطريق الصحيح. فقد عدلوا مساراتهم العلمية كثيرًا، حتى أصبحوا على مسافة قريبة من الصين التي اقتربت من أمريكا. والخوف كل الخوف أن تقفز الصين قفزة علمية تعيد الحرب الباردة. وتكون هذه المرة بين أمريكا والصين، بعد أن كانت بين أمريكا والسوفييت..

وقد نشرت المجلة أن أحد علماء الفضاء الصينيين سأل عالمًا أمريكيًّا: قل لي من فضلك.. إلى أي درجة نحن متأخرون عن أمريكا؟

فقال العالم الأمريكي: ثلاثة أشهر فقط!

إلى هذه الدرجة يمضي السباق العلمي والبحث العلمي والتطبيق العلمي بين أمريكا والصين!

شكـــرًا لهـــــم!

راجعني د. حسان سويلم من فرانكفورت بـألمانيا.. يقول إن قطر الأرض عند خط الاستواء 12765، وأن درجة الحرارة المطلقة هـي 273 مئويـة تحـت الصفـر.. وأن المسافـة بين الشمـس والأرض نحـو 158 مليون ميل.. وأن المسافة بين الكوكب العاشر الذي اكتشفوه أخيرًا والشمس هـي عشرون مليار كيلو متر..

وتقول د. نوال فوزي السمري من شتوتجارت بـألمانيا: إن العالم الفلكي الـذي أشرت إليه هـو مارتن كرنسكي وليس مارتن ريس.. شكرًا.. وقد راجعت اسم العالم فوجدته كما ذكرت أنا..

ومن د. متولي عبد الغني الشرنوبي من ميلانو أنه قرأ كتابًا لي عنوانه «لا عاش ولا مات» وهو عن الأستاذ الكبير العقاد.. وأبادر فأقول إنني لم أؤلف مثل هذا الكتاب.. ولعله مأخوذ من كتاب لي عن العقاد اسمه «في صالون العقاد.. كانت لنا أيام».. أما اسم هذا الكتاب فلا أعتقد أنه ينطبق على الأستاذ العقاد.. فقد مات شخصًا وعاش شخصية باهرة.. وليس كتابي وكتب أخرى إلا إحياء لذكراه وتمديدًا لظله الفكري علينا..

يقول المهندس هنري سلامة الأسيوطي من باريس: إنه لم يعجب بما كتبته عن الشاعر بلدياتنا علي محمود طه.. لأنه شاعر عظيم.. وليس كما وصفته أنا..

وأنـا أبـادر فأنفي أنني كتبت عن هذا الشاعر الكبير مثل هذه المعانـي.. وإن كنت أتمنى أن أكتب عنه.. ولا أذكر أنـي تحدثت أخيرًا عنه.. ولا أعرف من ينقل هذه الآراء الغريبة.. ولماذا؟ وليست هذه الرسالة الوحيدة التي يحاسبني أصحابها على ما لم أقل في الشرق والغرب.. وأرجو أن يخبرني القراء الأعزاء عن الصحف أو المجلات أو الكتب التي تضمنت مثل هذه الفبركات!

أما المصريون في كندا وفي أستراليا الذين شاهدوا حلقات «ساعة صفا» مع الفنانة صفاء أبو السعود وأعجبتهم.. فأكرر الشكر لهم ولصفاء أبو السعود.

جامعاتنـــا ولا حاجـــة!

نفرض أن واحدًا اتهمك بالجهل وأنك لا دخلت ولا تخرجت في أي جامعة، ولا قرأت ولا كتبت. يعني أنت لا هنا ولا هناك. فماذا تفعل؟ لابد أن الأمر يعنيك ويهمك.. لأنه أصابك في عزيز لديك. فيك أنت. أما هو فقد أثبت أنك كذلك. وعليك أن تثبت العكس.. فجامعة شانغهاي قالت إن جامعاتنا ولا حاجة. لا من أساتذتها من حصل على جائزة نوبل ولا من خريجيها. ولا قدمت أبحاثًا عالمية المستوى. وإذا كانت قد قدمت فإن أحدًا لم يقرأها في أي مجلة. ومادام لم يقرأ فهي لا تستحق النشر. ولا تقل إن الأبحاث التي يتقدم بها الأساتذة في جامعاتنا من أجل الترقية هي شيء له قيمة. وإن الخواطر والمحسوبية وقل يا باسط هي أساس القبول والرفض لهذه الأبحاث ـأنت تعرف وأنا أعرف. وكلنا على يقين من أن جامعاتنا لا ترقى إلى هذه المستويات الرفيعة. إلا إذا كنا نرى أن جامعاتنا أكثر عددًا، وأن هيئات التدريس تنافس الطلبة في العدد. في هذه الحالة فجامعاتنا في المقدمة. ولكن الحسبة ليست كذلك!

فماذا فعلنا في هذه التهمة التي وجهت إلينا عن غير قصد؟.. هل فكر أحد من القائمين على الجامعات والتعليم العالي والبحث العلمي في السفر إلى شانغهاي ليعرف.. أو حتى أرسل خطابًا يسألها إن كان من الممكن الحصول على نسخة من تقاريرها الخطيرة. وإن كان من الممكن لقاء الذين قاموا بهذه الدراسة. وحياتك ولا واحد بل إن

كثيرين قرأوا ما كتبت وهزوا أكتافهم قائلين: إننا نعرف ذلك.. أو قالوا: كلام فارغ.. فقد قرأت حديثًا لمهندس نشره في «الأهرام» فأحزنني ما قال وأحزنني أكثر أن يجد من ينشر له ذلك.. قال تمامًا ما يقوله شعبان عبد الرحيم: أحب مصر.. وجامعات مصر.. ورفع رجله وقال أووه.

وإذا كنا قد وصلنا إلى هذا الانحدار في الاهتمام والعلم، فلا داعي لأن يذهب أحد إلى الصين ولا أن يكمل قراءة هذه السلسلة من المقالات التي هي محاولة متواضعة لمعالم الطريق إلى أن نعرف أين نحن من هذه الدنيا!

معهم حق!

كثيرون من القراء يشكون من أن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة التي تظهر على الشاشة في حاجة إلى شرح. ففيها تعبيرات بلاغية لابد من تفسيرها. أحيانًا يظهر شرح بعض الكلمات. والغريب أن الكلمات التي تقرأ شرحها ليست هي التي تستحق الشرح -والقراء على حق في ذلك..

وقد جاءني من بلدياتي د. فوزي إبراهيم شوقي أن أحد المتحدثين استخدم كلمة (التقية) عدة مرات في حديث واحد. ولم يشأ أن يشرحها كأنها كلمة على كل لسان وليست في حاجة إلى تفسير.

وبمنتهى الصراحة يقول: لم أفهم هذه الكلمة فهمًا صحيحًا. ويسألني: ما رأيك؟

رأيي أن أحاول شرحها. فكلمة (التقية) معناها الخوف والكتمان. ولكن المعنى المطلوب هو أن المؤمن إذا أحس بأنه في خطر إذا جاهر بدينه، ففي هذه الحالة من حقه أن ينكر دينه. وأن يتظاهر بالعداء له.. فيرتكب كل المحرمات. والله أعلم بأنه مؤمن وأن الخوف هو الذي جعله يجاهر بكفره حتى لا يتعرض للموت. وقال العلماء: إن الذي أرغم على الكفر وتكلم به لسانه وخالفه قلبه لينجو من عدوه فلا حرج عليه.

والمسلم المؤمن في حالة الخوف يحق له أن يهاجر. وهناك عبارة حكيمة تقول: إن أساس الفعل المداراة.. أو بعبارة أخرى تقول: دَارِهِم

مادمت في دَارِهِم.. أي عليه أن يتظاهر بما ليس فيه والله أعلم بالسرائر!

والشيعة يقولون: الكتمان جهادنا. وأنه لا داعي للاستشهاد مادام يمكن أن نخفي ديننا.

وأهل السنة يقولون: إن التقية أو الكتمان رخصة من **الله**. وتركها أفضل.

قال شوقي على لسان أحد المتشيعين للحسين بن علي:

أحـــبُّ الحُسيـــن ولكنَّنـــي   لِسَانـــي عليــه وقَلْبـــي مَعَـه
إذا الفتنةُ اضطرَمَت في البلادِ   ورُمْـتَ النجـاةَ فكـن إمَّعَــه!

وقال أيضًا:

القلوب معك.. والسيوف عليك..

هـل ميـاه هنـاك!

أهـم حدث فـي العـام المـاضـي لا يـهمك ـلا شخصيًا ولا وطنيًا ولا قوميًا. ولكنه اكتشاف عظيم. فمن ثلاثين عامًا تحاول سفن الفضاء ذهابًا وإيابًا وهبوطًا وصعودًا أن تعرف إن كان على المريخ (الكوكب الأحمر) أي آثار للمياه فوق أو تحت سطح المريخ. ولكن في العام الماضي أكدت إحدى سفن الفضاء الأوروبية وجود ماء. ثم جاء اثنان من الربوت الأمريكي بعد تحليلهما وتصويرهما لسطح المريخ، يؤكدان وجود الماء على شكل أنهار وبحيرات وجليد..

المعنى: أنه كان هناك شكل من أشكال الحياة. وليس بعيدًا أن تكون الحياة على المريخ هي التي انتقلت إلى كوكب الأرض. وقد كشف العلماء أيضًا أن عمر الحياة على الأرض هو 2300 مليون سنة ـهكذا قالت الصخور الرسوبية في أعماق مياه شبه قارة أيسلاندة.. هذا ما أعلنته مجلة (ناتشر) أي الطبيعة العظيمة الاحترام..

حدث آخر: هو نجاح علماء كوريا الجنوبية في استنساخ أجنة بشرية!

وحدث ثالث: اكتشاف سلالة من الأقزام في إندونيسيا عاشت من مئات ألوف السنين..

وحدث رابع: اكتشاف علماء الفلك أيضًا بعض الكواكب تدور حول النجوم ـأي أن هناك منظومات مثل المنظومة الشمسية المكونة من تسعة كواكب تدور حول أحد النجوم.

أما الذي اكتشفناه في الشرق الأوسط العربي فهو أننا ندور من خمسين.. من مائة سنة حول قضايا واحدة لا هي تغيرت ولا نحن..

ومن العجيب أننا نتناول قضايانا كأنها جديدة لم يعرفها أحد من قبل. ولذلك فكلامنا: حماس ملتهب. والغريب أن أحدًا لا يندهش لذلك. كيف أن قضايانا قديمة مهلهلة ونتلقاها ونناقشها ونصحو وننام عليها كأنها وليدة الأمس. إنها العبقرية العربية التي تؤمن بأنه لا جديد تحت الشمس! فكل شيء عرفناه. ولذلك فعندنا قناعة في القليل من المعرفة. وعندنا رضا تام عن الذي نحن فيه وبدلاً من أن نهرش في أدمغتنا، فإننا نسارع إلى تقبيل أيدينا ونحمد الله على الستر وعلى الرضاء بالقليل. عملاً بالمثل الشعبي الذي يقول: آفتي: معرفتي. وراحتي: ما اعرفش!

ألـوان مــن العــذاب!

أحزنني فشل شاب تونسي في تهريب خطيبته ليعيشا معًا في فرنسا. فقد ضبطت أجهزة الأمن خطيبته في حقيبة كبيرة. وقضت المحكمة بسجن الشاب سنة مع وقف التنفيذ. لقد حاول الشاب أن يعبر البحر المتوسط ويجمع الشمل ويعيش الاثنان معًا.

ولابد أن هذا هو شعور القاضي أيضًا، وقد حدث كثيرًا أن بكى القضاة أمام القضايا الإنسانية.. وحكموا بروح القانون لصالح المتهم أو دفعوا الغرامة من جيوبهم!

وعندما زرت برلين بعد سقوط الحائط الفاصل بين برلين الغربية وبرلين الشرقية شاهدنا متاحف تعرض أساليب الهرب من الشرق إلى الغرب: تحت الأرض أو في سيارة تحت مقعد السائق.. أو في بالونات.. أو تحت سقف سيارة صغيرة –أنواع من العذاب والبهدلة من أجل مزيد من الحرية والكرامة الإنسانية.. وقد مزقت الكلاب البوليسية والرصاص ألوفًا من الألمان الشرقيين.. ولم يكن الروس والشيوعيون والألمان كرامًا مع الهاربين، لقد أدخلوهم السجن الثاني فحياتهم هي السجن الأول، وكثيرًا ما كان الجنود الألمان يعربون عن أسفهم لأنهم أيضًا يتمنون الهرب إلى الغرب..

وأذكر أنني داعبت أحد رجال الأمن –ولم يكن هناك أي سبب معقول لهذا التصرف– فقلت له إنني من برلين الغربية وقررت البقاء

في برلين الشرقية، ولم يهضم رجل البوليس المداعبة الغريبة إذ كيف يفضل أي إنسان العبودية على الحرية، واستشعر الجندي الشاب هذه الإهانة، ومع أن جواز السفر الذي في يده يدل على أنني مصري إلا أنه أدار هذا الموقف في دماغه وقرر ألا ينفرد بأي إجراء وحده.. واستوقفني. ودفعني أمامه إلى مكتب رئيس له. وقلت: إنني أداعبه..

وظهر الاستياء على وجوه الجنود. فقد أحسوا أن مداعبتي خشنة وغير معقولة من واحد أجنبي.. ثم أشاروا إليَّ أن أعبر الحدود إلى برلين الغربية.. ولكن بعد أن لطعوني خمس ساعات ولم يكن هناك سبب فلا مشكلة، ولكنهم أرادوا معاقبتي على مداعبة غليظة ليست في وقتها ولا مكانها.

أما السبب فهو أنني أحاول أن أجد مادة للكتابة.. ووجدتها. وكان الثمن مؤلمًا –ولم أندم على ذلك!

جديد عن قديم!

كل يوم شيء جديد عن أقدم شيء في التاريخ: عن قصر الفرعون وعن الذي بنى تمثال «أبو الهول»، وهناك رأي يقول: إنه قد أقيم قبل الأهرامات، وعلى ذلك فلا خوفو ولا خفرع قد أقاما هذا التمثال.

ولكن نظرية جديدة ظهرت أخيرًا، فالعالم الأثري الفرنسي فاسيل دويريف يؤكد أن «أبو الهول» قد بني بعد الهرم الأكبر، وأن الذي بناه هو الأخ غير الشقيق للملك خوفو، وقد جلس على العرش بعد خوفو وبعد أن قتل أخاه الأكبر، وتكفيرًا عن هذه الجريمة أقام تمثال «أبو الهول»، وجعل رأسه يشبه رأس أخيه الملك خوفو، وقال الباحث الفرنسي إن الملك (حين فر) أو (حين قرع) الذي أهمله التاريخ هو الذي أقام تمثال «أبو الهول» هذه حقيقة.

ومراكب الشمس التي اكتشفها الأثري كمال الملاخ سنة 1955 وجد عليها اسم هذا الملك القاتل، أما هدف هذا الملك من بناء مركبتين للشمس إلى جوار الهرم الأكبر، فلكي يجعل رحلة أخيه إلى العالم الآخر سهلة، وقد جعل وجه «أبو الهول» مثل وجه أخيه الملك خوفو الذي رأى فيه صورة للشمس.. ويقول الأثري الفرنسي في المسلسل التليفزيوني (أسرار أبو الهول) إن الملك «حين قرع» حكم طويلاً، ولكن المؤرخين أغفلوه أو تجاهلوه؛ ربما كان السبب هو أن الشعب المصري قد أرهقه الملك خوفو عشرين عامًا في بناء الهرم

الأكبر، ولم يعد عند أحد أدنى رغبة في مزيد من التقديس للملك خوفو اسمًا وجسمًا وأخًا!

ويتحدث المؤرخون عن الإرهاق الشديد الذي عاناه المصريون في تسوية الأرض من أجل إقامة «أبو الهول»، فقد هد حيلهم الملك خوفو، ويقال إن بعض المصريين قد كفروا بالملك فهو ككل الملوك بنى مجده لنفسه على أكتاف وأعناق وأرواح الشعب المؤمن.. ولذلك عاقب المصريون هذا الملك بنسيانه حتى جاء الباحث الفرنسي يحاول أن يغسل اسمه وسمعته ومكانته التاريخية.

يحترمــون الكاتــب..

أجدادنـا الفراعنة عندهم احترام عظيم للكاتب، لمن يحترف الكتابة، وكل أب ينصح ابنه بأن يكون كاتبًا محترمًا، والكاتب هو المستشار وهو الوزير.

ومن نصائح أجدادنا الفراعنة لأولادهم -من ألفي سنة وأكثر- ألا يكون جنديًّا؛ لأن الجندي يتعذب كثيرًا ويمشي مسافات طويلة عطشان جوعان إلى سوريا وإلى السودان، ثم إنهم يضربونه ويبهدلونه!

وألا يكون خبازًا، لأن الخباز يقف معظم الوقت أمام الفرن وأحيانًا يغلبه النوم فينام ويحترق منه الخبز ويلعنه الناس الواقفون وراءه!

وألا يكون (سايس) خيول؛ لأنه يعيش طول الوقت في الزريبة. ولأن طعامه يسقط من يديه فيسترده مع مخلفات الحيوانات.

وكان الملك سنفرو يطلب من زواره أن يبعثوا له بمن يحسن الكلام لأنه يحب سماع الكلام الحلو الذي يخفف عنه متاعب الحياة اليومية.. وكان الملك خوفو يطلب من أولاده أن يحكي له كل واحد منهم حكاية.

ومن العجيب حقًّا أن بعض الحكايات هي صور متقدمة من (ألف ليلة) أو صورة مبكرة جدًّا من (ديكاميرون) للأديب الإيطالي

بوكاتشيو. وبعض الحكايات قد ظهرت مقتبسة في التوراة أو منقولة حرفيًّا!

ومـن الغريب أن الملك سنفرو كـان شديد السخاء مع هـؤلاء المتحدثين ومن الممكن أن يشغلوه عن الحكم، ولـه عبارة مشهورة تقول: إن الجلوس إلى هؤلاء (الكتاب) أو المثقفين يساعد الملك على أن يبدع في تفكيره.

وقد حدث أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز –وكان شديد التقشف ويمسك يده عن كل الناس– أن لاحظ الشعب أنه يسرف في عطائه للعلماء فسألوه: كيف تمسك هنا وتبذل هناك. إنك يا طويل العمر تكيل بكيلين؟!

وقال الخليفة ما قاله الملك سنفرو قبله بأكثر من ألفي سنة: إن مناقشة العلماء هي تلقيح للعقول.. وإمتاع الملك حتى يكون عادلاً في حكمه على الناس وللناس.. فهو ينفق من أموال الشعب ومن أجل الشعب أيضًا!

بيـــب بيـــب روسيـــا!

أتذكر أنه في المعرض الدولي الذي أقيم في بروكسل كنا نجري لنرى مصدر صوت (بيب بيب) الذي ينبعث من الجناح الروسي سنة 1956، وكـان ذلـك الصوت هو سبوتنيك أول جسم فضائي يطلقه السوفيت، وكانت في المعرض السوفيتي كلاب. وقد ظن الناس أنها أخوات الكلبة (لايكا) التي أطلقها الروس في الفضاء. وماتت في السماء شهيدة الواجب وفداء للإنسان. وكانت لها أعجب وأغرب جنازة في التاريخ: فالنعش الذي ماتت فيه لايكا هو الذي يدور حول المشيعين في كوكب الأرض.. فالجنازة حارة والميت كلب -ولكن أي كلب.

ولم نعرف إن كانت روسيا قد أقامت للكلبة (لايكا) تمثالاً رمزًا لعملها البطولي ومن بعدها حيوانات أخرى قبل أن تطلق روسيا جاجارين -أول إنسان.

وبريطانيا أقامت نصبًا تذكاريًّا للكلاب والخيول والبغال والقرود والحمام والحشرات التي ساعدتها في حروبها -وماتت جميعًا في ساحة القتال.

وبرغم احتجاج جماعات الرفق بالحيوان فإن روسيا لم تعتذر عن موت (لايكا).. وذكرت أن مثل (لايكا) مئات الألوف من الكلاب والقطط والفئران تموت.. ولولاها ما عرف الأطباء أضرار وفوائد العقاقير التي يساعدون بها الإنسان على أن يعيش وأن يتقدم في علاج الحيوان والإنسان.

وفي الأسبوع الماضي أقامت حكومة الصين نصبًا تذكاريًّا لم يخطر على بال أحد، لقد كان النصب التذكاري لفئران وقرود وخنازير وأرانب المعامل التي وهبت حياتها للبشرية، وذكرت الصحف الصينية أن العلماء والأطباء في الصين قد انصرفوا عن إكمال أبحاثهم عن أسباب مرض (السارس) الخاص بالتهاب الجهاز التنفسي لإحياء ذكرى الحيوانات التي قدمت أرواحها من أجل العلم.

وكانت جامعة (ووهان) الصينية قد شيدت نصبًا تذكاريًّا في الشهر الماضي لثمانية وثلاثين قردًا ماتت جميعًا بسبب التجارب القاسية التي أجريت عليها، وهكذا ماتت ملايين الحيوانات حتى يعيش الإنسان فلها الشكر من الرخام والحديد لكي تبقى ألوف السنين.

لابـد من البحـث!

كل عشر أو عشرين سنة يتجه العلماء إلى البحث عن شيء مجهول معقد.. خرافي.. أو حقيقي فطبيعة الإنسان أن يعرف، ولكي يعرف لابد أن يستخدم عقله ويقلب في الدفاتر القديمة يتساءل: وأين وقفت سفينة نوح؟ وأين غرقت قارة أطلانطس؟ وما هي حقيقة (مثلث الرعب) في المحيط الأطلسي الذي تغرق عنده السفن وتسقط فوقه الطائرات ولماذا؟!.

وقد فسر علماء النفس حرص الإنسان على معرفة حقيقة الحياة على الكواكب الأخرى، بأن الإنسان قد ضاق بالأرض وضاقت به.. وأنه جاد في البحث عن وطن بديل، مع أن الإنسان إذا ذهب إلى أي مكان فسوف يبقى كما هو..

فالإنسان الأوروبي الذي هاجر إلى أمريكا هربًا من الاضطهاد قام باضطهاد الزنوج والهنود الحمر -فهو لم يتغير- أكثر من ذلك أنه في المحطة المدارية الدولية حاول أحد الرواد الروس الاعتداء الجنسي على رائدة فضاء فرنسية وكاد يقتله رائد ياباني!

والحقيقة أن الإنسان حيوان باحث.. يريد أن يعرف ومن السهل أن يفهم ما حوله.. أما الصعوبة الكبرى فهي أن يعرف نفسه.. جسمه.. عقله.. ووظائفه العضوية.. ولو قابلت عالمًا متواضعًا لوضع ألف علامة استفهام وتعجب كيف يعمل العقل وكيف تعمل الغدد داخل

الجسم الإنساني، وكيف أن العلماء المتواضعين ليسوا على يقين من معلوماتهم، فلا يزال العقل والجسم لغزًا.. ألف لغز، وبعض العلماء يقولون لك: إن الأصل هو الخلية الحية والخلية بما فيها من كهرباء وطاقة ونظام وبرامج هي أعظم ألغاز الكون.. وعلماء آخرون يقولون وكأنهم يريدونك أن تركع وتسجد لعظمة الله وعجز الإنسان: إن الفيزياء والكيمياء الحديثة تبحث في الخلية التي هي حجمها هو واحد على ألف مليون من المليمتر -تصور.. وأن هذه الخلية تتحرك بسرعة واحد على ألف مليون من الثانية!! إن تحت جلدك ملايين الملايين من قارة أطلانطس ولكننا لا نعرف لها بابًا ولا شباكًا ـ سبحان الله..

يفضلـن الرجــل!

لماذا تكره (المرأة الرئيسة) في العمل زميلاتها من بنات جنسها؟ لماذا تفضل المرأة أن يكون رئيسها رجلاً؟

نشرت (المجلة البريطانية لعلم النفس الاجتماعي) دراسة قامت بها جامعة ليدن الهولندية الشهيرة، وقد اعتمدت هذه الدراسة على سؤال مئات المدرسين والأساتذة وطلبة الدكتوراه.. وثبت من الدراسة أنه ليس صحيحًا أن المرأة أقل انضباطًا وليس صحيحًا أيضًا ما تقوله الرئيسة في أي عمل إن الرجل أكثر انضباطًا.

وكشفت هذه الدراسة أن هناك ظاهرة اسمها (ظاهرة ملكة النحل).

فالملكة في خلية النحل هي الأنثى الوحيدة التي تبيض، أما بقية النحل فلا هو ذكر ولا هو أنثى.. ولذلك لا يبيض على الإطلاق. وإنما أنثى واحدة وأم واحدة لكل الخلية، وأن أية رئيسة في العمل تحرص على أن تظل هي الأم الملكة، فلا تظهر أم أخرى أو ملكة أخرى.. ولذلك فالرئيسة في العمل، خوفًا على منصبها، فإنها تبدأ باضطهاد بنات جنسها.. ثم إنها تستعير أساليب الرجل في الرياسة.. فتكون أعنف وأغلظ على جنسها، وليس على الجنس الآخر..

ولاحظت الدراسة أيضًا أن الرجال الرؤساء يفضلون أن تكون الرياسات الصغيرة للمرأة وليست للرجل، فالرؤساء أيضًا خائفون على مناصبهم من الرجال وليس من النساء!

وأشارت الدراسة إلى أن العقوبات التي وقعتها المرأة الرئيسة على بنات جنسها أكثر من الجنس الآخر، وعندما لجأت الموظفات إلى القضاء أنصفهن القضاء في 85٪ من الحالات.. أي أن الرئيسة في العمل كانت ظالمة وقاسية..

وظاهرة (ملكة الخلية) معناها أن تبقى واحدة هي الملكة وهي الأم لمئات ألوف النحل التي هي خادمات وغسالات وكناسات أي مجرد آلات لامتصاص الرحيق وإفراز العسل..

فالمرأة الرئيسة ليس لها من عدو إلا بنات جنسها!

موتسارت والذئاب!

النباتات والطيور والحيوانات تشجيها الموسيقى -هذه نظرية علمية، فالنباتات والزهور والورود تتمايل طربًا لسماعها الموسيقى الحالمة، والأبقار تدر لبنًا أكثر، والأطباء ينصحون السيدات الحوامل بالاستماع إلى مقطوعات الموسيقار النمساوي موتسارت.. ليعتاد الجنين على الجمال والفن الرقيق، فإذا خرج من بطن أمه كان أكثر حرصًا على ذلك.

حتى الوحوش إذا استمعت إلى الموسيقى سكنت واسترخت، جاء ذلك في مجلة (لانست) الطبية عظيمة الاحترام. وكان العلماء قد جربوا موسيقى موتسارت على عدد من الذئاب والثعالب..

فليس غريبًا إذن ما وجدناه في كتاب صدر أخيرًا عن حياة السفاح السوفيتي ستالين، فقد وجدوا بالقرب من سريره أسطوانات لموتسارت، بل كان ستالين حريصًا على الذهاب متخفيًا إلى مسرح البولشوي، وكان الموسيقيون إذا عرفوا بوجوده تلخبطوا في العزف والغناء. وكان يستدعيهم ويعاقبهم. وكان ستالين الذي قتل من أبناء الشعوب السوفيتية أكثر من خمسة ملايين نسمة، يحاول العزف على البيانو وتأليف الأغاني، وقد نظم أغنية وطلب من كبار الموسيقيين تلحينها أمامه فورًا، ولم يعجبه اللحن، كما أنه طالب بعمل نشيد وطني فجاء أعظم الموسيقيين مثل شستاكوفيتش وخاتشاتوريان وفوروف، وسمع ألحانهم وصفق لها، واستمع إلى النشيد الفرنسي

(المارسيليز) والنشيد الإنجليزي (حفظ الله الملك) والنشيد القيصري الذي كان ممنوعًا.. ثم قال: إن فيها إبداعًا مذهلاً.. ولكن النشيد الوطني يجب أن يكون سهل الحفظ والأداء.. أما الإبداع والروعة والأبهة فلا تهم الجماهير..

ومن قبله كان الإمبراطور نيرون يهدئ أعصابه بالاستماع إلى الموسيقى أو عزفها -فقد هاجت أعصابه عندما احترقت روما، فراح يغني ليهدأ مع أنه هو الذي أحرقها، وكثير من اللصوص بعد أن يقتلوا ويسرقوا يجلسون يأكلون ويشربون ويستمعون إلى الموسيقى -فقد بذلوا جهدًا في النهب والسلب؟!

قطـــع يـــده!

هذا الرجل يستحق الاحترام وأن يكون قدوة للشباب.. فهو قد صنع المستحيل ونجا من الموت.. إنه أمريكي اسمه أرون رالسون نشر مذكراته وروى للناس تجربته الأليمة.. فقد تدرب كثيرًا على صعود الجبال.. وفي صعوده سقطت صخرة على ذراعه اليمنى وحاول أن يزحزح الصخرة فلم يستطع.. وظل يحاول ستة أيام في درجة حرارة تحت الصفر.. ولم يجد إلا حلاً واحدًا أليمًا.. لقد أمسك سكينًا وقطع أعصاب يده اليمني.. ثم العضلات.. ثم الشرايين.

يقول في مذكراته التي عنوانها «تحت صخرة فوق هوة سحيقة»: إن الله هداه إلى هذا الحل وهو أن يقطع ذراعًا لينجو بذراع أخرى وساقين، وأن يعود إلى الحياة يروي محنته وقدرته على الاحتمال والصبر الجميل.. وليكون بعد ذلك أول إنسان يتسلق الجبال ويبلغ القمة بذراع واحدة!

وقبل ذلك بثلاثين عامًا أصدرت الحكومة الكندية قانونًا يُحرم صيد الثعالب بالشراك التي تنطبق على إحدى سيقان الثعلب.. فيظل يقطع بأسنانه ساقه لكي يفلت بالثلاث الباقية.. ورأت أن هذا النوع من الشراك فيه أقصى درجات التعذيب.. فحرمت هذا الصيد الأليم.. وفضلت عليه أية وسيلة أخرى لا تؤدي إلى تعذيب الحيوان.. وقد وجد أحد الباحثين أن عددًا كبيرًا من الثعالب والذئاب والدببة قد لجأ إلى

الحيلة الغريزية نفسها.. وذلك بأن مزقت بأنيابها سيقانها لتنجو من الموت.. أي لتعيش مهما يكن الثمن.. أما الذي تفعله هذه الحيوانات إذا تعرض صغارها للخطر، فبطولات لا يتصورها عقل.. فكم من الغزلان الرقيقة الجميلة قاومت أسدًا ونمرًا شرسًا دفاعًا عن وليدها.. وهي معركة خاسرة.. لكن الأم قاومت وفشلت وماتت هي أيضًا دفاعًا عن صغارها التي استقرت في أحشاء الوحوش.. نموذج وعبرة وقدوة!

وأمهات الإنسان لا حدود لتضحياتها من أجل أولادها.. ومن هنا كان حب الناس جميعًا «لأمهاتهم».. وكان الفارق كبيرًا بين الأم وأية سيدة أخرى.. الزوجة أو الأخت أو الابنة!

هـــذه تجربتـــي!

في جميع الأحوال لابد أن تقرأ.. مبسوطًا كنت أو مكتئبًا لابد أن تقرأ.. وأن تقرأ ما يريحك فيمتعك.. وما تقرؤه بغير متعة هو بالضبط الذي لا يبقى في ذهنك.. والذي يستقر في ذهنك هو الذي تجده ضروريًّا.. لذلك من السهل استدعاؤه.. أما المعلومات التي تتساقط فهي التي ليست ضرورية.

أقول قولي هذا عن تجربة.. فأنا أقرأ في كل الظروف ومعظم أنواع وأشكال المعارف الإنسانية.. الذي أجد صعوبة في فهمه أبحث عنه في مستويات أدنى..

مثلاً: عندي اهتمامات فلكية.. وعندي كتب كثيرة.. فإذا استعصى فهم هذه الكتب لجأت إلى كتب أسهل.. كتب للشبان أو حتى للأطفال.. المهم أن أفهم.

وهيئة الفضاء الأمريكية -مثلاً- عندها مواقع على الإنترنت لأخبارها وبرامجها، للمتخصصين وللمدرسين وللشباب والأطفال.. وأنا أقرؤها من تحت لفوق ابتداء من الأطفال إلى المدرسين.. وهذه أقصى حدودي في علم الفلك.. ولكن ليست لي حدود في الفلسفة والأدب وعلم النفس والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم الجمال والسياسة.. ولا عذر مقبولاً لي ولك في أي وقت أن تقرأ.. بشرط ألا تكره نفسك على ما لا تحب أو ما لا تفهم.

وقد قال العالم الكبير أينشتين إنه يحسد مؤلفي القصص البوليسية لأنهم يعرفون الحقيقة ثم يدوخون القارئ لكي يعرفها.. أما أينشتين فلا يعرف الحقيقة.

وأستاذنا الفيلسوف الوجودي هيدجر قال: إنني أركع أمام سيدتي وأنتظر.. لعلها تجود بشيء.. والذي تجود به قليل!

إن سيدته وسيدتي هي: حقيقة الأشياء.. وهو يزود نفسه بالصبر حتى يفوز بالقليل.

أما نحن في طفولتنا فكنا نهيم على وجوهنا كالحيوانات في الشوارع، تأكل من خشاش الأرض.. فننحني على أية ورقة.. ننفض عنها التراب أو بقايا الطعمية لكي نقرأها.. فلا كانت عندنا كتب ولا مكتبات.. فإذا لم نقرأ فعذرنا كما ترى.. أما الآن فلا عذر لأي أحد ألّا يقرأ كثيرًا في أي موضوع.. فإن لم تكن هذه هي الثقافة، فهي إحدى الطرق إليها.. المهم أن تقرأ فلا عذر مقبولاً لك!

نفــرض مجــرد فــرض!

نفرض أن أحد سكان الكواكب الأخرى هبط إلى الأرض.. واختار من الأرض منطقة الأهرامات.. لأنها أبرز معالم الفن المعماري الإنساني -نفرض- وأراد أن يعرف أهل هذه المنطقة ثم عن طريقنا يعرف حال سكان كوكب الأرض.. ولم يجد أسهل من التليفزيون، ولم يفهم، فاتجه إلى الإذاعة ولم يفهم، فأمسك الصحف المصرية وراح يقلب فيها يمينًا وشمالاً، ويتوقف ثم يقلب ولم يفهم من نحن وعلى أي شيء نعيش.. وما الذي يشغلنا وما هي قضيتنا؟ وإذا عرف قضيتنا وحاول أن يجد أساليبنا في حلها، فلم يفهم -مثلنا تماما- فما الذي يفعله؟

لابد أن يطير إلى بلد آخر.. ولتكن أمريكا وبعدها اليابان والصين وألمانيا وبريطانيا وفرنسا.

أما أنه لم يفهم من الدنيا التي حولنا فهذا واضح جدًّا، فأنت أيضًا لا تعرف بالضبط إن كنا جادين أو هازلين.. ما هو الذي نقوم وننام على رؤيته، بلاش شهر رمضان، وإنما أي شهر آخر.

إن كل البرامج التليفزيونية قائمة على أساس واحد: أن المشاهد يريد أن يتسلى. يتسلى عن ماذا؟

يتسلى عن مشاكله؟ أي بدلاً من أن يحلها فإننا يجب أن نفرفشه حتى يجتاز هذه المحنة، وهي أن يجد حلاً لمشاكله في الفكر والعمل

وتطوير الحياة اليومية والعلمية.. إن المشاهد كالقارئ هو شهريار، ومهمتنا جميعًا أن نغني له ونرقص له حتى لا يقتل إحدى زوجاته.. ودون أن نسأل أنفسنا هل هو شهريار حقًّا؟ ومن الذي جعله كذلك؟ ومن الذي رسم وارتضى له هذا الدور؟

إننا عادة لا نسأل، وعادة لا نفكر، وإنما فقط نريد أن ننشغل أيضًا عن التفكير من الهم والغم، فكل ما يهمنا ألا يغضب أحد من آخر.. وألا يوجع دماغه في حل فوازير السياسة والاقتصاد. وإنما أن يحل فوازير رمضان..

وهو شهر الصيام عن التفكير والتدبير.. وإذا كان هذا كل همنا في دنيانا فما قيمة هذه الحياة؟ وما قيمتنا نحن والدنيا من حولنا تتقدم وتنتقل من كوكب إلى كوكب إلى نجم ونحن لانزال نرصد الهلال بالعين المجردة؟

طبيعي جدًّا ألا يفهمنا أحد.. لأننا لسنا قادرين على فهم أنفسنا ولا نريد أيضًا.

شكـــوى الطلبـــة عندنـــا!

أقرأ بلغات عدةِ الصحف والمجلات كل أسبوع.. وطوال السنة.. فلم أر ولو مرة واحدة شكوى الطلبة من الامتحانات.. أو أنها جاءت خارج المقرر.. ولا مرة.. ولا قرأت أن وزيرًا قرر تخفيف الامتحانات ومعاقبة الأساتذة الذين وضعوا الأسئلة.. ولا قرأت تصريحًا مهينًا بأن يقول وزير التربية والتعليم: إن نتائج الامتحانات سوف تكون في العام المقبل أفضل.. كيف؟ وعلى أي أساس أصدر هذا الفرمان؟ ولا سمعنا ولا رأينا ولن نسمع ولن نرى أن يحصل طالب على 100٪ من الدرجات و120٪ إلى آخر المهزلة التعليمية التي مرت بها مصر.. أو لم تمر بها، وإنما غرقت فيها!

يعني كل تلميذ لم ينجح فليس هو السبب، وإنما هي الفصول التي ازدحمت بالتلامذة والطلبة بالمدرجات.. وأن الطالب لم يتلق دروسًا خصوصية.. وأنه لم يدفع.. فإذا نجح ابن أحد المدرسين فهو غشاش، وكل الناس غشاشون، فلماذا لا يغش الطلبة؟ وكل الناس مزورون فلماذا لا يكون هناك تزوير لمصلحة الطلبة؟!

وفي اللعب أيضًا.. فاللاعبون يشكون من المدرب ومن المشرف الخواجة.. فإذا انتصروا فهم السبب، وإذا انهزموا فالخواجة.. أو المدرب أو المشرف.. يعني أن اللاعبين في كل الأحيان –تماما كالتلامذة والطلبة– أبرياء.. وأنهم ضحايا.

المهم أن يهرب كل إنسان من المسئولية ومن الغلط.. وأن الدنيا كلها تتآمر على التلميذ والطالب واللاعب.. وأن الدنيا كلها وقفت على أطراف أصابعها من أجل أن يرسب الطلبة وينهزم اللاعبون وأن تفلس الدولة وألا تجد الماء وأن تجد السحابة السوداء وألا تجد البترول وأن تنسد قناة السويس.

أما نحن فلا حول لنا ولا قوة ويكفينا فخرًا وشرفًا أننا ضحايا وأننا سوف نبقى كذلك.. ومن حولنا الدنيا كلها تتقدم وتتحدى ونحن محلك سرا

غلطة التعليم!

يا ولداه! لقد وقع الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في مطب ولم تمتد إليه يد واحدة لإنقاذه، لقد هاجمه وزير التعليم وهاجمه النقاد وأعداء الملكية في البلاد..

والذي حدث أن إحدى الموظفات عنده تظلمت، فقد تخطوها في الترقية، فذهبت إلى القضاء تشكو من التفرقة الجنسية بين رجل وامرأة، ثم قدمت للمحكمة تأشيرة الأمير على شكواها، أما التأشيرة فتقول: إيه اللي جرى للناس في هذا الزمان؟ فكل واحد يريد أن يكون شيئًا كبيرًا دون أن تكون عنده القدرة أو المؤهلات على ذلك..

وقال أيضًا في شرح ذلك للناس حوله: إنها غلطة التعليم في بلدنا.. الذي يعطي لكل طفل الحق في أن يحلم بأن يكون أي شيء وبلا مجهود ـ انتهى كلام الأمير وبدأ النقد العنيف له.

قال وزير التعليم: إيه ده اللي انت جاي تقول عليه؟ من أنت؟!

من أي عصر حجري ظهرت لنا؟ إنك هكذا تحجر على أحلام وطموحات أي مواطن..

وقال آخرون: إن الأمير ليس في حاجة إلى مدرسة يحلم بها وإنما هو في حاجة إلى مستشفى الأمراض العقلية.. وتراجع الأمير وسحب كلامه، قائلاً إنه لم يقل ذلك، وإنما وضعه الناس على لسانه، إنه قد خدم الشباب ثلاثين عامًا، فكيف يقول كلامًا هكذا، والحقيقة أن

الأمير قال، ولم يتصور أن كلامه سوف يكون مادة صحفية مزعجة، حتى وزير التعليم البريطاني قد خفف من كلامه الذي أحرج الوزارة وأوجع الأمير..

وقبل ذلك وقع الأمير كثيرًا في أخطاء محرجة للدولة، وليس من حقه أن يجاهر بهذه الآراء.. وإذا قال فعليه تبعة ذلك، وأنقذوه كثيرًا في نقده للفن والعمارة وموقفه المستنير من الدين الإسلامي والمسلمين..

ولكن هذه المرة كانت غلطته أكبر، فهو لم ينصف مظلومة، وإنما استنكر أن تشكو من ظلم الرجال لها..

وهاجم البرامج التعليمية التي تريد للصغار أن يطيروا بلا أجنحة، بل لم يجد أن من حق الطيور أن يكون لها أجنحة، وسألوه: من أنت ومن أي كهف خرجت علينا؟!

دورة شهريـــة للرجـــل!

نظرية تقول: إن للرجال (دورة) شهرية كما للنساء. والدورة عند الرجل أن يشعر بإرهاق شديد ليس له سبب واضح. ولذلك فهناك جهاز صغير يمكن أن تضعه في جيبك وتسجل تاريخ ميلادك، والجهاز يظهر حالتك الجسمية والنفسية، هذا الجهاز تستخدمه شركات السيارات، فلا تسمح للسائق بأن يعمل إلا إذا أشار الجهاز بلياقته النفسية والجسمية..

وفي الأسبوع الماضي تقدم اتحاد السائقين الإنجليز باحتجاج رسمي على وزارة الداخلية وقوانينها الصارمة، يؤكد أنها السبب الحقيقي لكل حوادث الطرق، فقوانين وزارة الداخلية تحذر السائقين من تجاوز السرعة، وتحذر من أن الطرق مرصودة بالرادار، وأن السائق لا يمكن أن يفلت من العقاب.

وتؤكد الإحصائيات أن السائق كلما أسرع نقصت حوادث الطريق، وكلما أبطأ زادت الحوادث!! ففي العجلة السلامة وفي التأني الندامة!

فحوادث الطرق بسبب السرعة هي 3٪ بينما الحوادث بسبب البطء تساوي 37٪ لماذا؟ لأن السائق ينام من شدة التعب. والتعب يجيء من الملل.. والملل يجيء من أن سرعة السيارة لا تتغير.. لا السيارة التي يقودها ولا التي أمامه ولا التي وراءه. وهكذا يبدو الطريق كله

مملاً لا حركة فيه ـ لا سيارة تسبق سيارة أخرى ولا واحدة تنطلق ولا أحد يسمع جهاز تنبيه، كأن الطريق كله قد كبس عليه النوم.

التعب أيضًا بأن يكون السائق مرهقًا أو مخدرًا أو مخمورًا، ولكن أهم من كل ذلك أن السائق يريد أن يهرب من هذا الطريق الممل.. وأن تنتهي رحلته!

كما أعلن اتحاد السائقين الإنجليز أن هذه العوائق الصارمة هي المسئولة وحدها عن حوادث الطرق.. ولو سمحت اللوائح ببعض التجاوزات لأراحت السائقين وأنعشت نشاطهم.. كما طالب اتحاد السائقين الدولة بتوفير جهاز اكتشاف التعب حماية للسائقين والمواطنين..

وفي بحث للبروفيسور ريتشرد ماكبريدج أن معظم الأخطاء التي يقع فيها كثير من العاملين في الدول ليس سببها الجهل ولا التسرع، وإنما سببها أن العامل قد تعب.. وأن وظائفه البيولوجية قد قررت أن تأخذ منه إجازة بالقوة.. وكان من نتيجة ذلك الوقوع في الخطأ..

الحديث النبوي يقول: «**إن لبدنك عليك حقًا**»....!

البخيــــل بطــــلًا!

هناك قصة فلكورية عن البخل. أو عن رجل بخيل يبدو فقيرًا، فتمتد إليه أيدي الناس الطيبين بالحسنة فيأخذها، وهناك أمثلة يتناقلونها ـ في كل مدينة أو كل منطقة..

حكايات عن بوابي العمارات الجديدة، نجد أمامها واحدًا جلس على الكرسي نائمًا أو كأنه.. ويظن المارة أنه شحاذ، وإن كان لا يمد يده فيعطونه ويشكرهم، مع أن بوابي العمارات الجديدة يدفعون مبالغ كبيرة من أجل الحصول على هذه الوظيفة المربحة..

ومن أيام قامت صحيفة (ديلي ميل) البريطانية بحيلة ظريفة، فقد اختارت مائة من أغنى الأغنياء في بريطانيا وبعثت لكل منهم شيكًا بجنيه واحد عن طريق إحدى الشركات الصغيرة، وراحت الصحيفة ترصد ما الذي سوف يفعله أصحاب الملايين بهذا الشيك، فوجدت أن تسعين منهم أهملوا الشيك أو مزقوه، ولم يبعثوا به إلى البنوك ليضاف إلى حساباتهم، عشرة فقط هم الذين أضافوا الشيك إلى حسابهم، فرئيس الوزراء توني بلير لم يحول الشيك إلى حسابه، بينما زوجته شيري بلير قد أضافته إلى حسابها..

وراحت الصحيفة تسألهم.. فواحد يملك مئات الملايين قال: إنني لم أكسب الملايين إلا بسبب احترامي للجنيه!

وواحد قال: رزق أرسله الله، فكيف لا أحتفظ به.. ثم أشكره على ذلك!

وبعض أصحاب الملايين، ومن بينهم ولي العهد الأمير تشارلز اتصل بالشركة التي بعثت بالشيك ليشكرها ثم يحتفظ بالجنيه!

أما صاحب الملايين النموذجي فهو الذي اتصل بالشركة الصغيرة وشكرها.. ثم بعث بالشيك ليضاف إلى حسابه الذي هو ألف مليون جنيه؟!

وهناك مثل إنجليزي يقول: احرص على القرش، أما الجنيهات فسوف تهتم بنفسها!

فماذا تفعل أنت إذا جاءك هذا الشيك من مجهول؟ أنا شخصيًا أشكر المرسل وأتبرع به!

لماذا تقدم الأمريكان!

يتساءل د. يوسف توفيق من واشنطن: لماذا تقدم الأمريكان.. ولماذا نحن كما نعرف ونأسف على ذلك؟

لقد وجد أن هناك أسبابًا كثيرة، ليس أقلها أنهم يعملون معًا. جماعة، روح الفريق، لا أحد يعمل وحده ومن دماغه. كل شيء له خطة، له نظام، وهم جميعًا في تشكيل عمل، تمامًا كالجيش فالطلبة في المدرسة لابد من القيام بأعمال جماعية.. تمامًا كفريق كرة القدم.. الكرة هنا وهناك من قدم إلى قدم ومن رأس إلى قدم حتى المرمى.. فلا أحد يأخذ الكرة ويجري بها من أول الملعب. ويقول أيضًا: لابد من العمل الجماعي حتى لو كانوا يكرهون بعضهم البعض، فهذه الكراهية يخلعونها بعيدًا ليتفرغوا لإنجاح هذه المهمة التي ترقى إلى مستوى القداسة..

ويقول د. فريد زين الدين المقيم في لوس أنجلوس إنه بعد الإقامة الطويلة في أمريكا قد أيقن أنهم لابد أن ينجحوا في أي عمل، لسبب بسيط: لأنهم يعرفون (ماذا) يعملون و(متى) يعملون و(كيف) يعملون ـ فكل شيء واضح من أوله لآخره. مع دراسة مسبقة؛ كم من الوقت يستغرق هذا العمل.. ثم بناء عليه يتخيلون النتائج بعد سنوات.

ومن د. أوديت سليمان أنها عندما كانت تتفرج على الأفلام الأمريكية وترى حركات العمال والمهندسين في مواقع العمل كانت

تعتقد أن الذي تراه تمثيل في تمثيل، فلا أحد يستغرقه التفكير إلى درجة أن ينسى نفسه.. ولكن عندما عاشت وعايشت في أمريكا طويلاً وجدت أن هذه هي ملامح العامل الأمريكي.. الصغير والكبير.. فالعمل استغراق تام؛ ولولا ذلك ما تقدمت أمريكا وسبقت الدنيا.

ومن د. أنور شاهين من شيكاجو أنه عندما التحق أحد أبنائه بالجامعة كان يشكو من الإرهاق بسبب العمل المتواصل والتردد المستمر على المكتبة العامة وأنه لا يجد وقتًا لكي يذهب إلى السينما.. ولكن بعد شهور توقفت الشكوى وبدأ ابنه يتحدث عن متعة العمل وجمال الانضباط والاحترام المتبادل..

إذن لكل هذه الأسباب تقدموا، ولغياب هذه الأسباب صرنا إلى ما نحن عليه!

قصة من كل واحد!

هذه فكرة جميلة، فقد صدر كتاب في 15 لغة بعنوان (أحكي لك حكاية)، صاحبة الفكرة هي أديبة جنوب إفريقيا نادين جورديمر (81 سنة) التي فازت بجائزة نوبل سنة 1991 فقد طلبت من عدد من كبار الأدباء في العالم أن يسهموا بقصة في هذا الكتاب لكي تساعد مرضى الإيدز، وعددهم في قارة إفريقيا 38 مليونًا.

وفي استطاعة كل دولة أن تفعل نفس الشيء، في مصر نستطيع أن نساعد مرضى السرطان والكبد الوبائي والفشل الكلوي.

وفي مقدمة كتاب (أحكي لك حكاية) تعتب الأديبة جورديمر على الرئيس الأمريكي بوش أن المبالغ التي رصدها لعلاج الإيدز ليست كما كانت تتمنى.

فقد اعتمد مبلغ 15 ألف مليون. ووقفت بقية الدول تتفرج، وتقول إن عددًا من المطربين أقاموا حفلات غنائية راقصة وجمعوا الملايين من الحفلات على الهواء والكاسيتات، أما الأدباء فلا يستطيعون أن تكون لهم هذه الجهود الفردية؛ لذلك كان لابد أن تجد حلاً أو أسلوبًا آخر، فكانت هذه الحفلة الأدبية الفخمة، بأن جمعت قصصًا بديعة لكبار الأدباء في أمريكا وبريطانيا.

صحيح أن الأوروبيين قد نقلوا إلى سكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر كل أمراض الحضارة الغربية، وقد ثار الهنود الحمر

والسود على أوروبا عندما احتفلت بذكرى كولومبوس ذلك السفاح الذي قتل وأحرق وطغى وبغى!

وتقول جورديمر إن علاج الإيدز وأمراض أخرى لا يزال ممكنًا. ويمكن تحويل ثمن الدبابات والصواريخ ذات الرءوس النووية إلى المستشفيات والمنكوبين في صمت، وأكثرهم من الأبرياء. ولكن مصائب الدنيا قد استفحلت بسبب صمت هؤلاء الأبرياء.

فإن لم يكن هذا الكتاب هو العلاج الشافي، فهي فكرة ومناسبة رفيعة المستوى لعمل شيء نبيل، المهم أن نعمل وألا نتفرج على ويلات الناس في قارتنا السوداء التي ابتليت بمصائب كثيرة، ليس أقلها غزو الرجل الأبيض!

وهذه فرصة متواضعة كي يكفر عن بعض خطاياه!

الريس: صح..

كان إلحاحي شديدًا على أن استخدامنا كلمة (التصنت) خطأ لغوي، فالفعل أنصت ينصت إنصاتًا، ولذلك نقول تنصت تنصيتًا، حتى عدلنا عن استخدام هذه الكلمة الخطأ، وكان إلحاحي على أن سكرتير عام الأمم المتحدة اسمه (أنـان) وليس عنان، التليفزيون المصري لا يزال يصر على أنه (عنان) وبعض الصحف الكبرى أيضًا، والاسم بهذه الصورة موجود في الكتاب المقدس!

ومن الأخطاء اللغوية أن نقول: الشارع الرئيسي، والصحيح الشارع الرئيس.. والمبنى الرئيس ونقول رئيس الدولة، ولا نقول رئيسي الدولة تمامًا كما نقول: البيت الكبير ولا نقول البيت الكبيري، وكل الدول العربية تستخدم كلمة الرئيس وصفًا وليس الرئيسي وصفًا للوصف!

وكلمة (الريس) لغويًا فصيحة، تمامًا مثل كلمة القيم.. والشاعر القديم يقول: إن الشعوب تهدى إذا استقام ريسها تهدى الرعية ما استقام الريس..

ويسألني د. أسامة خلف الله من إيطاليا عن أصول بعض الكلمات العائلية.. واختار منها اسم (برعي) وأنا أعتقد أنها كلمة فرعونية، لأن الفرعون جاءت من كلمتي (بر-عو) ومعناها البيت الكبير.. فهو (برعي) أي هو من البيت الكبير أو هو كبير..

ونحن نقول البيت الأبيض ونقصد الرئيس الأمريكي، وداوننج ستريت ونقصد رئيس الوزراء توني بلير.. ونقول الإليزيه ونعني الرئيس شيراك.

وكنا قبل ذلك نقول (الباب العالي) أي السلطان العثماني، وكنا في مصر نقول (قصر الدوبارة) ونقصد المندوب السامي، أي السفير البريطاني.. ونقول (قصر بعبدا) ونقصد الرئيس اللبناني لحود.. ونقول (الكرملين) ونقصد الرئيس الروسي بوتين.

وفي اللغة القبطية والعربية الحديثة كلمات فرعونية كثيرة تملأ هذه الصفحة، وبعضها غيرناه وحرفناه ومصرناه، حتى لم نعد نعرف لها أصلاً!

أبـــو العيــــش!

هل سمعت عن خبير مصري اسمه د. إبراهيم أبـو العيش؟ أنا شخصيًا لم أكن أعرفه ولا حتى عندما نشرت الصحف أنهم أعطوه جائزة نوبل بصفة خاصة، أدهشني ذلك، وحاولت أن أعرف المعنى والسبب. وقابلت الرجل صدفة في حفل للجامعة الأمريكية وابنه السياسي الشاب حلمي أبو العيش.

وذهبت لأرى مشروعه الكبير قبل مدينة بلبيس أو بعدها، لا أعرف، ودخلنا حدائق ومزارع وغابات ورأيت بيوتًا، لا هي أكشاك ولا هي بيوت، وإنما هي بسيطة وجميلة، وأخذ د. أبو العيش يحكي أنه بدأ بنصف فدان من ثلاثين عامًا، وهو يتكلم بغير حماس، كأنه يروي لك جدول الضرب، بديهيات.

أما نظريته فهي أن يأكل الناس ويشربوا كل ما هو صحي، أي طعام لم تدخله كيماويات الحفظ أو المبيدات الحشرية التي تسمم الفاكهة والخضراوات والألبان والأعشاب واللحوم والعسل، فقد نجح د. أبـو العيش في أن يحقق الصحة والعافية لجميع العاملين في مزارعه ومصانعه (2500 عامل وموظف) في محافظة الشرقية وفي 800 موقع في أنحاء الجمهورية وفي أرض مساحتها ألوف الأفدنة، نجاح تام وفي صمت تام؟!

فلا من شاف ولا من سمع، ولكن منتجاته تملأ كل الأسواق وإن لم يكن أحد يعرف إبراهيم أبو العيش.

دعانا إلى غداء، وكانت المائدة صغيرة تضم زوجته النمساوية وابنه وزوجته النمساوية أيضًا، قليل من العدس وقليل من السلطة وقطعة سمك قد اقتسمتها مع السيدة حرمه، وبسرعة جاءت سلطة الفاكهة وقالوا تحب تشرب إيه، شاي أسود.. شاي أخضر؟

وعلى الرغم من أن اسمه إبراهيم أبو العيش فإننا لم نجد لقمة عيش على المائدة ولا أحد طلب، ولو طلب فلن يستجيب له أحد، وهذا بالضبط أسلوب د. أبو العيش، هو قرر وهو نفذ القرار، لا تدخين ولا كحول. واضرب دماغك في الحيط!

ولما شكا السائق والحارس من ضآلة هذه الوجبة، اندهش د. أبو العيش واندهش أكثر عندما قيل له: إن هذه الوجبة رمزية لدرجة أنه إذا تناولها أي إنسان في رمضان فسوف يظل صائمًا!

وكان صمت د. أبو العيش نموذجًا للإصرار على رأيه وموقفه ووحدة القرار النهائي الذي لا راد له ولا رجوع عنه!

مصر عدو أبدي!

ليس ما يقوله شارون ليلاً ونهارًا هو الرأي العام في إسرائيل. إنه رأي حزب متشدد. ولكن هناك أحزابًا أكثر تطرفًا. وقد قرأت حديثًا مع السيدة جوئيلا كوهين عضو الكنيست والتي مزقت اتفاقية كامب دافيد. وكان لي معها حديث طويل في بيتها، وهي من هؤلاء المتطرفين الذين لا يثقون في مصر ولا في السلام، ويصرون على أنها العدو الأكبر والتقليدي.

وقد رأيت في صحيفة (جيروسالم بوست) رسمًا كاريكاتوريًا للرئيس مبارك مع شارون.. وشارون قد تأبط خطة الانسحاب من غزة.

وتحت هاتين الصورتين جاءت العبارات: مصر خصم كبير لإسرائيل. فهي تكن لنا أقسى وأقصى العداوة والكراهية التي تنبعث من الشعب المصري، فإذا جعلنا مصر تشارك في خطة فك الاشتباك بين إسرائيل والشعب الفلسطيني، فسوف يكون ذلك وبالاً على إسرائيل.. ومهما كان السلام باردًا مع مصر فإن هذا السلام في خطر، إذا مصر شاركت في عملية الانسحاب من غزة ومهما كان دور مصر صغيرًا في عملية السلام.

فإذا صارت لمصر قوات لحفظ الأمن في غزة استحال علينا ضرب حماس أو أي فصيلة فلسطينية أخرى. فإذا هاجمنا غزة وبها جنود مصريون فهي الحرب مع مصر ومع كل العرب. وقد حذرتنا التوراة من القتال مع مصر (سفر التثنية، الإصحاح 17 والآية 16).

ورجعت إلى التوراة وإلى سفر التثنية، ووجدت هذه الآية غير المفهومة التي احتج بها الخائفون من مصر ومن السلام معها تقول الآية: ولكن لا يكثر له الخيل ولا يرد الشعب إلى مصر لكي يكثر الخيل، والرب قد قال لكم: لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق أيضًا؟!

ورغم مثل هؤلاء المتشددين المجانين فقد استطاع السادات أن يحقق السلام مع بيجين.. ومن الممكن أن نمضي في طريق السلام، وهذا يحتاج إلى جهد عظيم في الوقوف معًا من أجل حياة وكرامة أجيال فلسطينية قادمة!

18 تحفظًا عليها!

أكثر الذين يتحدثون عن (خريطة الطريق) لم يقرأوها بأي لغة ـ بما فيها اللغة العربية، فهي شديدة التعقيد والغموض ومن الصعب أن تنتقل فيها من سطر إلى سطر.. ولكي تصل إلى النهاية فإنك تحتاج إلى عمر ثان ـ عمر القضية الفلسطينية. وقد أشاع شارون أن له 18 تحفظًا عليها. ومن الممكن أن يكون 180 تحفظًا. فهو لم يذكر هذه التحفظات ولا أين موقعها من الخريطة ـ أي أنه من الآن وقبل أن يقرأها أي أحد له اعتراضات عليها.

هذا إذا كان هناك أحد يستطيع أن يجلس إليه ويفاوضه بلا قيد ولا شرط..

وإذا كان الذي يفاوضه يحظى بقوة مطلقة على الشعب الفلسطيني ـ إن كان هناك رأي واحد بين الفصائل الفلسطينية. وإذا استطاع الرئيس المنتخب أن يبقى على مقعده دون أن يلقى ما لقيه عرفات من سجن انفرادي!

هذا إذا استطاع أن يسكت المدافع والقنابل والسيارات المفخخة! وألا تقع أحداث على الحدود بين إسرائيل وفلسطين أو بين إسرائيل ومصر.. وإذا لم يرتكب الأمريكان حماقات تثير العرب والمسلمين في كل مكان و«تكفر سيئات» الشعب الفلسطيني أيضًا!

إن الشعب الفلسطيني في حاجة إلى مرونة؛ لأن شارون ليس جادًّا تمامًا، هو يقول إنه جادٌّ وإنه يريد.. وعلى الشعب الفلسطيني أن

يصدقه وأن ينسى الماضي الذي يزحف بالحديد والنار والدم والدخان على الحاضر والمستقبل أيضًا.

فليس صعبًا اختيار رئيس للشعب الفلسطيني، ولكن الصعب هو أن يكون لشعب فلسطين رأي واحد وقرار واحد ورغبة مؤكدة في الحل ـ أي حل مؤقت تمهيدًا لحلٍّ نهائي.. بعد سنة، بعد خمس، بعد عشر سنوات. ولا أظن أن هناك حلاً مؤكدًا في حياة بوش وشارون و«أبو مازن».

وليس أسهل من مثل هذا الكلام، وما أصعبه على شعب يريد أن يكون شعبًا وأن يكون حرًّا مثل كل الشعوب!

إنـــه متواضـــع!

التواضع فضيلة إلا في حالة الأستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد. وقد دعاني الأستاذ مصطفي نجيب حين كان رئيسًا لوكالة أنباء الشرق الأوسط، فأسعدني أن أجد الأستاذ مجاهد هناك. ولم أكن أعرف أين هو. وأدهشني أن أحدًا لا يعرف قدره الأدبي والشعري والفلسفي. ولا هو الآن، ولا كان حريصًا على أن يتنبه أحد إلى ذلك. فما الذي يسعده؟ يسعده ما يمتعه. وما يمتعه هو أن يقرأ ويترجم ويكتب وينظم، ولو لم يكن هناك أحد يتابع ذلك، إنها مرتبة رفيعة من التفاني في العلم!

ولا أستطيع أن أعرض أو أستعرض ما أنجزه الأستاذ مجاهد مجاهد في دنيا الفلسفة وتاريخ الفلسفة والنقد الأدبي، وكلها قضايا متخصصة جدًّا.

ولذلك فالذين يقرأون له متخصصون أيضًا.. لا يهم، فهو يكتب ويقول كلمته ويمشي. ولكن عندما يواجهنا بهذا التدفق، نعرف إلى أين يذهب.. إلى كوخ.. إلى أحد الأديرة أو الأبراج العالية، فقد قرأ واستمتع وكتب واستمتع وأبلغ الرسالة واستمتع.

وهذا يكفيه جدًّا!

والأستاذ مجاهد مجاهد هادئ الحركة خفيض الصوت متواضع البسمة، يميل إلى الخلوة والعزلة، كما يقول الصوفية.. وبرغم أنه

عرض واستعرض ووقف واستوقف كل النظريات الوجودية الحديثة والقديمة إلا أن نصيبه من هذه الأفكار قليل جدًا. فهو عاش صوفيًا متبتلاً.

وأدهشني أنه سعيد بالجلوس إلى أحفاده –ولم أكن أعرف أنه تزوج وأنه كان أبًا، وأن أبناءه صاروا آباء أيضًا. ودهشتي سببها أن الشاعر المفكر مجاهد مجاهد هو الذي اختار لنا هذه الصورة الرهبانية الصوفية!

وكنت قد تحيرت في دراسة أكتبها حتى جاءني كتابه المترجم بعنوان (الحب والخلود) من تأليف بول تليش. وبالذات الفصل الأول من هذا الكتاب قد أضاء لي طريقي في إحدى القضايا الوجودية، والذي تصدرته آية من سفر (متى).. تقول عن السيد المسيح: صرف الجموع وصعد إلى الجبل منفردً ليصلي.. ولما صار المساء كان هناك وحده. أما الفصل فعنوانه (الوحدة والعزلة) وهو أروع وأجمل ما كتب الفيلسوف تليش ومن أبدع ما ترجم الأستاذ مجاهد الذي أدان نفسه وحكم عليها بالتواضع الشديد!

خمسة ملايين شجرة!

تلقيت مئات الرسائل من مصر ومن أمريكا وأوروبا وأبناء الدقهلية تشكر محافظ الدقهلية د. أحمد سعيد صوان على مشروعه الحضاري الراقي، وهو أن يزرع خمسة ملايين شجرة -بعدد سكان الدقهلية. فما أحوجنا إلى مزيد من اللون الأخضر. وما أحوجنا إلى أن نزحف على الصحراء قبل أن تزحف علينا وتشفطنا وتخنقنا في الوادي الضيق.

وكثيرون تقدموا باقتراحات وجيهة. فمعظمهم يرى أنه بدلاً من أن نزرع أشجارًا تزدان بها الشوارع والميادين، فمن الأفضل أن نزرع أشجارًا مفيدة اقتصاديًا، كأن نزرع النخيل، أو نزرع أشجار التوت.. وعلى أوراق التوت يعيش دود القز؛ فتزدهر صناعة الحرير الطبيعي في الدقهلية وفي مصر كلها أيضًا.

وبعضهم يرى أن نزرع أشجار الفاكهة! وأنا قد رأيت أشجار الفاكهة في كثير من الشوارع الأوروبية، ولكن يدًا واحدة لا تمتد إلى هذه الأشجار لأنها (مال عام) ولكن أشك في أن ننظر إليها هكذا في مصر.

إن غصنا من شجرة مثمرة امتد إلى داخل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في الزمالك، فأثار توفيق الحكيم قضية: هل لو مددت يدي وقطعت ثمرة يكون عدوانًا على حق الغير.. مع أن الثمرة هي التي جاءت إلى أطراف أصابعي وقالت لي أرجوك أن تأكلني؟!

وبعضهم تساءل: وهل زراعة الأشجار هي القضية الأولى في الدقهلية. ألا توجد هناك قضايا أخرى؟ والجواب: نعم هناك قضايا أخرى.

فما الذي يمنع أن نهتم بالأشجار والقضايا الأخرى في نفس الوقت؟!

ومصريون من كندا وأستراليا يسألون إن كان محافظ الدقهلية في حاجة إلى مساعدة أو مشورة أو بذور أو شجيرات من نوع خاص، فهم جاهزون وعلى استعداد للإسهام في هذا المشروع الجميل!

وقالت الطبيبة د. مها بولس الجرجاوي من بلجيكا: إنه لمنظر جميل جدًّا أن يزرع كل منا شجرة في المنصورة وتعلق في عنق الشجرة سلسلة بها اسم صاحب الشجرة.. الله على جمالها!

العب صغيرًا!!

اللعب غريزة عند الحيوان والإنسان.. والذي لا يلعب صغيرًا.. يلعب كبيرًا. هذا ما تعانيه اليابان. فالتربية والتعليم في اليابان تفرض على الطفل أن يدخل مرحلة الرجولة في سن مبكرة.. فكانت النتيجة أن الدولة التي تصنع اللعب لأطفال الدنيا.. أطفالها لا يلعبون.. لذلك يدمنون أشياء كثيرة في سن الشباب والرجولة.

يقول د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي في كتابه الذي أصدرته هيئة الاستعلامات «ألعاب شعبية ومهارية».. ورسمت لوحاته جيهان محمود: «اللعب وسيلة أساسية لنمو جسم الطفل ومهاراته، ويسهم في تكوين وجدانه وإمكاناته وقدرته على الابتكار».. والكتاب يتحدث عن ألعاب الأطفال. الذي أدهشني أن 90٪ من هذه الألعاب لم أعرفها لا طفلاً ولا رجلاً.. فكل ما أتذكره هو لعبة «الاستغماية» و«الكرة الشراب» و«صلَّح» بتشديد اللام.. أما هذه الألعاب التي جاءت في هذا الكتاب فلا سمعت ولا قرأت عنها. مثلاً: مين ساقك يا حماري.. وحبة ملح.. وشفت القمر شفته.. وأمواج البحر.. وبلحة بلحتين.. وأثاث المنزل.. والثعلب فات.. وضحك الديك.. وفي الصعيد: الطيحة.. والفرفيرة.. وصياد العدو.. وصندوق الدنيا.. والأسد والأرنب.. ومن يقترب من الشمس يحترق.. وكرة الدوبارة.. وغيرها.

ولم يقل لنا د. عبد الكافي إن كانت هذه الألعاب كلها في مصر أو في الصعيد أو في البلاد العربية.

وكل هذه ألعاب جماعية.. من عشرة ومن عشرين وثلاثين طفلاً.. وفي الهواء الطلق. أما الألعاب الإلكترونية الآن فهي فردية.. يلعبها الطفل ساعات وهو يأكل ويشرب وينام.. سواء في الكمبيوتر أو الموبايل أو البلاي استيشن.

وقد سألت الأطفال الذين أعرفهم فوجدتهم لم يسمعوا بهذه الألعاب.. فألعابهم في الأندية أو على الشاشة.. وهذا طبيعي.. وقد سألت طفلة إن كانت قد رأت البلاص أو القلة.. فقالت بسرعة: طبعًا.. فسألتها: أين؟ قالت: في التليفزيون.. وسألتها إن كانت تعرف لعبة الدكتور؟ فقلت لها: كنا نأتي بأحد الأطفال ونرغمه على أن يفتح عينيه ونضع فيها التراب.. لأنها لعبة طبيب العيون! تصوروا!

إننا ضحايا!..

أبدأ حديثي مع سيادتكم من حيث انتهيت في آخر مقال قرأته لكم:

«أما نحن فلا حول لنا ولا قوة ويكفينا فخرًا وشرفًا أننا ضحايا وأننا سوف نبقى كذلك.. ومن حولنا الدنيا كلها تتقدم وتتحدى، ونحن محلك سر -فكل القنوات الفضائية العربية التي تعلمت على أيدينا متقدمة وتأتي لنا بشكل جيد إلا قناتنا الفضائية محلك سر»!!

لذا أوجه نداء استغاثة إلى وزير الإعلام «الجديد» بخصوص وضع القنوات الفضائية المصرية. أذكر سيادتكم ببعض السلبيات التي أرى من الضروري التحقيق فيها والتخلص منها، مثلاً: نوعية البث للقناة فهي بألوان باهتة وأحيانًا معتمة. نشرات الأخبار، لا تذاع في ميعادها، بل دائمًا تأتي متأخرة.. طريقة قراءة النشرات الإخبارية تجلب للمشاهد النعاس وأحيانًا الاكتئاب بسبب شكل وطريقة «معظم» المذيعين والمذيعات.. وعدم إذاعة أي برنامج في الوقت المحدد له، وأحيانًا يلغى مع عدم الاعتذار أو التنويه.. منتهى الاستهتار وعدم احترام وقت المشاهد.. والإضاءة في الاستديو رديئة جدًّا. الديكور بدائي خاصة في البرامج الحوارية مثل (لقاء الجمعة) و(استديو الفضائية).

المهندس الزراعي السيد سماحة

مصري هولندي

لقد دارت مناقشة بيني وبين السيدة هالة أبو علم وشكوت لها من أن نشرة الأخبار (نائمة على روحها) وتغير الأداء وصحصح المذيعون والمذيعات.. أما بعض البرامج الحوارية فلا يزال بعضها خشنًا جافًّا وغير مفهوم أيضًا.

ليس في الفضائيات فقط وإنما على القنوات الرئيسية. وأضرب مثلاً برنامج (الجسر): بالضبط على أي شيء كان الحوار؟ أما أنهم يقولون ويتكلمون فصحيح. ولكن المعنى لا أعرفه. ربما كان هذا تجديدًا في البرامج أن يكون للحوار حلقة كلام وحلقة أخرى لشرح الكلام، وحلقة ثالثة تأكيدًا للكلام، أملاً في شرحه في حلقة رابعة! وكان بالإنجليزية الركيكة وهو الآن بالعربية (المنصوبة). فصحابة البرنامج، تجعل نهاية الكلمات منصوبة مهما تكن حروف الجر.. فهي منصوبة بأمر منها وليس بأمر سيبويه!!

دوخـــة زوجيـــة!

تتقدم إليكم شركة (...) المنتجة لعقار (ايستالوبران) الذي تفضلتم بالإشارة إليه والآثار الإيجابية الفعالة لهذا العقار، ونحن إذ نشكر لكم هذا التعريف بالمنتج الخاص بالشركة، وحرصًا من الشركة ووزارة الصحة على توافر الدواء، نحيط سيادتكم علمًا بأنه متوافر بالفعل في الأسواق باسم تجاري (سيبرالكس) وقد قام بتجربته كبار أساتذة الطب النفسي وعلى رأسهم أ. د. أحمد عكاشة، أ. د. عادل صادق، أ. د. يسري عبد المحسن، وأثبت نتائج إيجابية في علاج الاكتئاب والقلق والوسواس القهري وفرملة المرأة حتى لا تضيع وقتها في الشراء والفصال.. جدير بالذكر أن العلماء الذين طوروا التقنية التي تم بها فصل الجزء النشيط في المادة الفعالة في العقار قد نالوا جائزة نوبل في الكيمياء لعام 2001.

د. مراد محمد على مدير المكتب العلمي للشركة

وتقول السيدة فيث كريم من أمريكا: إننا -نحن النساء- نحب المشي ونحب التسوق ونفاصل ونشتري أرخص. ونجد لذة في ذلك. أما ما الذي يفعله الرجال؟ إنهم يدخلون على استحياء إلى الصيدليات ويشترون أقراص الفياجرا. وإذا اشتروا فهم لا يعرفون. وهي مادة -يومية- للخناق في كل بيت!

ومن كندا تقول جرمين عبد السيد: يا أستاذ أنت لا تعرف الدوخة التي أعانيها، فزوجي لا يشتري ولا يعرف ولا يعجبه العجب. ويناقش

في الصغيرة قبل الكبيرة ويرى أن كل الذي أشتريه غالي الثمن.. مع أنه لا يعرف كيف يختار ولا كيف يشتري، بس عنطزة وسي السيد الذي حملناه معنا إلى هنا، ولم نعرف كيف نغرقه في المحيط.. إنه ليس مثلك يا أستاذ فأنا أراك في التليفزيون في غاية الأناقة وذوقك رفيع في اللبس!

غلطانة يا بلدياتي.. فأنا لا أختلف عن زوجك، فأنا لا أعرف كيف أشتري، ومن النادر أن أفعل.. وهذا الذوق الذي أعجبك ليس ذوقي.. ففي البيت مقاسات لا تناسبني في الجزم والبدل والقمصان. ولو كانت المناديل لها مقاسات لوجدت من بينها مناديل في مساحة البشكير والفوط!

وأنا لم أكن أهاجم سلوكيات المرأة وإنما أحاول أن أفهم فقط!

درس في السياسة!

تعال أعلمك كيف تكتب في السياسة.

الأمر سهل: اشتم أمريكا بحساب، واشتم إسرائيل بلا حساب. وقبل ذلك وبعد ذلك: اندب حظ العرب جميعًا. ولا تنس المؤامرة العالمية علينا، فالعالم كله يتآمر ضدنا. حقدًا وحسدًا. حقدًا على بترولنا، وحسدًا لأنهارنا. ولا تقرأ الصحف ولا المجلات ولا تسمع الإذاعات، فكلها لا ضرورة لها.. فأنت لست في حاجة إلى معرفة أو فهم معلومات جديدة. لأن الذي قلته بالأمس يمكنك أن تقوله اليوم وغدًا. نفس الكلام.. وكل المطلوب منك هو تغيير ترتيب الأسماء والشتائم. وقد جربت هذه اللعبة مع كاتبنا الساخر أحمد رجب.. عندما كنت رئيس تحرير مجلة (الجيل) وكان هو نائب رئيس التحرير. ولم نجد أحدًا يكتب لنا البخت، فكتبنا (البخت) مرة واحدة. وفي كل أسبوع ننقل الكلام من برج الأسد إلى برج السرطان ومن برج السرطان إلى العذراء إلى الجدي إلى الحوت.

ولا أحد قد لاحظ ذلك. فكل واحد يقرأ برجه هو فقط. ويسعده أن يكون الكلام متفائلاً. على عكس الكتابة السياسية التي يجب أن تكون مكتوبة بالحبر الأسود على ورق في لون الدم.. أو بالحبر الدموي على أرضية زي الزفت..

وما دمت لم تقرأ ولم توجع دماغك في متابعة التحليلات في الإذاعة والتليفزيون فحاول أن تكون غامضًا. أي استخدم تراكيب

مجعلصة أو ضخمة فخمة. وكلما كانت التعابير بهذا الشكل والحجم كان الالتفات إليك أكبر وأهم. وكلما كنت واضحًا انصرف عنك الناس. ولذلك فالجأ إلى الغموض والإلغاز. ويجب أن تكون واضحًا في ثلاث نقاط: هجومك الدائم على إسرائيل. ولا يهم أبدًا أن تخترع قصصًا وحكايات وثانيًا هجومك على أمريكا. وفي هذه الحالة يجب أن تكون معتدلاً ولا تشتم الرئيس الأمريكي. حكومته التي تتلقي الأوامر دائمًا من تل أبيب.. وأخيرًا يجب أن تشتم العرب وتندب حظهم والماضي الذي هو عصرنا الذهبي دائمًا!

دعـــاء والدتـــي!

يا بختي! حظي من السماء فقد تلقيت خطابًا من مؤسسة إسبانية تقول إنها أجرت السحب على 15 ألف شخصية عالمية. ففزت أنا بمبلغ 700 ألف يورو. والمطلوب الاتصال بها فورًا وقبل نهاية الأسبوع وإلا ارتد المبلغ إلى الخزانة العامة للمؤسسة. رجاء الاتصال بالسيدة ربيكا أوشوا مديرة التنشيط أو السيد فلويد جراي مدير الخدمات الخارجية لشئون البحر الأبيض وإسبانيا، تليفون رقم كذا وإيميل رقم كذا ونرجو كذا، وكذا، وإياك كذا وكذا.. والرد سريعًا ونحن في انتظارك. مفاجأة!

وقرأت وقرأت الخطاب الذي يبشرني بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات؟!

إذن لقد استجاب الله لدعاء والدتي التي كشفت رأسها وطلبت من الله أن يرزقني من حيث لا أدري. وقد استجاب الله لدعائها بعد 34 عامًا من وفاتها..

وأعدت قراءة الخطاب. ولم لا؟ فالجو العام كله سحب ومراهنات. ففي التليفزيون والإذاعة المصرية عشرون برنامجًا كلها تبشر الناس ليلاً ونهارًا بأنها سوف تكسب ألف ومائة ألف جنيه.. والمطلوب فقط هو الاتصال برقم كذا.. وعلى الشاشة يظهر أناس كسبوا غسالة وثلاجة وتليفزيونًا وأنتريه.. فكل شيء ممكن. وكلها مسألة حظ..

وتذكرت أنني ذهبت مع فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وكمال الطويل والمذيع جلال معوض إلى أرض السباق في سموحة بالإسكندرية. وسألوني: هل تفهم في سباق الخيل؟ قلت: أبدًا.. سألوني: ألم يحدث أنك راهنت؟ والجواب: أبدًا.. قالوا: إذن فأنت الشخص المناسب في الوقت المناسب..

اختر لك اسمًا من أسماء هذه الخيول. واخترت اسم الحصان عندما سمعت صراخًا: مبروك كسبت 300 جنيه سنة 1961. وهنأوا أنفسهم قائلين: لا يكسب عادة إلا الجاهل!

واتصلت بصديقي الناصح الخبير رجل الأعمال ريمون إسكندر. وكانت الصدمة!

قال لي: إن لديه مائة من مثل هذه الخطابات.. إنهم جماعة من النصابين وإن أحد أصدقائه قد تلقى خطابًا وسافر إليهم في نيجيريا بعد أن أعطاهم رقم حسابه فسحبوا كل أمواله! فعلاً لقد كان حظي من السماء عندما سألت الذين يعلمون!

أخطـــاء فادحـــة!

أي طفل يعرف خبر (كان) واسم (إن) سوف يدرك فداحة الأخطاء النحوية على شاشات التليفزيون المصري. فضيحة! ولو كانت هذه القنوات لحساب الحاج إبراهيم والمعلم حسنين لقلنا إنهم جهلة عندهم فلوس.. ولو كانت هذه الشاشات تعمل لحساب اتحاد الطلبة، لقلنا عيال عندهم فلوس، يسيئون استخدام الحرية الممنوحة لهم بنص الدستور والقانون. ولكن المصيبة أنه تليفزيون الدولة. وأن هذه الدولة مسحت بأستيكة يوميًا كل ما يحاسب عليه الأطفال..

أما الكلمات الأجنبية التي تظهر على الشاشة فهي استمرار للفضيحة أيضًا.

ربما كانت إعلانات التليفزيون والإذاعة والصحف تتمتع بالحكم الذاتي ولا سلطان لأحد عليها. إنها الفلوس تجعل المنصوب مرفوعًا والمرفوع منصوبًا. وأذكر أن مناقشة دارت بيني وبين المرحوم عثمان العبد مدير إعلانات (أخبار اليوم) فقد وجدت إعلانًا عجيبًا في مجلة (آخر ساعة) التي كنت أرأس تحريرها. أما الإعلان فهو سيدة دميمة وفي يدها جزمة. ومنعت نشر الإعلان. ولكن الإعلان نزل بالألوان طويلاً عريضًا: السيدة والجزمة في يدها. لماذا؟

قال لي عثمان العبد: إنها صاحبة الإعلان. أي إنها حرة في المساحة التي اشترتها.. أن تظهر هي وحدها وأن تبعث بجزمتها

فيتلقاها عدد من المندوبين مع عظيم الاحترام رغم أنف رئيس التحرير!

ولذلك فالتليفزيون الذي تتحكم فيه الإعلانات والمسلسلات لا يستطيع أن يفتح فمه الذي امتلأ بالذهب فيقول: غلط نحويًا وصح إملائيًا.

وهو لا يستطيع ذلك، لأنه لا صوت يعلو على صوت الإعلانات.. ولا أحد يصحح أخطاء الإعلانات.. والنتيجة أن مصر تنشر الجهل بالنحو على أعلى المستويات ثم تحاسب الأطفال! ثم تؤكد أن هذا النحو لا قيمة له، وإنما القيمة لمن يدفع. والشعار: يعيش الجنيه والدولار، ويسقط النحو والصرف!

عندي مشكلة!

أنا صاحب منشأة (ماستر) السياحية بطريق مصر -إسكندرية الصحراوي وأمتلك مزرعة مساحتها 300 فدان قمت بإنشائها منذ 10 سنوات وبفضل الله وعونه تم تحويل هذه الصحراء الجرداء إلى مزرعة جميلة وأنتجت محاصيل وفواكه كثيرة (الموز -الكانتلوب- الخوخ- البلح- الطماطم- البطيخ إلخ...).

والآن أواجه أنا وغيري من مستصلحي الصحراء على الطريق الصحراوى (نحو 400 ألف فدان) المشكلة نفسها، وهي زيادة ملوحة المياه الجوفية للحد الذي جعلني أقوم بتقليع نحو 70 فدان برتقال صيفي حيث لا تصلح المياه بخصائصها الحالية لزراعتها، كما يقوم غيري بتبوير الأراضي لعدم صلاحية المياه نتيجة زيادة الملوحة، وبعد الاتصال بالسيدين وزيري الري والزراعة أكدا لي أن الحل المقترح هو عمل (ترعة) تأخذ من النيل عند القناطر الخيرية وتغذي المناطق الصحراوية الجديدة حتى برج العرب، والمشروع جاهز ودراساته مستكملة، والمطلوب التمويل، حيث اقترحت عليهم أن يقوم كل مالك أرض بسداد المستحق عن كل فدان بالتقسيط، وبذلك نحمي المزارع المقامة بالصحراء لتعويض الفاقد من الأراضي الزراعية التي تحولت إلى أبنية.

محاسب: إسماعيل ثابت

وقد علمنا أن كثيرين يعانون المشكلة نفسها، وأرجو ألا يلقوا المصير نفسه. والعلاج سهل ما دامت هناك نية وخطة، ومادام أصحاب الأراضي على استعداد لأن يشاركوا. وما أعرفه عن الوزيرين الفاضلين يطمئن، فكلاهما قادر وحاسم، وحربنا طويلة مع الجفاف بسبب نقص المياه وارتفاع الملوحة وزحف الصحراء، والهدف الوحيد الذي يجب أن يتقدم على كل هدف هو توفير الطعام للسكان المتزايدين.. ولكن كيف يتزايد الناس وتتناقص الأرض الزراعية التي هي مصانع الطعام ومناجم لقمة العيش، وشهادة ميلاد للملايين الذين ولدوا والذين لم يولدوا!

السمـــــوم يوميًـــا!

يا للهول! ثماني محافظات تصب مليون متر مكعب من سمومها يوميًا ومن خمسين عامًا في بحيرة المنزلة. حتى أصبحت البحيرة قاتلة للحياة فيها وحولها.. فماذا كانت النتيجة؟ السؤال سهل. وقد أجاب عنه في بحث ميداني دقيق وخطير د. أنور عطية العدل عميد آداب المنصورة. وبحثه يستحق أن ينشر، وعنوانه «أثر تلوث البيئة على التطور المرضي للسكان بمحافظة الدقهلية»..

وقد رصد د. أنور العدل مسار هذه السموم وسجل أعداد المصابين في المستشفيات.. فالسموم أسمدة كيميائية ومبيدات وصرف صحي وتبول وأسماك ميتة وعادم السيارات. والأمراض تنهش الكلى والكبد. والزيادة مستمرة يضاف إلى ذلك تلوث الهواء الذي ارتفع حتى أصاب طبقة الأوزون الرقيقة جدًا والتي تمنع عن الأرض أشعة الموت السرطانية.. وفي أماكن كثيرة من العالم.

يقول د. أنور العدل: إن المجتمع المصري يعاني نقص الثقافة العامة، حيث تتفاقم مشكلة المخلفات بأنواعها، حتى أصبحت عبئًا على النظام البيئي بسبب عدم القدرة على ملاحقة الزيادة المطردة في حجم المخلفات، والتخلص منها بطريقة سليمة، وسبب القصور أننا لم نطبق أساليب التكنولوجيا الحديثة التي طبقتها الدول المتقدمة. وأهمها تصنيع القمامة واستخدام ما يصلح منها استخدامًا

منتجًا، بالإضافة إلى دفنها أو حرقها.. وسبب آخر هو نقص الإحساس بالنظافة كقيمة حضارية وبيئية واجتماعية.

ونكذب على أنفسنا إذا قلنا إن أسماك النيل صالحة للطعام الآدمي، بل يمكن أن يقال أيضًا إن البحر الأبيض، الذي هو أقذر بحيرة مغلقة على كوكب الأرض، لم تعد أسماكه صالحة للطعام، ولذلك ليس أمامنا إلا أسماك البحر الأحمر وأسماك أعالي البحار.

أما بحيرة المنزلة فقد أصبحت مغلقة -إنها البحيرة التي تموت وتميت، فلم يعد فيضان النيل يغسلها ويصبها في البحر.. كما أننا بدأنا نجفف البحيرة لأغراض خاصة. وبذلك أصبحت البحيرة تصب فينا المرض؛ لأنها سم يزداد تركيزًا.. والضحية: شعب الدقهلية.. وغدًا بقية المحافظات!

لم أكن أعرف!

هل تعرف جوجوبا؟ إنها هوهوبا! لم أكن أعرف هذا الاسم، فلا قرأت ولا سمعت. حتى تلقيت خطابًا من السيد خالد ريحان رئيس مجلس إدارة (الشركة المصرية الأوروبية للزراعة الطبيعية). يقول في رسالته: قرأنا اهتمامكم بمشروع تشجير محافظة الدقهلية وجهود محافظها النشيط د. أحمد سعيد صوان. ونحن الشركة المصرية الأوروبية نضيف إلى هذه الأفكار المستقبلية نجاحًا منفردًا ومتميزًا، حيث إننا وبدعم من الاتحاد الأوروبي نملك أكبر مشروع أشجار جوجوبا في العالم العربي وقد دعمنا الاتحاد الأوروبي.

لذلك أتمنى أن يزرع كل مواطن شجرة جوجوبا للزينة والتجارة والصناعة.. ولتكن البداية بالمنصورة فتكون صاحبة الريادة كما كانت في الفن والأدب والطرب.. وزيت جوجوبا يدخل في مئات من أدوات التجميل الطبيعية وفي وقود سفن الفضاء.. إلخ.

وكلمة جوجوبا كلمة إسبانية وينطقونها هوهوبا.. وربما خوخوبا.. وهي شجرة خشبية تنمو في الأرض الجافة وفي الصحاري وتقاوم الحرارة والعطش والملوحة، وجذورها تمتد إلى تسعة أمتار وارتفاعها حتى أربعة أمتار وعمرها حتى 200 سنة. وأوراقها سميكة، عليها طبقة شمعية وبذورها تسقط على الأرض بعد اكتمال نموها ونصف وزنها زيوت شمعية..

وقد جاء في مجلة كلية الصيدلة، جامعة القاهرة في إبريل 1997. أن زيت جوجوبا يقضي على الهرش والطفيليات والحشرات. ويستخدم هذا الزيت في صناعة الشموع والبلاستيك والمطاط والبويات. ويساعد على شد الوجه والقضاء على التجاعيد ومنظف للجلد ومسكن لألم الروماتيزم والصداع.

فمن يزرع شجرة جوجوبا فقد أقام مصنعًا لوقود سيارات الديزل والمادة الأساسية لكل أدوات التجميل. فهذه الشجرة ثروة وتركة لأجيال متوالية.

وقد اتجه العلماء إلى هذه الشجرة بعد تحريم صيد الحيتان وانعدام زيوتها في الأسواق. فكان لا بد أن يبحثوا عن بديل. وكانت هذه الشجرة هي البديل..

وقد أشادت مجلة (تكنولوجيا السيارات) بمجهود جامعتي العين في أبو ظبي وحلوان بالقاهرة.

وهذه دعوة من السيد خالد ريحان تستحق الاحترام والاستجابة فورًا، لا في المنصورة وحدها، وإنما في مصر كلها!

..إنهـــا شخصيـــة!

الفرنسيون يسخرون من سذاجة الإنجليز وسخافة الأمريكان في نشرهم العلاقات الشخصية مهما تكن فاضحة. ففضيحة الرئيس الأمريكي كلينتون كانت نموذجًا لذلك. فالفرنسيون كانوا في ذهول من بهدلة أقوى رجل في الدنيا بسبب بنت مفعوصة، لا طلعت ولا نزلت.. وقد كانت للرئيس كيندي علاقات فاضحة فادحة في البيت الأبيض وسكتوا على ذلك، ولكنها السياسة قد بهدلت الرئيس كلينتون.. وكان الفرنسيون ينشرون على استحياء غراميات الرئيس ميتران.

وكان كل فرنسي يعلم أن الرئيس له عشيقة تقيم في القصر الجمهوري هي وابنتها. وسكتوا لأنها مسألة شخصية، ولولا أن الرئيس ميتران هو الذي قدم ابنته غير الشرعية إلى الصحف ما اقترب منها أحد، حتى أولاد ميتران كانوا يعرفون كل شيء ولكن احترامًا لوالدهم، تجاهلوا كل شيء!

وفي بريطانيا فضيحة صدمت الرأي العام، فوزير الداخلية الأعمى بلانكت قد كشفوا له عشيقة، وأن له طفلاً منها وأن لهذه العشيقة المتزوجة عشيقًا آخر إلى جانب الوزير العاشق.. ثم ظهر عشيق ثالث في نفس الوقت..

وكشفوا عن أن الوزير كان يتصل بالمعشوقة مرات عديدة في اليوم الواحد..

ثم ظهرت له عشيقة ثانية أجمل من الأولى. صدمة أخرى للرأي العام.

وحاول أساتذة علم النفس أن يجدوا عذرًا للوزير.. فقد كان تعيسًا في طفولته وشبابه، وأنه لذلك في حاجة إلى حنان.. وأن هذا هو الحب الذي وجده.. ليس أحسن حب، ولكنه الذي في متناوله.

ثم قدم الوزير استقالته لأسباب أخرى، فقد كشفوا عن أن الوزير قد أعطى خادمة عشيقته تأشيرة دخول عاجلة -أي أنه استعجل التأشيرة بالاتصال التليفوني وبالخطابات إلى الجهات المختصة، وهذا التميز وهذه المحاباة غلطة لا تغتفر! فاستقال! وخرج من الوزارة -عجبي!

الأبطــال مــن الحيوانــات!

في بريطانيا أقاموا أخيرًا نصبًا تذكاريًا للحيوانات التي اشتركت في الحروب في أوروبا وآسيا، وقد نقشوا أسماء التي تميزت بأعمالها العظيمة.. ملايين الخيول والبغال والكلاب والحمام والفيلة والقرود والديدان -كلها عاشت وماتت في خطوط النار.. دون أن يدري بها أحد- اللهم إلا الجنود والجرحى..

ففي الحرب العالمية الثانية هبطت ألوف الكلاب بالمظلات وراء خطوط الألمان. وألوف حملت أسلاك التليفون وألوف تدربت على انتشال جثث الموتى والجرحى وسط الألغام وتحت النار. فلم توقفها أي نار أو دخان عن القيام بمهامها القتالية..

وفي آسيا ماتت ملايين الخيول والفيلة والقرود وسط غابات بورما. أما البغال فقد نزعوا حبالها الصوتية حتى لا تنهق ليلاً ونهارًا لأي سبب. أما القرود فكانت تسرق ملابس قوات الأعداء لكي يعرفوا نوعية من الذي يحارب الإنجليز في الظلام..

أما الحشرات فقد استخدم الإنجليز تلك الحشرات التي تضيء وبذلك يتمكن الجنود من قراءة الخرائط في الليل في المخابئ..

والحمام الزاجل كان له دور خطير، فهو ينقل الرسائل والشفرة في كل ساعات الليل والنهار وفي المطر وفي الجليد ذهابًا وإيابًا. وكان الألمان يطلقون الصقور على الحمام أو يطلقون عليه النار.

ولكن استطاع الحمام أن يمضي عبر البحار والغابات.. وعلّموا الحمام إذا سقط جريحًا أن يمزق الرسائل التي يحملها أو يبتلعها.

وفي الأسبوع الماضي أقيم مزاد لبيع نيشان حصلت عليه إحدى حمام الزاجل في الحرب العالمية الأولى.

إن هذه الحيوانات لا تعرف أن الذي قامت به عمل بطولي -نحن الذين نصف عملها بأنه لو قام به إنسان لكان بطلاً. وإنما هي أطاعت سادتها ونفذت ما تدربت عليه.

ومن الواجب ألا ننسى من أحسن عملاً ومن مات في سبيل هدف نبيل. ليكون نموذجًا وقدوة للصغار والكبار.. ولكي نقول شكرًا لمن عاش جريحًا ومات شهيدًا -يستوى في ذلك الحيوان والإنسان والحشرات..

أول من استخدم الكلاب!

يقول لنا المؤرخ الكبير بلدياتي سليم حسن إن الفراعنة استخدموا الكلاب في الحرب، فقد كان الكلب يتابعهم في كل معاركهم، وكان يسبقهم للتعرف على جثث القتلى واختراق خطوط العدو. ولذلك وجدنا الكلاب على جدران المقابر -ربما كان الحمار هو الحيوان الوحيد الذي كان الفراعنة يضربونه؛ لأن دماغه ناشف- ولم يعرف الفراعنة أن الحمار سوف يكون رمزًا لحزب سياسي في أمريكا.

ويقول إن المصري القديم كان يغني للأبقار وهو يحلبها. وأثبتت التجارب العلمية أن الغناء والموسيقى يشجعان الحيوانات على إدرار كثير من اللبن..

وقال سليم حسن أيضًا إن كل فلاح يجب أن يتقدم ببيان عن عدد الحيوانات التي يملكها حتى يمكن تقدير الضرائب عنها.

وهناك أغنيات شعبية عن الحيوانات المصرية.. عن الكلاب والطيور والقطط. ودراسة مقارنة عن أخلاقها وسلوكيات الإنسان. وكان المصري القديم يضع الرحمة بالحيوان قبل إطعام الحيوان.. ويقول: احتضان الحيوان ومداعبته أقوى أثرًا من إطعامه وتسمينه. ويبدو أن هذا رأيه أيضًا في العلاقات الإنسانية، فالحب ليس طعامًا وشرابًا، وإنما الملاطفة والمداعبة.. ولذلك ظهرت صور كثيرة لصغار وكبار يحتضنون الحيوانات الصغيرة.

ويقول سليم حسن: إن عددًا كبيرًا من الأغنيات الشعبية قد ترجمها المؤرخون على أنها أغنيات الأمهات للأطفال، وجاء من بعدهم باحثون آخرون أثبتوا أنها ليست للإنسان وإنما للحيوانات، وللفرحة بأن حيوانًا جديدًا قد ولد. وأن لونه كذا وأنه باسم الثغر، وأنه في صحة جيدة. وأنه سوف يكون (قدم السعد) على كل من سوف يرعاه!

سبحـــان اللـــه!

آمنت بـالله العظيم وبقدرتـه على كل شيء.. وآمنت بـالقوانين التي وضعها الله للأشياء.. فقد وضع في القمر جاذبية ترفع المياه إلى الشاطئ فيغرق بيتًا لفقير أو عشرات البيوت للأغنياء.. وأن تندفع الرياح وفقًا للقوانين فتكون عواصف وأعاصير تحطم الأشياء التي لا تقوى على مقاومتها.. وهذا طبيعي..

وأن يكون الزلزال والبركان نتيجة للغازات المحتبسة في باطن الأرض، فتندفع بقوة محاولة أن تخرج من قشرة ضعيفة فتكون الحمم وفقًا للقوانين التي أودعها الله للأشياء.. وإذا جفت الأرض واندفعت الرمال على الأرض الخضراء وإذا زادت الأمطار في الحبشة كان الفيضان الذي يغرق الضفتين في مصر..

وإذا تطوَّحت كتلة من الأحجار تدور في الفضاء حول الشمس أو حول المريخ أو زحل من عشرات ملايين السنين ثم انحرفت واصطدمت بالأرض فاحترق النبات والحيوان والإنسان، فليس ذلك إلا لقوانين محددة.. فهي تقترب من الأرض بواقع عدد من الكيلو مترات كل مائة سنة.. فلا هي لعنة ولا هي استجابة لدعوة مظلوم، وإنما هي تخضع لقوانين الحركة والجاذبية التي أودعها الله في مادة الإنسان والحيوان والنبات والنجوم والكواكب حولنا.

وانتشار الجراد والفئران والميكروبات والإنفلونزا والإيدز.. كلها نتائج لتفاعلات علمية.. طبية أو جغرافية.. فليس المزكوم ملعونًا،

وليس الفئران محكمة للعدل بين الناس.. وإنما كلها ظواهر طبيعية تهدد الإنسان والحيوان.

وحين غابت الشمس يوم مات أحد أبناء الرسول عليه الصلاة والسلام قالوا: من أجل ولده. وأنكر واستنكر الرسول عليه الصلاة والسلام هذا التفسير الخرافي لقوانين الفلك.. إن الشمس لا تغيب من أجل غياب أي أحد!! عيب جدًّا ما قيل عن أن الجراد غضب من الله على الذين كفروا ـ فهل نحن جميعًا كافرون وهل الذين أفتوا بذلك أيضًا؟!

ولكنهـــم لا يتسامحـــون!

خدعونا وضحكوا علينا عندما قالوا: يجب أن تكون عندك روح رياضية. وقصدوا بذلك أن يكون الإنسان متسامحًا وأن يتقبل الهزيمة؛ لأن الهزيمة كالنصر مؤقتة.. وأن النصر والهزيمة كرات نلقي بها مرة في هذا المرمى ومرة في المرمى الثاني. وأن نصفق للعبة الحلوة.

والمرحوم الكابتن محمد لطيف هو الذي قال وعاد: إن الكرة أجوان.

صح، أي العبرة بالنتيجة والنتيجة هي الأجوان. ولكن لم يقصد الكابتن لطيف أن تجيء الأجوان بالضرب في الملاعب وبالشتيمة في المدرجات وبالألفاظ النابية: أبوك وأمك واللي خلفوك وحدفوك علينا!!

لا روح رياضية في الرياضة.. يكفي أن تقرأ ما تنشره الصحف عن اللاعبين وعن معاركهم مع المدربين والإدارة والانتقال من ناد إلى ناد في مصر أو في الخارج..

وفي أوروبا ما هو أسوأ من ذلك.. فالاتحاد الأوروبي لكرة القدم سوف يعاقب نادي (ريال مدريد) وجمهوره لأنهم كانوا يرفعون أيديهم بالتحية النازية كلما اقترب لاعبو نادي (باير لفركوزن) الألماني من مرماهم -وهؤلاء المتفرجون نسوا أن فرانكو الرئيس الإسباني كان حليفًا لهتلر!!

ونادي روما عوقب باللعب خارج ملعبه بسبب العنف القبيح.. والنادي عوقب بأن يلعب بلا جمهور بسبب هتافاته العنصرية ضد اللاعبين السود في الفريق الإنجليزي. وغيرها من الأندية الأوروبية التي فضحت الأعماق المتعصبة والعنصرية الأوروبية والشاذة جنسيًّا أيضًا!

تضاف إلى ذلك الفضائح الجنسية والمالية لمديري الأندية ومدربيها.. أما زوجات اللاعبين المشهورين وماذا يقلن في الصحف وفي المحاكم وفي البنوك، فنشر للغسيل القذر على الشاشات!

ويقال في تفسير الخناقات البيضاء في الملاعب: إن الرياضة هي تهذيب الغرائز الحيوانية عند الإنسان.. فبدلاً من الضرب بالرصاص يكون الركل بالقدم.. لا ركل الكرة وإنما ركل الناس في الملاعب وفي المدرجات وفي كل وسائل الإعلام!

نـــردد مـــا يقـــول الأمريكـــان!

الوكالات والشاشات الأمريكية تنشر أول خبر: مقتل جندي أمريكي وإصابة العشرات من العراقيين.

ونحن مثل هذه الشاشات نردد الخبر بنفس الطريقة: مات أمريكي ومئات المدنيين العراقيين وألوف الجرحى، هم يرون أن مقتل أمريكي كثير جدًّا.. وموت مئات العراقيين قليل جدًّا. كأن من الفروض ألا يموت الأمريكان لأنهم أنصاف آلهة أو آلهة.. أو أنهم أصحاب الأرض والآبار والأنهار، فكيف يموت أي واحد منهم دفاعًا عن أرضه وعرضه وطعام أولاده ومستقبلهم.. فليس معقولاً أن تجيء القوات الأمريكية برًّا وبحرًا وجوًّا وأقمارًا صناعية من ألوف من الأميال، ثم ينتشرون في الصحاري والرمال، وبعد ذلك يموت منهم أي واحد؟ فليس معقولاً أن الجندي الأمريكي الأبيض والأحمر دلوعة الدنيا يتجشم ويلات الطريق وخريطة الطريق وبعد ذلك يموت! بدلاً من أن يجد الملايين قد وقفت تركع له وتسجد.

ألم يطهروا العراق من مئات الأبرياء العراقيين مدنيين وعسكريين و«بوليس» ويغرسوا الديمقراطية في الأرض الزراعية التي نثروا فيها الجماجم، فإذا تعرض أي واحد منهم للزكام أو العطس كان أكثر من احتمال الكونجرس والبيت الأبيض والبنتاجون؟

فما الذي يريده الأمريكان منا؟

إنهم يريدون تفتيت الدول العربية أو العرب، كما حدث لروسيا بعد جورباتشوف ويوجوسلافيا بعد تيتو وتشيكوسلوفاكيا والسودان وفلسطين.. أما العراق فقد ظهرت فيه بوادر التفكك والتفتت والتشرذم؛ من سنيين وشيعة وأكراد وسريان وعشائر.. ولا يزال كلٌ من العم سام وولده بوش يتلمظ ويمصمص شفتيه على كوارث أخرى.

لقد تعجلنا عندما اتهمنا الرئيس بوش بالجهل والتسرع عندما أعلن من أول لحظة أنها (حرب صليبية) بين المسلمين والمسيحيين. ولكن الرجل، لا كان متسرعًا ولا جاهلاً ولا مسطولاً لا يدري ما يقول. بل كان في غاية الوعي ويقظة الضمير.. لقد كان يعني ما يقول. وقد كافأه اليمين المسيحي المتطرف على ذلك فأتى به إلى الحكم مرة أخرى.. ويا ويل الشعوب العربية من الرئيس الكاهن جورج دبليو بوش!

مـــاذا تفعـــل؟

أنا مهندس بحري أعيش في فنلندا من 11 عامًا وأتساءل: لماذا هم هنا أفضل منا؟ فعندنا ثقافة عظيمة وحضارة وأكثر المصريين الذين هاجروا تقدموا وتفوقوا، أحكي لك قصة طريفة: لقد تابعت القنوات الفضائية العربية.. وفوجئت برسالة من صديق في أفغانستان يقول لي: مبروك العيد غدًا.

وبقيت دول عربية وإسلامية في انتظار الإعلان الرسمي عن العيد. وهذا يحدث لنا كل سنة. وأحكي لك قصة أخرى فنحن هنا في الصيف يكون اليوم عندنا عشرين ساعة لا تغيب فيها الشمس ولمدة ثلاثة شهور. وسألت أحد العلماء المصريين: ماذا نعمل؟ فرمضان هنا شاق جدًّا مؤلم جدًا. اليوم بيومين أو ثلاثة من أيامكم في مصر، فماذا نفعل؟ سألني مندهشًا، هل هذا صحيح؟ واكتفى بهذا الاندهاش ولم يقل لي ماذا أفعل.. أما بعض العلماء فأفتى بأن يصوم أهل فنلندا مثل أقرب الدول الإسلامية لنا.. أي مثل المغرب أو الجزائر – والله أعلم– ولذلك أطالب برأي قاطع لأن بعض الناس يخافون من الاجتهاد والوقوع في الخطأ!!

مهندس أشرف زاهر

هلسنكي –فنلندا

وجاءني من الدبلوماسي محمد عبد الرحيم أبو زهرة أنه كان في الفلبين عندما كنت أنا هناك 1959. وأنه قرأ ما كتبته عن رحلتي إلى

جزيرة منداناو، وفي كتابي (حول العالم في 200 يوم).. وأن الذي قلته صحيح مائة في المائة.

فقد كان المسلمون الطيبون لا يفطرون إذا غربت الشمس وإنما لابد أن يسمعوا موافقة السفير المصري أو السفير السعودي على إفطارهم.. وكثيرًا ما تعذر الاتصال بالاثنين. ولكن الدنيا الآن تغيرت وجاءهم الرأي والفتوى بأن يمسكوا عن الطعام قبل الشروق وأن يفطروا بعد الغروب -وهي بديهية الآن، ولم تكن كذلك من أربعين عامًا!

وقال إنه قرأ في كتاب لرحالة أمريكي أن بعض أغنياء منداناو قرروا أن يعيشوا في عاصمة الفلبين في شهر رمضان ليفطروا مع السفيرين المصري والسعودي!

أنـــا غلطـــان!

ربما كان السبب أنني لست رياضيًا ـ لا أمارس ولم أمارس أي نوع من أنواع الرياضة. صح؟ لأ غلط طبعًا! وألف غلط! وأنا نادم على ذلك. ولا أعرف كيف أن بعض أصدقائي يمشون كل يوم ساعتين. لي صديق يقول إنه عندما ينزل من الطيارة يبعث بالشنط إلى البيت ويتجه إلى أحد الملاعب يلف ويدور قبل أن يذهب إلى البيت.. ولو كان غيابه عن أهله سنوات.

وكنت أندهش كيف أن الرئيس السادات يصر على المشي، فبعد أن نتحدث في السياسة ويقول وأقول ينهض ويرتدي ملابس المشي في الحرانية والقناطر، واستراحة أسوان وفي كامب دافيد..

وأغرب من ذلك إصراره على المشي في الحديقة (المفعوصة) في الجيزة، فلا هي حديقة ولا فيها طرقات ولكنه يصر على أن يدور بين الأشجار ساعة ويتكلم، وأثناء المشي يقول أحسن كلام!

وأمضيت ساعات أقرأ المجلة الإنجليزية الرياضية (أربعة اثنين أربعة).

وتوقفت ـ اللهم لا حقد ولا حسد ـ عند ثروات لاعبي كرة القدم المشاهير.. وكذلك أصحاب الأندية الرياضية في بريطانيا.

وأغنى اللاعبين جميعًا هو دافيد بكهام، فثروته 65 مليون جنيه ويليه الهولندي بركامب 37 مليونًا والإنجليزي مايكل أوين 30

مليونًا والصغير رونـي 28 مليونًا وشيرر 22 مليونًا وكامبل 20 مليونًا.. أما أصحاب الأندية فأغناهم إبراموفيتش صاحب نادي شيلسي، فثروته سبعة آلاف مليون جنيه.

يليه يوسف لويس صاحب نادي توتنهام، فثروته ثلاثة آلاف مليون.. وأفقرهم جميعًا محمد الفايد صاحب نادي فولهام وثروته 470 مليونًا.

ولم أستفد من قراءة هذه المعلومات شيئًا، فأن يكسب بكهام هذه الملايين لا يعني أن كل إنسان قادر على ذلك مهما كانت قدمه من ذهب أو من ألماس.. ومهما كانت أمه (داعية له) فهو شخص موهوب.

وهو لا يعرف لماذا تجيء الكرة عند قدميه ويتجه بها إلى الشبكة –كان زمان فهو الآن ينحدر نحو القاع!

سأله ناقد رياضي ظريف: هل الشجار المستمر بينك وبين زوجتك سبب عظمتك؟ فلم يفهم. فأعاد السؤال بصورة أخرى: هل الغيظ والضيق بزوجتك فكتوريا هو الذي يجعلك تضرب الكرة ضربة قاتلة؟ ففهم وضحك قائلاً: هناك فرق.. فالكرة في كل مرة أضربها أكسب مئات الألوف، ولكن زوجتي في كل مرة أخانقها أخسر الملايين!

سفاجــا مذهلـــة!

ومن رسالة للسيد محمد صديق لهيطة الرئيس الأسبق لغرفة السياحة المصرية يقول، بصفته عاملاً في حقل الفنادق السياحية فقد استعان بالمركز القومي للبحوث في أكثر من موضوع، وكانت النتائج مذهلة، خصوصًا في السياحة العلاجية الطبيعية في سفاجا. وقد سمحت له هذه التجربة بأن يراقب التحول الجذري في تكوين وفاعلية المركز القومي للبحوث تحت إدارته الجديدة وما لجأت إليه من أسلوب علمي مثمر. ويقول الأستاذ لهيطة: إن في مصر أجهزة حكومية تعمل.. تعتبر مثلاً أعلى في إدارتها وفاعليتها، ومنها على سبيل المثال: مؤسسة البريد، ومحافظة قنا، وغيرهما من المنظمات الحكومية والأهلية.. ولم تفز بتغطية إعلامية تشجع القائمين عليها.

وأعتذر للدكاترة والمهندسين وأساتذة الجامعات عن عدم نشر رسائلهم المهمة. فالمكان يضيق، ولكن صدري لا يضيق. فنحن جميعًا مجندون لخدمة بلدنا: تنويرًا وتطويرًا وتشجيعًا ونقدًا يجرح أحيانًا ويدمي أحيانًا. مثلاً هذه الرسالة من د. أيمن عبد الصبور هنداوي: خذها مني. ولا معهد ولا مستشفى ولا كلية تستحق الإشارة إليها.. يا سيدي عندي حكايات أسود من الخروب وأكثر مرارة من الحنظل. ولا تمنعني من الكلام والشكوى ولا تصدق كل الفشارين الذين لم يروا دنيا.. ولا غادروا بلادهم ولا رأوا الدنيا العظيمة

المتقدمة المتطورة في أوروبا وأمريكا، ولكن في بلادنا يكسب دائمًا من كان أعلى صوتًا وشخطًا ونطرًا ـ مع الأسف!

ومثلاً هذه الرسالة من د. فيوليت هنري قناوي: عندي حكايات أنا وأختي وأخي وأقاربي.. أقول لك إيه؟ لا أريد أن أجرح شعور أحد. ونحن جميعًا مصريون وطنيون، وعندما هاجرنا إلى الخارج ازداد حبنا لبلادنا وغيرتنا عليها. لا تصدق كذابي الزفة.. نحن بلد متأخر جدًّا. وغير جادين بالمرة. والذين يتكلمون عن البحث العلمي لا يعرفون معنى هذه الكلمات القليلة.. إنها تيجان على رءوس العلماء والباحثين والشعوب.. بلاش الله يخليك. أنا تعبت ويائسة تمامًا. وعليه العوض.

تحــــت تصرفنـــــا!

الزميل أحمد قنديل الذي يعمل في مركز الدراسات السياسية.. ومراسل الأهــرام فــي طوكيو منذ ست سنوات لكي يحصل على الدكتوراه في العلاقات الدولية سعيد جدًّا بأحلام أطباء المنصورة بأن تكون المنصورة هي العاصمة الطبية لمصر والعالم العربي.. وهو يضع نفسه تحت تصرف من يريد من العلماء..

وتتطوع د. هند الغمراوي من برلين بكل ما يريده أطباء وعلماء جامعة المنصورة لمساعدتهم على تحقيق هذه الأمنية الغالية لبلدنا.. وقد أرسلت قائمة بأسماء المستشفيات وشركات الأدوية.. وهي تريد أن تسهم بأي شيء لتحقيق هذا الأمل الغالي.

والمهندس محمود نور الباز يقول: إن أولاده الثلاثة أطباء.. ولأن أمهم ألمانية فقد اختاروا أن يعيشوا في ألمانيا.. ولكن لم تغب مصر ولا المنصورة عن عيونهم وآذانهم، وإنهم يتكلمون العربية وإنهم مؤمنون وكذلك أولادهم.. وهم يريدون أن يطلب منهم أي أحد من علماء المنصورة وأطبائها.. لأنهم ولأنني مصري صميم وأن الدقهلية لا تغيب عن باله..

ومن الطبيبتين فوزية وأمل درويش المطراوي والمهندسة عائشة المطراوي من مدينة شيكاجو بأمريكا: نحن معجبات بالأشقاء اللبنانيين واليونانيين والأتراك الذين يساعدون بلادهم في كل

ما تحتاج إليه.. ونحن أيضًا نريد أن نساعد.. ولكن لا نعرف بالضبط ماذا تريدون.. فليس أعظم من أن تكون المنصورة هي العاصمة العلاجية والدوائية لمصر كلها.. ونحن مجندات لهذا الشرف العظيم!

أ. د. شوقي عبد الرحمن أرسل لرئيس جامعة المنصورة وللسيد وزير التعليم العالي الأسبق مشروعًا متكاملاً للمدينة الطبية وكيف يمكن تحقيق ذلك.. ولا تنقصنا الإرادة والعلم ووضوح الرؤية..

شكرًا لكم جميعًا.. وأن بلدًا هذه آمال أبنائه فلن يخيب أبدًا!

إنهــم لا ينســون!

استطاع شباب الحملة الفرنسية أن ينفذوا إلى أعمق أعماق مصر والشخصية المصرية. فكان كتاب (وصف مصر) تحفة تاريخية اجتماعية اقتصادية علمية نفسية أيضًا؛ ولذلك يجب أن ننظر إلى هذا الكتاب الذي تمت ترجمته على أنه وثيقة تاريخية تستحق عظيم الاحترام وفي دراسات هؤلاء الشبان الذين جاءوا إلى بلادنا لأول مرة في حياتهم، فكان إحساسهم بنا قويًا عميقًا.

ولذلك اندهشت لما جاء في وثائق الحملة الفرنسية (1798– 1801) التي نشرتها دار الكتب والوثائق القومية خاصة خطاب الجنرال مينو إلى جنرال آخر وهو يحدثه عن أهل المنصورة. يقول بتاريخ 17 نوفمبر سنة 1798: يا عزيزي الجنرال، أنت تتولى قيادة إقليم المنصورة ويبدو أن الناس هناك والمناطق المجاورة لديهم نزعة للتمرد أكثر من غيرهم؛ فهم لا ينسون الهزيمة التي فرضها أجدادهم على أجدادنا من أكثر من 500 سنة. ولكن لابد أن يعرفوا أن مدافعنا اليوم تفوق سيوف أجدادنا ونحن راضون تمامًا عن أهل رشيد.. ولو كان البحر مفتوحًا بيننا لجعلناهم مواطنين فرنسيين صالحين.

ويبدو أن هذه الصفات لاتزال موجودة في أبناء المنصورة. مثلاً: هم ينظرون إلى دمياط كما ينظر الألمان إلى النمسا. فهي جزء من ألمانيا.

فكلهم ألمان.. وكذلك دمياط وقد أدهشني، رغم أن هذه قضية محسومة وانتهت، فإن بعض أبناء المنصورة يرون أن دمياط جزء من بلادهم، ولسبب ما انشقت أو فصلوها عن الأصل الذي هو المنصورة.

فهل هذا هو العناد الذي اكتشفه الفرنسيون؟ هل هذا هو التمرد على هذا التقسيم الإداري الذي لم يؤد إلى أي انقسام أو اختلاف بين أبناء دمياط وأبناء المنصورة؟ شيء غريب. أنا لم أكن أتصور أن أحدًا يتحدث في هذه القضية بجدية. وإنما أحيانًا نتضاحك ونقول: دقهلوية ودمايطة ـ لا أكثر ولا أقل!

متواضع جدًا

تلقيت هذه الرسالة الحزينة النبيلة أيضًا: آثرت أن أكتب إلى بلدياتي عن ألم دفين يعتصر قلوب قضاة مصر وأنا واحد منهم، لقد أفنى كل منا عمره حاملاً أقسى رسالة يحملها بشر «رسالة العدالة» إيمانًا راسخًا بأن القضاء تشريف وتكليف من العظيم الذي اختص بذاته العليَّة صفة (العدل)..

لقد حمل كل منا هذه الرسالة التي أثقلت الكاهل ما يقرب من أربعين سنة في صمت الرهبان، ولقد كان مأمولاً حين انتهاء هذا التكليف والتشريف أن يحظى حامل الرسالة بتكريم أدبي أسوة بالآلاف الذين يتم تكريمهم سنويًّا ويكون في هذا التكريم عرفانٌ بما أسدوه لبلادهم. وهو ما لا يحدث..

ومقولة مردودة بأنه يتم تكريم لرموز من رجال القضاء؛ إذ لا يتجاوز عددهم الخمسة حصرًا، وهم كحد أدنى رؤساء محاكم الاستئناف العالي ونواب رئيس محكمة النقض.. فالقاضي في شموخه وكبريائه وتعففه لا يحني هامته إلا لمن كلفه وشرفه بحمل الرسالة.. وفقكم الله..

المستشار مصطفى حسيب عباس العبسي.

نائب رئيس محكمة النقض الأسبق

ولم تطلب يا سيدي شيئًا مستحيلاً. وإنما تطلب الحد الأدنى من الامتنان الرسمي الذي يحصل عليه من لا يطلبه ولا يستحقه وهم كثيرون.

ولا أعرف من الذي تشير إليه الأصابع ومن الذي استكثر عليكم كلمة التقدير. وأنا أرى أن هذه الكلمة لا حاجة إليها؛ فأنت قمت بواجبك وأرحت ضميرك ورضيت عن نفسك، ولابد أن ألوفًا قد قدروك لعدلك ونزاهتك.

أذكر أن أستاذنا الكبير توفيق الحكيم قد أضحكنا في إحدى الليالي عندما أخرج ورقة كبيرة وطلب إلى ابن الفنان الكبير صلاح طاهر وكان طفلاً صغيرًا أن يأخذ هذه الورقة ويجعلها قرطاسًا ويملأها ترابًا.. واندهشنا. وضحكنا عندما عرفنا أنها جائزة الدولة التقديرية - ومن قبله رفض أدباء كبار جائزة نوبل؛ إيمانًا منهم بأنهم أكبر من الجائزة والتقدير، وأنهم يكتبون من أجل المبدأ، وليس من أجل الجائزة والفلوس!

التلفزيــون المصــري

شكرًا للتلفزيون، أخيرًا أصبح اسمه التلفزيون المصري. وكان قبل ذلك تلفزيون جمهورية مصر العربية. وكان اسم مصر قد هان علينا. فمسحنا به الأرض يوم جعلناه: الجمهورية العربية المتحدة ـ الإقليم الجنوبي. أمَّا الإقليم الشمالي فهو: الجمهورية العربية المتحدة ـ سوريا.. فمن أجل الوحدة الوهمية المفتعلة مع سوريا، فقدت مصر اسمها، وفقدت سوريا اسمها. ومن أجل ماذا؟ ولا حاجة. وهي.. خرافة. وكنا عندما نقف في طوابير الجوازات في جواز السفر فلا يجدون كلمة مصر في أي مكان. ولا هو عنده وقت لنشرح له. ولا عندنا رغبة. ويهز الرجل رأسه تعجبًا من هؤلاء العرب الذين لا اسم ولا جسم ولا رسم لهم ولا هوية!

أما السبب فهو أن الرئيس عبد الناصر كان يرى أن مصر (صغيرة عليه)؛ ولذلك ضم إليها بلادًا من الشرق والغرب والجنوب.. ولما جاء أنور السادات أيقن أن مصر ليست صغيرة إلى هذه الدرجة. وإنما هي كبيرة؛ ولذلك رد إليها اعتبارها فعادت مصر.

ولم يجرؤ أحد أن يكشف هويتنا لنا، ولغيرنا، ففي كل مناسبة نسمع المسئول وغير المسئول يتحدث عنا فيقول جمهورية مصر العربية. أما أننا عرب فلا شك في ذلك. وأما أن مصر جمهورية فلا شك أيضًا.

شكرًا للتلفزيون المصري الذي قرر في هدوء أن يعيد إلى مصر اسمها الجميل فنسمع ونرى مراسليه في كل مكان يؤكدون بمنتهى الفخر والاحترام والكبرياء: التلفزيون المصري. وكانوا قبل ذلك يقولون تلفزيون جمهورية مصر العربية. إنها كذلك. لكن الأجمل والأبسط والأوقع والأصح: التلفزيون المصري!

الصين تريد أن تعرف!

أرادت الصين أن تعرف مكانها ومكانتها بين الدوائر العلمية في العالم.. هل تقدمت؟ هل لا تزال في حاجة إلى أن تتقدم؟ فلكي تعرف ذلك بالضبط كان لابد أن تعرف ما وصلت إليه وكيف وصلت وأين وقفت ــوكيفــ كل الجامعات في الدنيا؛ لأنه ليس أسوأ من أن ترى دولة أنها محصلتش.. وأنه لا قبلها ولا بعدها. فمثل هذه الجامعات والشعوب لا تتقدم لأنها راضية عن نفسها ساخطة على كل ما ومن عداها، فطلبت حكومة الصين من معهد التعليم العالي التابع لجامعة شانغهاي أن يتولى هذا البحث. موضوع البحث ما هي أحسن 500 جامعة.. وما هي أحسن أربعمائة جامعة وأحسن ثلاثمائة.. وأحسن مائتي جامعة.. وأحسن مائة وأحسن عشرين. وقد احتلت أمريكا المرتبة الأولى في كل قياسات البحث والعلم، وجاءت بعدها بريطانيا وألمانيا واليابان.. وفي اختيار أحسن 500 جامعة، فازت 170 جامعة في أمريكا وكانت للصين 16 جامعة، وكانت لإسرائيل سبع جامعات. فعلى أي أساس اختارت جامعة شانغهاي أحسن الجامعات؟ ما هو المقياس؟ وكيف استقرت على هذا المقياس؟ وبعد أن قررت ذلك طلبت من كل الهيئات العلمية في العالم أن تعلق وأن تضيف، أما أساس الاختيار فقد كان: قيمة التعليم العالي وعدد الخريجين الحاصلين على جائزة نوبل، وكذلك عدد أعضاء هيئة التدريس الحاصلين على نوبل، والحاصلين على الميداليات والجوائز

العلمية المعترف بها، ثم عادت الأبحاث العلمية التي نشرت في مجلة «الطبيعة والعلم» وعدد الأبحاث التي أدرجت ضمن المراجع العالمية في الفيزياء والكيمياء والطب وفي الرياضيات والاقتصاد، ودخل في الاعتبار أيضًا عدد الخريجين الحاصلين على الماجستير والدكتوراه، وعدد المعامل وقاعات البحث! وفي العام الماضي فرغت جامعة شانغهاي من هذه الدراسة الشاقة. ومن مفاخر هذه الجامعة التي هي أقدم جامعات الصين أنها لم تتلق مساعدة من أحد. ورأت أيضًا أن هذه الدراسة تهم كل الجامعات لتعدل مواقفها وميزانيتها وتطلب دعمًا أكثر.

مـــاذا جـــرى؟

ومن ظواهر العصر الحديث أن تكونت معاهد جادة لها مهمة واحدة: قياس الرأي العام. ماذا يريد الناس، وماذا يحبون، وماذا يكرهون، وماذا يطلبون، وما الذي يحلمون به.. لأن هناك شعورًا عامًّا بأن تفوقنا يعادل حياتنا وامتيازنا، وأن نقارن بيننا وبين الذين تقدموا..

والجامعة الصينية مهتمة الآن بمعرفة ما الذي طرأ على هذه الجامعات بعد أن عرفت كل الجامعات والقارات أين هي من البحث العلمي والتقدم. كما طلبت الجامعة الصينية إلى كل الجامعات التي ذكرتها، والتي لم يكن لها نصيب أن تقول رأيها وأن تدلها على مواطن الخطأ والصواب. وماذا غيرت هي -إن كانت- في سياستها وفي ميزانيتها بعد أن رأت هذه الحقائق ومن الحقائق المذهلة أنه لا يوجد مكان لأي جامعة عربية بما فيها الجامعات المصرية العريقة. والتي نقول عنها ونقول عن أنفسنا: زي الفل.. إحنا حلوين قوي قوي.

وليس مذهلاً لنا أننا لم نظهر في هذه القائمة 0، فكثيرون من الأساتذة والعلماء كانوا على يقين من ذلك: ما دامت الجامعات تكدس فيها الطلبة وما دام الأساتذة غير قادرين على أن يعيشوا محترمين بمرتباتهم الهزيلة.. وما دامت الخواطر والمحسوبية والكلام الفارغ الذي يسمونه بالأبحاث هي مقياس الترقي في

الجامعات.. ثم إنه لا توجد ميزانيات محترمة للبحث العلمي. وإذا كانت هناك ميزانيات فإن هيئات التدريس بأعدادها الهائلة قادرة على ابتلاعها. ومادام مفهوم البحث العلمي هو الندوات والحفلات والخواطر وبالروح بالدم نفديك يا أي أحد غير العلماء! إن إحدى الجامعات شكرت الجامعة الصينية، وقالت لها: ما كنا نتصور أن نكون من بين هذه الجامعات عظيمة الاحترام لأنه ينقصنا كذا وكذا.. وأننا في العام القادم سوف نتجاوز هذه العيوب والنواقص.

فتلقت خطابًا من الجامعة الصينية يقول: من أجل هذا كانت كل هذه الدراسة!

الأمريكان: قمة!

في جميع الأحوال كانت الجامعات الأمريكية في القمة، سواء اختاروا 500 أو 400 أو 300 أو 200 أو 100 أو عشرين. أما الأسباب فهي أن الجامعات الأمريكية توافرت لديها كل الشروط الضرورية وزيادة. وكانت جامعة هارفارد هي الأولى في الدنيا وكذلك جامعة استانفورد الأمريكية هي الثانية وأكسفورد البريطانية هي الثالثة.

وكلها مثل عليا لمن يريد أن يكون شيئًا مهمًّا أو حدثًا علميًّا.

ووراء وأمام هذه الجامعات أحداث واكتشافات واختراعات وجوائز. ولا يستطيع إنسان أن يقول شيئًا آخر. بل يكون شيئًا عجبًا إذا لم تكن هذه الجامعات في المقدمة.

ومن أعجب ما لاحظ الباحثون أن القائمين على هذه الجامعات الثلاث لا يكتفون بماضيها. وإنما حرصهم على مستقبلها أعظم..

فمن بين 500 جامعة كانت لأمريكا 170 جامعة ولألمانيا 43 ولبريطانيا 42 ولليابان 36 ولكل من كندا وإيطاليا 23 ولفرنسا 22 وللصين 16 ولأستراليا 14 ولهولندا 12 وللسويد 10 ولإسبانيا 9 ولكل من سويسرا وكوريا الجنوبية 8 ولكل من إسرائيل وبلجيكا 7 ولكل من جنوب إفريقيا والنرويج والبرازيل 4 ولكل من الدانمارك والمجر والهند وأيرلندا 3 ولروسيا واليونان وبولندا وسنغافورة 2 ولكل من التشيك وشيلي والبرتغال جامعة واحدة.

وإذا اخترنا أحسن عشرين جامعة في الدنيا فسوف تكون من بينها 17 جامعة أمريكية وجامعتان من بريطانيا وواحدة من اليابان..

وقد علقت صحيفة (نيويورك تيمس) على هذه النتائج فقالت إن أمريكا لم تفاجأ بذلك.. ولكن المفاجأة كانت أن بعض الدول الصغيرة استطاعت أن تتقدم وأن تعد بأنها في أعوام قادمة إن لم تكن من بين المائتين فسوف تكون من بين المائة.

ولما قيل في حفلة تكريم أينشتين إن أي مكان أنت فيه هو قمة القمم، أجاب أينشتين بسرعة: آسف جدًّا. ليس هذا صحيحًا ولا كان صحيحًا لأحد.. ولا يمكن أن يكون صحيحًا، فأنا من غير تاريخ العلماء العباقرة ومن غير زملائي وتشجيع تلامذتي لا أستطيع أن أكون شيئًا. فالعبقرية صفة فردية ولكن النجاح جماعي!

منتهى التواضع؛ ولذلك فالجامعة هي بمن فيها ولمن فيها ولابد من تاريخ وراءها وأمامها.

ناقشوا هذه المادة!

بمنتهى الوضوح والأمانة والأمل أريد محاميًا بارعًا أو فقيهًا دستوريًّا يناقش المادة 43 من الدستور المصري.. ويرى إن كان من الممكن تطبيقها على الذين أفسدوا التعليم في مصر.. والعجيب ليس أنهم أفسدوه وإنما أننا وافقنا على ذلك.. ولابد أن نندهش كيف استسلمنا له.. هل كان هؤلاء المصلحون سحرة مهرة، أو كنا مغفلين مقهورين.. مغفلين؟ يجوز ولكن مقهورون لماذا؟ إن الكثير من التعديلات والتعقيدات والخزعبلات قد تفرقت في الندوات وفي مجلسي الشعب والشورى.. وصارت موافقات وتصفيقات.. وبعدها بعام أو اثنين أو ثلاثة تعالت أصوات البكاء والعويل.. البكاء للتلامذة الصغار والعويل للأمهات على ما أصاب الأطفال وعلى فلوس الآباء التي تكدست في جيوب صنايعية الدروس الخصوصية: من المدرسين وأساتذة الجامعات.. فقد جاء على مصر حين من الدهر تلخبطت الدنيا، فلا التلميذ يعرف كم عدد سنوات الابتدائية والثانوية.. وكم هي الدرجات المطلوبة فوق المائة وتحت المائتين.. هل هذا ممكن؟ لقد أمكن.. ولا كلمة من أي أحد تعليقًا على ذلك سنة وراء سنة.. ولا يوجد أي دليل على أن هذا لن يتكرر.. وفي كل تعديل وزاري نطلب من وزير التعليم أن يعطينا كفه لنقرأ مستقبل التربية والتعليم في مصر.. منتهى العبث والهوان!

أما المادة 43 من الدستور فتقول: لا يجوز إجراء أي تجربة طبية أو علمية على أي إنسان بغير رضائه الحر.

ومعنى هذه المادة أنه لا يجوز أن يتحول الآدميون إلى حيوانات المعامل من الأرانب والفئران والكلاب والخنازير نفعل بهم ما نشاء باسم العلم دون اعتبار لآدمية الإنسان. هل يستطيع أحد أن يدلني على الفرق بين الكلاب والتلاميذ الصغار في مجالات التجارب القهرية في التربية والتعليم! وحياتك لا فرق!

أخلاقيـــة تربويـــة!

شعرت بحالة من الحزن عندما سمعت خبر استقالة أحدث وأصغر عضو هيئة تدريس في كليتي بعد أقل من عام بعد عودته من بعثة الدكتوراه بالولايات المتحدة الأمريكية على نفقته الخاصة.. وتذكرت حديثنا عندئذ عندما كان مفعمًا بالأمل.. وكان حماسه متدفقًا ورغبته صادقة في العطاء ورد الجميل للجامعة الأم.. وللأسف نجح النظام البيروقراطي السائد في وأد حلمه واستئصال طموحه.. وتلقته جامعة متميزة في إحدى الدول العربية ومنحته فرصة أن يمارس دوره كأستاذ جامعي حقيقي.. يعد الأبحاث العلمية ويشارك في المؤتمرات ويثري بفكره وعلمه الأجيال القادمة.. وعندئذ شعرت باشتياق قوي للعديد من أساتذتي وزملائي الذين انتشلتهم جامعات أخرى من داخل براثن جامعاتنا الحكومية، وأصبحت هذه الجامعات بفضلهم حدائق يانعة بينما أقفرت جامعاتنا..

وأتساءل بمرارة: أين سياسة المحافظة على مواردنا النادرة وقد تفوقت الكثير من دول العالم بما فيها العديد من دول العالم الثالث في استقطاب رأس المال واستثماره في بناء وتدعيم قدراتها التنافسية؟!

د. نادية العارف

جامعة الإسكندرية

المشكلة لا حل سهلاً لها: فهي أخلاقية تربوية وهذا يجعل مهمة الإصلاح أصعب؛ لأنها ليست رصف شارع أو بناء محطات للأتوبيس أو الوقوف طوابير في كل مكان. إن في تاريخنا الفرعوني حكاية عجيبة. ففي أيام الملك بيبي الثاني، أحس أحد المفكرين أن الفساد قد استفحل فكتب منشورات ثورية سميت (صرخة نبي). وشيء من مثل ذلك نحن في حاجة إليه!

فلسفة جديدة!

أنت قلت ذات مرة إن في مصر إذا لم ينجح التلميذ أرجعنا ذلك إلى ازدحام الفصول والمدرجات وعدم وجود المدرسين وانتشار الدروس الخصوصية. وإذا انهزم الفريق القومي فالمدرب الأجنبي.. أما هؤلاء التلاميذ وهؤلاء اللاعبون فهم ضحايا لكل أولئك.. المهم أن الكل يهرب من المسئولية ومن الغلط وأن الدنيا كلها تبدو وقد تآمرت على التلميذ واللاعب، وأنها وقفت على أطراف أصابعها من أجل أن يرسب التلاميذ وينهزم اللاعبون، أما أصحاب الشأن فلا حول لهم ولا قوة.

إن للفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل كتابًا اسمه (في التربية) ينصح فيه الآباء والأمهات عندما يأتيهم طفلهم باكيًا بعد أن يصطدم بالكرسي أو يقع على الأرض أن يقوموا بتهدئته أولاً ثم يسألونه: من الذي كان يجري هو أم الكرسي؟ وبالطبع سوف يجيب الطفل بل أنا.. هنا يقال له إذن فأنت المخطئ وكان يجب عليك أن تعرف أن كرسيًا في طريقك عليك ألا تصطدم به..

أما نحن فغاية ما نقوم به في بيوتنا لإسكات الطفل أن نضرب الكرسي وبالطبع سيشب الطفل وقد ترسب في عقله الباطن أنه لا يخطئ.

دكتور سمير محمد البهواشي

إذن نحن في حاجة إلى فلسفة جديدة في التعليم والتربية. وليس هذا جديدًا علينا. قلناه وغيرنا قال وغيرنا حاول. وأمريكا وكثير من

الدول الأوروبية قالت وفعلت؛ ولذلك وقفنا عند أبواب القول والكلام والسلام والندوات والمؤتمرات.. أما هم فقد خططوا ونفذوا؛ لأنهم عرفوا ما الذي ينقصهم واتجهوا إلى سد الخلل والتقدم. فليس يكفي أن نعرف السبب.. وإنما هي الثورة المدروسة وأن نكون ثوارًا جميعًا. فلا أحد يتفرج على أحد. ولا أضيف جديدًا فكل ما فعلته أمريكا معروف وكذلك ألمانيا واليابان.. وكلها آمال وطموحات تحققت.

غارقـــون فـــي الـــدم!

العنف يولد العنف.. والجوع عنيف كالقهر؛ ولذلك ففي العالم 15 منطقة مشتعلة بالنار والدمار. وكلها شعوب غارقة في الدم والديون ومن سنين طويلة.

«هايتي» في نزاع منذ 12 عامًا وعليها ديون قدرها بليونان من الدولارات. وسيراليون في صراع منذ 11 عامًا وديونها بلغت بليوني دولار..

وجواتيمالا صراعها عمره 36 عامًا وديونها بلغت خمسة بلايين. وليبيريا في صراع منذ 14 عامًا وديونها بليونان. والكونغو الديمقراطية غارقة في دمائها منذ ست سنوات وديونها 12 بليونًا. وأنجولا في صراع استمر 36 عامًا وديونها عشرة بلايين دولار.

والسودان صراعه منذ 35 عامًا وديونه عشرون بليونًا وقتلاه مليونان. ولبنان في صراع منذ 26 عامًا وقتلاه 200 ألف نسمة وديونه 13 بليون دولار. وأفغانستان في صراع داخلي منذ 24 عامًا وقتلاه مليون وديونه ثلاثة بلايين دولار.

ومملكة نيبال في صراع منذ ثماني سنوات وقتلاها عشرة آلاف وديونها ثلاثة بلايين دولار.

وكمبوديا في صراع منذ 30 عامًا وقتلاها مليونان ومائة ألف نسمة وديونها ثلاثة بلايين دولار.

وبوروندي تنزف دمًا من عشر سنوات وقتلاها 300 ألف وديونها بليون.. ورواندا في سنة من الصراع وديونها بليونان وقتلاها مليون. والصومال منذ 13 عامًا في صراع وقتلاها نصف مليون وديونها ثلاثة بلايين. وسريلانكا في صراع منذ 19 عامًا وقتلاها 150 ألفًا وديونها تسعة بلايين دولار.. والعراق الغني مدين بمائتي بليون دولار ويقال أكثر، أما عدد ضحايا الحروب في هذه الدول فبلغ 14 مليونًا، والذين هاجروا منها بلغوا 18 مليونًا..

إنهم جميعًا 15 شعبًا من بينها ثمانية في إفريقيا، وعلى الدول الغنية أن تجد لها حلاً، وإلا استمر العنف والدم والقهر وانقلبت كلها على الدول الغنية..

ولابد أن تسامح كل هذه الدول وأن تعفيها من الديون؛ فهذه الدول لا تملك ثروات العراق اليوم، ولا ثروات السودان غدًا.

والمثل القائل: «درهم وقاية خير من قنطار علاج» ينطبق تمامًا على مثل هذه الدول الفقيرة ويجب أن نوفر لها الوقاية قبل أن يستفحل الداء.. وليس أبشع من الفقر داء!

يعني إيه عادي؟

في كلامنا اليومي هذه الكلمة: عادي كيف حالك؟ عادي. ماذا فعلت؟ عادي. هل ذهبت هل أكلت هل شربت هل لا تزال مهمومًا هل أنت سعيد؟ ويكون الجواب: عادي. أي أنه لا شيء جديدٌ. أو لا شيء على الإطلاق. وأن هذه هي حالته (العادية) اليوم وكل يوم!

والحقيقة أنه لا يوجد شيء (عادي) أبدًا.. فأنت لست (عاديًّا) فأنت لا تشبهني ولا تشبه جارك.. وكل منا مختلف وكل منا ليس عاديًّا.. ولا يوجد إنسان (عادي) لأن الإنسان يتغير ويتبدل من ساعة إلى ساعة ومن يوم إلى يوم.. ولا يوجد إنسان (عادي) فكلنا مختلفون عن بعضنا البعض تمامًا. وكما أنه لا يوجد إنسان (عادي) فلا يوجد إنسان (سويٌّ).. تمامًا كما أن حروف الهجاء ليست في استقامة حرف الألف، فكذلك الناس.. ولا يوجد إنسان (متوازن) المزاج والرغبات والمخاوف والطموحات.. وإنما يحاول ذلك بلطف أو بعنف. وإذا نجحنا وحققنا التوازن، فبعض الوقت، والمثل الذي يقول: اتق غضب الحليم، معناه أن الرجل الحليم المتوازن المنسجم، ليس كذلك طول الوقت.. وإنما أحيانًا يضيق بالناس فينهار صبره واحتماله ويصبح عاصفة من الغضب!

قرأت أخيرًا قصة للأطفال بعنوان: مرحبًا.. هل من أحد هناك؟ للكاتب النرويجي يوشتاين جاردر ترجمة أماني العشماوي (دار الشروق).. يقول المؤلف إن ظهور دجاجة على كوكب الأرض ليس

شيئًا عاديًّا. فلا توجد دجاجة في أي كوكب آخر. فهو حدث غير عادي. والبيضة التي تضعها الدجاجة ليست شيئًا عاديًّا وإنما هي معجزة الخلق؛ لأنها خلق وإبداع جديد لا نظير له في الكون..

ومشكلة الإنسان أنه قد أراح دماغه فوصف كل شيء بأنه (عادي)..

الحقيقة ليست كذلك.. فلا الإنسان ولا الحيوان ولا النبات ولا الزهور ولا الثمار شيء عادي.. وإنما هو إبداع.. إعجاز.. عظمة.. عبقرية.. فكيف يكون الإبداع اللانهائي شيئًا عاديًّا.. كيف يكون شيئًا (زي قلته).. شيء كأنه لم يكن حتى مثل هذا الكلام ليس عاديًّا؛ لأنه إهانة للعقل واستخفاف بمعجزة الحياة.

أهــلاوي ســرًّا!

لا أحـاول أن أنكت وإنما هذا ما حدث. فقد استطاع أحد العاملين في البيت أن يقنع الجميع بأنه ترسانوي، ليلقى عطفًا شديدًا.. فلوسًا وملابس.. وفجأة اكتشفوا أنه أهلاوي فطردوه!

وفي إفطار رمضان كان عدد الحاضرين في بيت أحد الأصدقاء مائة. وضرب المدفع وبدأت المسلسلات، والضيوف قد فرغوا من الشوربة وانتظروا دعوتهم إلى الإفطار. ومضى ربع ساعة ونصف ساعة. وكان في البيت هرج ومرج.. وعرفنا أن الشبان في البيت طردوا الطباخ فقد اكتشفوا أنه زملكاوي!

ومرة اتصل بي المرحوم صلاح الشاهد وهو أحد أقطاب نادي الترسانة وقال لي: أنا بلغني من المرحوم مرسي الشافعي رئيس تحرير روزاليوسف أن لديكم سفرجي ترسانوي.. وأنا من رأيي أن تسارعوا بتزويجه لأن الترسانوية بدأوا ينقرضون!

ولسبب غير واضح عندي الآن دعاني عبد الحليم حافظ وكمال الطويل وجلال معوض إلى مشاهدة مباراة في كرة القدم لعلي أكتب شيئًا مختلفًا. وذهبت ولكن وجدت اللاعبين أحجامهم صغيرة لمن يراهم من المقصورة والمدرجات وأنا لا أعرف منهم أحدًا. وكان يدهشني أن كل الناس حولي يعرفونهم بالاسم ويشتمونهم أو يمدحونهم.. وأن كثيرًا من الألفاظ بذيئة لا تليق باللاعبين

ولا بالناس الأكابر الجالسين في المقصورة. ولكن هذا أسلوب متبع في المباريات. ولم أجد معنى للسؤال: ولكنَّ اللاعبين لا يسمعونكم؟

وكيف أن اللاعب الذي يحرز هدفًا ما أعظمه، والذي يخفق ما أحقره هو والذين أتوا به إلى الملعب أو إلى الدنيا –إيه ده؟!

ولما وجدت إلحاحًا شديدًا من عبد الحليم حافظ.. ثم من محمد عبد الوهاب، تشككت وسألت آخرين. فلم تكن المباراة بين الأهلي والزمالك كما أقنعوني.. وإنما بين البرازيل وأحد هذين الناديين!

وأفلت من مصيدة هؤلاء الخبثاء ومن أن أكون كرة قدم يركلونها وتنفجر الكرة وينفجرون هم أيضًا بالضحك وكل القاهرة!

مــاذا جــرى لهــا؟!

لا تزال حياة أول رائدة فضاء مجهولة، هي لا تتكلم وحكومتها تمنعها إذا حاولت؛ إنها فالنتينا (67 سنة) التي بدأت حياتها العسكرية كواحدة من المظليين. وفي يوم خطر لها أن تبعث برسالة خاصة للزعيم خروشوف تقول فيها: وأنا أيضًا أريد أن أكون رائدة فضاء -أي بعد جاجارين الذي بهر الدنيا سنة 1961، وجاءنا هنا في مصر ليقول: إنه لا يستحق هذه الحفاوة؛ فأنا لست إلا جنديًا بسيطًا.. أما العلماء فهم الذين يستحقون الإجلال..

ووجد الزعيم السوفيتي أن فالنتينا فرصة أكبر للدعاية لروسيا والمرأة الروسية. ووافق ودربوها 16 شهرًا وأطلقوها ثلاثة أيام حول الأرض يوم 16 يونيو سنة 1963، وبعدها تزوجت رائد الفضاء نيكولاييف وأنجبا بنتًا، وتم الطلاق بينهما سنة 1980 -هذه هي الأحداث السريعة، ولكن ليست هذه هي الأحداث التي تهم؛ فقد التقى الزوجان في الفضاء وصدر لهما الأمر بأن تكون بينهما علاقة جنسية ليعرف العلماء ماذا يصيب الحيوان المنوي والبويضة في منطقة انعدام الوزن، وقد حدث.

أما ابنتهما إيلينا فيقال إنها هي الأخرى طبيبة في سلاح الطيران، ولكن أخفوها عن العيون تمامًا. ولما كثرت التساؤلات عنها وحول تكوينها الجسمي والعصبي ووظائفها وما أصابها من تشويه بسبب الجاذبية وانعدامها- أبعدتها الحكومة عن الآذان والعيون.

وبعد سنوات اضطرت الحكومة الروسية لنشر صور لها؛ صور من بعيد، ولا أحد يعرف إن كانت هذه صورها أو لأي واحدة أخرى، وقد تأكد لدى العالم كله أن شيئًا خطيرًا قد أصاب هذه الطبيبة ابنة رائدي الفضاء.

وقد اتخذ عدد كبير من خبراء التنجيم حكاية هذه الابنة دليلاً على أثر الجاذبية وانعدامها على حياة الإنسان على الأرض أو حولها أو على الكواكب الأخرى؛ ولذلك فكثير من رواد الفضاء يصاب بخلل شديد، ولابد من إعادة تأهيله وإعادة تنظيمه وتطبيعه مع جاذبية الأرض.. وهناك تجارب بسيطة تؤكد ذلك: تسلق الجبال والهبوط إلى المناجم، والفرق هائل.

والفرق هو قوة وضعف الجاذبية الأرضية!

إلـــى زحـــل..

سفينة الفضاء الأمريكية «كاسيني» سوف تهبط يوم الكريسماس القادم على القمر تيتان وهو واحد من 14 قمرًا تدور حول كوكب زحل. وقد بدأت هذه الرحلة يوم 5 أكتوبر سنة 1997. والرحلة طولها ألفا مليون كيلومتر. والسفينة «كاسيني» في حجم أتوبيس يزن خمسة أطنان.

وفي أول يوليو القادم سوف تصدر الأوامر إلى السفينة بأن توقف صواريخ الدفع لمدة 96 دقيقة بالضبط لتخفيض السرعة ولتتمكن من اتخاذ مدار حول زحل وتلتقط صورًا للحلقات الضخمة التي تلتف حوله.

وبعد 22 يومًا تهبط هذه السفينة على القمر تيتان الذي لا نعرف عنه إلا القليل.

أما السفينة الأم التي كانت تحمل «كاسيني» فسوف تدور سبعين مرة حول كوكب زحل في السنوات الأربع القادمة؛ لكي تحلل جوانب الدوائر الغازية أو الحلقات حول كوكب زحل.

وهدف الرحلة الطويلة هو أن العلماء يريدون أن يعرفوا كيف كانت بداية أمنا كوكب الأرض؛ فقد تكونت الأرض منذ حوالي أربعة آلاف مليون سنة. فهذه الرحلة هي ماضي كوكب الأرض. نريد أن نعرف ماضينا وأن نبحث في كواكب أخرى كيف ظهرت فيها أشكال

من الحياة البدائية جدًّا، وكيف تطورت هذه الحياة البدائية إلى حياة الحيوان والنبات والإنسان، كيف تطورت الخلايا، وكيف احتفظت بحياتها ملايين السنين.. أي كيف تحوصلت ضد الحرارة القاتلة والبرودة المميتة ملايين السنين.. ثم دبت فيها الحياة على النحو الذي نعرفه ولا تزال أحلام العلماء أبعد من ذلك كثيرًا؛ فهم يريدون أن يعرفوا كيف بدأ هذا الكون، وإن كان هناك كون واحد أو ملايين الأكوان.. وإن كانت هناك بداية ونهاية لهذا الكون.

والإجابة ليست اليوم ولا غدًا.. وإنما في ألوف السنين أو في ملايينها القادمة!!

عملات قذرة!

طبيعي أن يشعر بالقرف والخجل كل من وقعت في يده العملات الورقية المصرية؛ لأنها قذرة ورديئة الورق ومكرمشة وملطخة بالأسماء والعناوين والأختام وشيء من الزيت والهباب. ربما تكون قد اعتدنا على قذارتها كما اعتدنا على قذارة الشوارع وأشياء أخرى كثيرة. ولكن الخواجة أو الأخ العربي لابد أن يندهش لهذه القذارة التي اتخذت شكل العملات ولابد أن يندهش كيف تسافر إلى الخارج وخصوصًا رجال البنوك ولا يفعلون شيئًا..

وأسعدني وأتعسني أيضًا أن تلقيت خطابات كثيرة موجهة إلى البنك المركزي يطلبون مسح هذا العار -وليس صعبًا- إذن فهناك من لا يقوى على الصمت.. وضايقني أيضًا أن البنك المركزي كأنه لا رأى ولا سمع ولا في نيته أن يفعل ذلك!

وقد أرسل لي السيد محمد محمود حسن سالم الذي كان يعمل في مصلحة سك العملة وهو الآن عمدة سلمنت شرقية، نص الرد الذي جاءه من البنك المركزي بتاريخ 27/8/98 يقول المدير العام للبنك: بالإشارة إلى المذكرة المقدمة منكم بتسلم أوراق نقد متسخة ومهلهلة وغير صالحة للتداول من مكتب بريد العتبة، نتشرف بأنه قمنا بالكتابة للهيئة القومية للبريد لاتخاذ اللازم في هذا الخصوص. ونحن إذ نشكر لكم خالص اهتمامكم في هذا المجال الذي يمثل المظهر الحضاري لمصر..

كأن الخطأ كله والقذارة كلها عند مصلحة البريد! وأنها وحدها التي يجب أن نوجه لها اللوم! فهم الذين يعجنون الأوراق المالية ويخبزونها ويمسحون بها الأرض ويوزعونها على ملايين الناس في مصر -طبعًا هذا هزل وتحشيش!

وصاحب الرسالة اندهش من أن تصدر هذه الأوراق من جهة مفروض أنها أنظف من الحواري ومن أيدي بائعي الباذنجان والفحم والزيت..

لقد جربنا مثل هذا السلوك الرسمي وخسرنا ألوف الملايين. صفقات القمصان الجاهزة وبها دبابيس قد صدئت -لأن صناعة الدبابيس كانت في حاجة إلى مليم زيادة يجعلها لا تصدأ. وعادت إلينا القمصان وخسر أصحابها مئات الملايين..

لابد أنها الملاليم التي يوفرها البنك المركزي حتى لا يشتري ورقًا أفضل!

ليســت خرافــة!

يحدث أنك تلتفت فجأة فتجد واحدًا ينظر إليك.. أو يحدث أن تلتفتي فتكون المفاجأة أن واحدًا يبحلق فيكِ. يعني إيه؟ هذه هي الحاسة السادسة. وكثير من العلماء كانوا يرون أن الحاسة السادسة خرافة. ولكن الأبحاث النفسية الحديثة تؤكد أنها صحيحة. وأنها موجودة. وأنها كانت الوسيلة المؤكدة للإنسان منذ عشرات ألوف السنين في أن يهتدي إلى الآخرين –من الناس والحيوان. ولكن بتقدم الإنسان ووسائل الأمان عندهم، لم يعد في حاجة إلى أن يستخدم هذه الحاسة. ولكن بعض الناس لديهم هذه القدرة على استدعاء هذه الحاسة والاعتماد عليها..

يحكي الأديب والمفكر البريطاني وأحد زعماء (الأدباء الغاضبين) أن زوجته وأولاده ذهبوا إلى مدينة الملاهي وأنه وعدهم باللحاق بهم. ولكن نسي أن يحدد المكان. فذهب وقام بتجربة خاصة، وهو أن نظر إلى قدميه وركز فيهما، ثم أصدر إلى القدمين أوامره بأن تتجه إلى حيث توجد أسرته. ويقول إنه وجد نفسه يدور ويمضي وفجأة يشعر بعدم رغبته في المشي، ثم تلفت حوله فوجد زوجته وأولاده. ويعلق على ذلك بأنه أيقظ الحاسة السادسة عنده. وهي حاسة تاريخية كانت نائمة ولكن إذا استدعاها الإنسان بتركيز شديد، وإذا تدرب على ذلك، فإنها تستجيب فورًا.

وكثيرًا ما تمتد يدك إلى التليفون تطلب صديقًا فتجده يطلبك.. أو تفكر في إنسان فتجده أمامك.. أو تشعر بانقباض فتطلب والدتك فتجدها مريضة، ولي تجربة انتشرت في كتب علم النفس الحديث؛ فقد كنت على سفر وفي الطريق إلى المطار خطر لي أن أطمئن على والدتي فطلبتها فوجدتها مريضة تمامًا.. فأجلت سفري. ورددت تذكرتي إلى شركة الطيران.. وفي المطار وجدت الناقد حسن إمام عمر والفنانة كاميليا وهي في حاجة إلى تذكرتي.. أخذتها.. واحترقت بها الطائرة!

يجـــب أن يبقـــى!

لا يهم كيف ومتى يحاكمون ويحكمون على صدام حسين: إن أول ظلم يقع على صدام حسين كان ولا يزال من الأمريكان فهو لا يستحق إلا التكريم العظيم. فلا أقل من أن يكون له تمثال مثل تمثال لنكولن. لأنـه هو الـذي، فتح الأنهار والآبـار للأمريكان في الشرق الأوسط والشرق الأوسع!

لقد لقي صدام حسين ما لقيه بن لادن أيضًا. فقد كان بن لادن رجلهم الوحيد في أفغانستـان فصار عدوهم الأوحد في العالم ـ كل ذلك لم يعد في الدرجة الأولـى من همومنا وإنما الغم والهم هو مستقبل العراق وشعب العراق وشعوب المنطقة. فالعراق الذي نراه لم نعد نعرفه وسوف يـزداد جهلنا به وتجاهلنا لـه. فلا أحـد يعرف بوضوح كم ولاية عراقية كم لواء كم دويلة كم فتفوتة سنية وشيعية وكردية وكم سودانية عربية وسودانية زنجية..

وليس سرًّا ما حدث من تسويات وتصفيات وتصحيحات في ليبيا.. ولا اتفاقات ومعاهدات في السودان وتعديلات وترتيبات وابتهالات ومباركات في الخليج. ولم تعد الأيدي القذرة في المنطقة ولا في العالم هـي الإسلامية وإنما هي الأمريكية. وليس هذا رأينا وحدنا وإنما كل دول العالم الأوروبي والآسيوي..

وسـواء بقـي الرئيـس بـوش أو ذهب كما ذهب أبوه، وجاء من بعده كيـري، فالمقدمـات كلها تـدل على النتائج والنتائج واضحة.

والأكاذيب مستمرة فلا طفل صغيرًا يصدق أن بن لادن الذي يعيش في الكهوف مع الزواحف والحشرات، ولا يجد ماء يتوضأ به، هو الذي صمم ودبر ونفذ أعظم عملية تكنولوجية في القرن العشرين. والتفاصيل نعرفها جميعًا. ولا يوجد أي دليل على أن بن لادن هو الذي نفذ هذه العملية العبقرية!

إنها أكذوبة وبعدها أكذوبة وجود أسلحة دمار شامل في العراق.

الـــردي يكســـب!

الكتب الرديئة هي التي تكسب أكثر.. قصص الطلاق تبيع أكثر من قصص الزواج.. قصص اللصوص جذابة أكثر من قصص الشرفاء.. وأمامنا ما كتبوه عن الرئيس ميتران وما كتبه الرئيس كلينتون وزوجته وعشرات الكتب التي صدرت عن الأميرة ديانا..

لقد وصف أخو الأميرة هذه الكتب بأنها صناعة فضائح ديانا؛ لأنها كتب وصور وأفلام.. وأخيرًا صدر كتاب عن حياة هيلاري كلينتون. هذا الكتاب ليس فيه جديد. فكل فضائح البيت الأبيض معروفة لموظفي البيت الأبيض وعائلاتهم وللمخابرات وللصحفيين والرسميين في أمريكا. ولكنَّ أحدًا لا يقول.

هذا الكتاب يحكي المعارك التي كانت تدور بين الرئيس والسيدة الأولى.

ففي أحد المؤتمرات الصحفية ظهر الرئيس وخرابيش السيدة الأولى في وجهه. وقال الرئيس إنه «موس» الحلاقة ومرة ثانية قال: إنها ابنتي هيلسي، وتساءل الصحفيون إن كان الرئيس يحلق لنفسه. فقيل: أبدًا. ومرة ثالثة ظهرت (كلكيعة) في جبهة الرئيس فقال إنه اصطدم بالباب.. والحقيقة أن شيئًا آخر طار من غرفة نوم الرئيس ليصيبه في دماغه. فلم تخطئ هيلاري رأس الرئيس..

أما الأطباق الطائرة والفناجين والسكاكين فهي الطابور اليومي الذي يسمعه رجال ونساء البيت الأبيض. وأما الشتائم ولعنة الأم والأب فهي نشيد الصباح -كل صباح!

ويؤكد الكتاب أن كلينتون لا كان مخلصًا لا الأمس ولا اليوم.. وأن الفتيات كن بالجملة في حياته منذ كان حاكمًا لولاية أركنسو وبعد ذلك.. ولا كانت هيلاري. ويتحدثون عن غراميات هيلاري وأن أحد محبيها جاءت به إلى البيت الأبيض.

حــارت العقــول!

هل الكلام عن القضية الفلسطينية له معنى جديد؟ نعم له معنى. ولكن عند من؟

إن العقل يحار في الإجابة عن هذا السؤال. فنحن -أقصد المصريين- لا نكاد نخطو خطوة حتى تتجه الحجارة إلينا من الفصائل الفلسطينية ومن اليهود أيضًا. لماذا؟ لأن سوء الظن وسوء النية هواء أصفر يتنسمه الجميع وراء وأمام الحائط العازل الفاصل القاصم. الفلسطينيون يقولون: إن دخول مصر تدعيم للموقف الإسرائيلي. وإن هناك محورًا جديدًا بين القاهرة وتل أبيب -أرجو أن تقرأ هذه العبارة مرة أخرى وتتساءل عن المعنى. المعنى أن مصر تعمل مع إسرائيل ضد فلسطين. هل هذا معقول؟! نحن نقول ليس معقولًا ولكنهم يقولون: بل هذا هو المعقول.. واليهود يقولون: إن مصر يجب ألا تكون طرفًا في الصراع. وإن فلسطين يجب أن تتحاور مع إسرائيل مباشرة دون تدخل من أي أحد -ولا حتى الأمريكان. فقد ضاق اليهود بالوساطات بينهم وبين العرب خمسين.. ستين.. مائة سنة! وأن دور مصر له علاقة بالأمن فقط؛ يعنى أن تؤدي مصر مهمة محددة. وهذه المهمة هي خدمة منها لفلسطين وليست لإسرائيل.

ومصر ترى -مثل فلسطين- أن الانسحاب يجب أن يكون طبقًا لـ«خريطة الطريق»، وليس مجرد انسحاب. وقد استطاعت إسرائيل أن تحصل على تأييد دولي بالانسحاب تحت أي اسم. وحتى لو قالت

إسرائيل إن الانسحاب سوف يكون تطبيقًا لخريطة الطريق، فإن لشارون 18 تحفظًا على هذه الخريطة. والتحفظ الأول يحتاج في بحثه إلى خمسين عامًا أخرى!

ولم يعد لدى أحد من الدول لا وقت ولا عقل ولا قلب لسماع الخلافات المستعصية بين إسرائيل وفلسطين وبين فلسطين وفلسطين، وبين أمريكا والعرب.. وفي هذه الزحمة نجحت إسرائيل في أن تقلب الدنيا على العرب والمسلمين.. حتى أصبحنا إذا قلنا لم يسمعنا أحد، وإذا سمعنا انشغل بهمومه ومشاكل شعبه!

حظك من السماء!

ولا يهمك ما يقوله الناس عنك إذا قلبت صفحات أية صحيفة أو مجلة بحثًا عن الطالع.. حظك اليوم.. حظك من السماء.. نجوم السماء أقرب لك.. فليست خرافة..

إن الإنسان قد اهتم بأثر الشمس والكواكب وحركتها على حياته وصحته وعقله ومستقبله –فعلت ذلك من ألوف السنين حضارات مصر وبابل وأشور والهند والصين. وحاول كثيرون من المنجمين أن يضعوا لفن التنجيم قواعد وخرائط.. ولكن جاء علماء الفلك والفيزياء في العصر الحديث فنسفوا كل هذه الممارسات التي ليست علمًا من العلوم..

وعند العرب نقلوا فنون التنجيم من الإغريق والهنود والفرس والفراعنة. وكان أشهر خبراء التنجيم «أبو معشر» في القرن التاسع الميلادي. ولكن في العصر الحديث تناول علماء النفس والفلك كل ممارسات التنجيم ووجدوا فيها شيئًا من العلم. ولكن رفضوا الكثير من طموحات المنجمين.

وفي الأسبوع الماضي أعلن أحد علماء الفلك الكبار في بريطانيا د. برس سيمور عضو الجمعية الفلكية الملكية أن التنجيم له أساس صحيح. فلا يوجد شيء في الكون لا يتأثر بالجاذبية.. جاذبية الأرض والكواكب والنجوم وقال إن الدليل على أثر الجاذبية ما تفعله

جاذبية القمر في المد والجزر في البحار والمحيطات.. وقال أيضًا: لا يمكن استبعاد أثر المجال المغناطيسي في حياتنا اليومية.. فكل الموتورات التي نستخدمها لها مجال مغناطيسي. ولهذا المجال أثر في صحتنا وتركيب خلايانا. وقال: إن الجنين في بطن أمه يتأثر تمامًا بالمجالات المغناطيسية التي تتحرك فيها الأم. وأهمها المجال المغناطيسي للأرض وللقمر وللشمس.

وقال: وليس من قبل التخريف ما جاء في الكتب القديمة من نصائح للملوك والقادة العسكريين من أنهم كانوا يسألون عن أنسب الأيام للزواج والحرب والزراعة، وقال د. سيمور: كل ذلك صحيح وكل هذه الممارسات تحتاج إلى ضبط علمي أو معادلات رياضية. وهاجمه العلماء رغم مكانته العلمية، ووجدوا أن مثل هذه الآراء دليل على شيخوخته المبكرة، أي أنه مخرف. وقبل ذلك عندما أعلن الكيميائي الكبير باولنج أن فيتامين ج يطيل العمر اتهموه بالجنون. ولم يشفع له أنه حصل على جائزة نوبل مرتين في الكيمياء سنة 1954 ومرة في السلام سنة 1962. ولا يهمك اقرأ وانبسط فهذه عادة عمرها عشرة آلاف سنة!

موسيقى للحيوان!

كلام كثير يقال عن أثر الموسيقى في حياة الإنسان والحيوان والنبات. بعض العلماء يرون أن الموسيقى تؤدي إلى انتعاش الزهور والورود، بل إن الحالة النفسية لأصحاب البيت تؤثر في حيوية النباتات والزهور الموجودة في البيت. هذه ملاحظة مؤكدة، وهي علمية أيضًا، وكذلك هذه الحالة النفسية عندنا تؤثر في الكلاب والقطط والطيور الموجودة عندنا.

أعط أذنك لأناس كثيرين وأنت تسمع العجب، وعن علاقة الكلاب بأصحابها أيضًا. أي عن أثر الحالات النفسية والعقلية في حياة هذه الحيوانات المرتبطة بنا.

وفي المستشفيات النفسية يعالجون المرضى بالموسيقى، وبالرقص أيضًا. ويرون في ذلك إعادة للتوزيع الموسيقي للحياة النفسية المضطربة، كأن الأطباء يوزعون (نوتة موسيقية) على كل أعضاء ووظائف الجسم لتشترك في لحن واحد.

وهناك علماء يرون أن الموسيقى في حظائر الماشية تساعد على إدرار اللبن، وليس لحنًا موسيقيًّا واحدًا، وإنما ألحان كثيرة قد جربوها وتأكدوا من مفعولها القوي.

وفي أساطير الإغريق أن زمَّارًا كان إذا نفخ في مزماره دارت حوله الطيور، وخرجت الأسماك من الماء، ويقال إن زمَّارًا استطاع أن

ينقذ مدينة من الطاعون، فقد سارت وراءه الفئران ونزل بها إلى البحر.. وعاش الناس!

وفي الهند يصيدون الأفاعي بصوت المزمار، ويقتلون الأفاعي بصوت المزمار أيضًا.. أنا رأيت في الهند ساحرًا هنديًّا ينفخ في الناي ويطلب إلى مجموعة من الثعابين أن تكتب الحروف الأولى من اسمي ففعلت وهي ترقص على موسيقاه!

وفي العدد الأخير من مجلة (ناشيونال جيوجرافيك) الأمريكية أنهم في منغوليا يعالجون الناقة التي هجرت طفلها دون رضاعة فيموت، ولكن أهل منغوليا يعرفون العلاج: إنهم يأتون بأطفال يزمرون للناقة فإذا بها تبحث عن طفلها لترضعه.. وكلما هجرته لسبب غير معروف، التف حولها الزمَّارون فأعادت طفلها إلى صدرها.

وكان أستاذنا الفيلسوف الإغريقي أفلاطون يعالج الناس بالموسيقى.. وهناك عبارة مشهورة يرددها كثيرون تقول: أعطني زمام الموسيقى، وأنا أعطيك شعبًا سليمًا حكيمًا!

كلها ضارة!

ريّح دماغك ـ فكل الأجهزة التي نستخدمها ضارة بالصحة، ابتداء من الراديو والتلفزيون والكمبيوتر والموبايل، وهناك نظريات لعلماء يتفقون ويختلفون. كما أن الثلاجة والغسالة وموتورات السيارات ومحركات الطائرات ومجالاتها المغناطيسية ضارة بالصحة.. بكريات الدم وأنسجة الخلايا والمخ والمعدة والقلب..

وتضاف إلى ذلك كل المكيفات الشاي والقهوة والسجائر والمخدرات والكحول..

بل إن الأدوية نفسها ضارة إذا لم تتناولها بإرشاد من الطبيب.

وبعض الأدوية التي تعالج بها القلب تضر المعدة والتي من أجل المعدة تضر الكبد.. فيما عدا الإسبرين الذي كل يوم تظهر له فائدة جديدة..

والفياجرا فيها قولان وثلاثة..

ويلقى التليفون المحمول اهتمامًا خاصًا؛ لأنه موضة العصر.. وأمل الكثيرين من الناس.. وأن يتنقلوا من ماركة إلى أخرى.. والشركات تلاحق الناس بإبداع شيء جديد كل يوم. وأصبحت الموضة أن يتنافس الناس مع الشركات في تغيير شكل ولون وحجم وكاميرات وفيديو المحمول. ولا نعرف ما سوف تكون عليه الصورة الجديدة بين الجيل الجديد: الفنلندي والكوري والياباني والألماني..

وفي الاجتماع الأخير ببرلين للجمعية الأوروبية لعلم الأجنة والخصوبة ألقى الأستاذ المجري فيبس بحثًا عن التجارب التي أجراها على 221 من مدمني المحمول على مدى 12 شهرًا. ولاحظ نقصًا في الحيوانات المنوية عند الرجال. ووجد شيئًا أخطر وهو أن حركة الحيوان المنوي لكي يلحق بالبويضة أبطأ لدرجة أنه ينفق قبل أن يلتحم بها. أما نسبة النقص فهي أكثر من 30٪. ونصح الأستاذ المجري بإبعاد المحمول عن الأطفال قدر المستطاع. ولاحظ أيضًا أن المحمول ضار سواء وضعته في يدك أو في جيب البنطلون أو في حزام حول خصرك.. فالإشعاع الذي يخرج منه يصل إلى كرات الدم وخلايا الجسم والأعصاب والمخ..

وفي الاجتماع نفسه ألقى العالم الهولندي هانس ايفرز بحثًا يقول فيه إنه لا يستبعد أن يكون المحمول ضارًا.. ولكن يجب أن نعطي لأنفسنا متسعًا من الوقت لكي نعرف درجة الضرر للجسم ووظائف الغدد والمخ!

يعني الإسراف «ضار»، فاعتدل!

جسمك السبب!

لا أنت في حاجة إلى سجموند فرويد ولا إلى أحمد عكاشة أو عادل صادق. فهناك نظريات جديدة تقول إن كل متاعبنا النفسية والعقلية سببها طعامك وشرابك؛ أي جسمك!

مثلاً: نحن جميعًا مصابون بالإحباط واليأس والقرف. فالدنيا تخلصت من كل ألوانها، واحتفظت بهذا اللون الأسود.

وتحررت من كل الطعوم ولم تترك إلا المرارة على ألسنتنا جميعًا.. وذبحنا كل حيوانات الغابة فلم يبق لنا إلا الكلاب والذئاب والأفاعي.. وتوزعت هذه الحيوانات بالعدل علينا: كل واحد يختار أقرب هذه الحيوانات إليه. واخترنا وتساقطنا على مقاعد طويلة في عيادات الأطباء. فما كان من الأطباء إلا أن نصحونا بتعاطي كل أنواع الحبوب المهدئة والمسكنة والمنومة والمفرفشة. وأدمنا الأطباء والحبوب الكيميائية للقضاء على القلق والتوتر والشعور بالتعب وبالصداع وأوجاع الظهر.

وككل شيء ندمنه، لم يعد له أي أثر في القضاء على القلق؛ ولذلك فقد خلقنا نوعًا جديدًا من القلق: هو أن الدكاترة وحبوبهم وأقراصهم لم يعد لها جدوى.. مما ضاعف حزننا على أنفسنا وشعورنا بالإحباط واليأس من أي علاج. فما العلاج؟

أحد الأطباء الفرنسيين حكى لنا تجربته الفريدة. وهو أنه – مثلي– ذهب إلى التبت ورأى الهدوء والصفاء على وجوه أبناء التبت

الذين طردتهم الصين من بلادهم فلجأوا إلى جبال الهيمالايا في الهند. ولم يظهر عليهم أي مرض ولا قلق ولا توتر ولا شعور باليأس من أي حل!

ووجد الباحث الفرنسي أن السبب ليس اللامبالاة ولا البلادة. وإنما رياضات جسمية: التأمل والأعشاب والريجيم. وبس! فلا دواء ولا أطباء. وإنما هي رياضات بسيطة وأطعمة أكثر بساطة والنظر إلى ما حولهم وليس إلى أنفسهم. واضح؟ ليس واضحًا تمامًا!

ولكن هذه خلاصة نظرية جديدة للطبيب الفرنسي سرفان شريبير في 400 صفحة. وليس من الضروري أن تكون من أبناء التبت ولا أن تعيش على أطراف التبت والهند والصين فوق الهيمالايا.. وإنما عليك أن تسند ظهرك للحائط وتهدأ وتأكل القليل وترضى بالقليل وتمد يدك إلى فمك وتقبلها ولا تمدها إلى أي طبيب. فإذا فعلت فأنت واحد من عشرة ملايين من المؤمنين بهذه النظرية!

باريس ـ الأسعار هنا نار، وفي ألمانيا وإيطاليا نفس الشكوى، مثلاً: ساندويتش متوسط الحجم بالطماطم والبيض و«الجبنة» ثمنه 35 جنيهًا. وكذلك القهوة والشاي. أما الحلاقة فأنا أدعو الله على شريف الشوباشي الذي كان مديرًا لمكتب الأهرام في باريس؛ فقد أقنعني بأن الحلاق المجاور لمكتب جريدة الأهرام هو أحسن وأرخص حلاق في باريس. ومعنى ذلك أنه إذا كان نارًا فالصالونات الأخرى هي جهنم. ذهبت وكان شاهدًا على الوقائع الزميل د. أحمد يوسف، دخلت وبسرعة ظهرت فتاة زنجية: أهلًا وسهلًا.. فسبقني إلى الكلام أحمد يوسف وقال وعاد. ولا أعرف كيف أقنعني واشترط كل ذلك. وجاءت فتاة أخرى وثانية وثالثة ووقفوا على دماغي. هذه تلعب في شعري يمينًا وهذه شمالاً وثالثة تتحدث عن جذور الشعر. مش فاهم ليه. وأشارت واحدة رابعة أن أتبعها إلى الدور الأرضي.

وهناك ظهرت واحدة خامسة، وأشارت أن أساعدها على غسل شعري. وغسلته بالماء الدافئ وقامت بتدليك دماغي برقة. وجاءت واحدة أخرى جففت شعري. وجاءت واحدة وطلبت مني أن أصعد معها إلى الدور العلوي. وبسرعة التفت ثلاث حول رأسي ودارت مناقشات جادة مش مفهومة حتى خُيل إليَّ أنهم يتحدثون عن رأس الرجاء الصالح، أو رأس كوميرون جنوبي الهند، أو رأس كانفرال قاعدة إطلاق الصواريخ الأمريكية. وكان لابد أن أسأل وسألت.

ولم أتلق جوابًا مفيدًا، المصيبة أن د. أحمد يوسف كان في صف الحلاقات معجبًا ومهنئًا وسائلًا عن التليفونات وعن الفنادق وطالبًا لمزيد من القهوة السادة؛ لأن القعدة ستزداد حلاوة. وأسلمت رأسي وزي ما تيجي. ودارت أجهزة التجفيف هنا وهناك. وقالت لي: اتفضل ووقفن صفًّا واحدًا لتحيتي والإنجاز العظيم الذي تم –ولا أعرف ما هو. فلما نظرت في المرآة، لاحظت أنها حلاقة شاب وليست لرجل عجوز. وطلبت التغيير الفوري مراعاةً لفروق التوقيت. وقرأت تكاليف هذه الحلاقة، وطلب مني أحمد يوسف أن أدفع بقشيشًا يعادل 150 جنيهًا! أما الحلاقة فلا أستطيع أن أذكرها هنا..

وإنما يكفي أن تعرف أنها من ثلاثة أرقام. واكتشفت أن هذا الصالون لا هو أحسن ما في باريس ولا أرخص. وإنما هم يتقاضون من شريف الشوباشي (الحليوة) سعرًا رمزيًّا وأحيانًا يرفضون.. اكتفاء بضحاياه من الزبائن المساكين الذين يبعث بهم!

روميـــو وجولييـــت!

بـازل– ذهبت مع د. حـازم عطية الله إلى الأوبرا أتفرج على بـاليه (روميو وجولييت) للموسيقـار الروسي بروكوفيف، وصفقت طويلاً مع الجمهور الذي طلب ظهور الراقصين ثلاث مرات لتحيتهم واحدًا واحـدًا. أمـا البطلة جولييت فهي يابانية، وأمـا البطل روميو فـهو بريطـاني وبين الراقصات زنوج..

ومنذ شهرين ذهبت إلى بيت جولييت في مدينة فيرونا بإيطاليا. وصعدت السلم الطويل، ووقفت في البلكونة كما كانت تفعل جولييت، وعدت إلى الفندق أقرأ الحوار الساحر الذي كتبه شكسبير على لسانها. أما القصة فهي من التراث الشعبي. ويقال إنها لم تحدث مطلقًا تمامًا كقصة «ليلى والمجنون» في التراث العربي..

ذهبت إلى الأوبرا وفي أذني هذه الموسيقى الرائعة التي أبدعها شكسبير الذي أوجد هذه الأسطورة الشعبية. ولكن روعني البـاليه الذي رأيته.. أيقظني.. ضربني على دمـاغي.. ففي البـاليه عـادة أنت تتفرج على الأفكار الساحرة الجميلة الناعمة.. الحركات الموسيقية.. فملابس الراقصين كأنها من الضوء.. وكأنهم فراشات أو معـان لا جسم لها.. تتقـارب وتتبـاعد في شاعرية..

فـلا تعرف إن كـان الراقصون كلمات أو عبـارات أو نغمات فالموسيقى والحركة كلام بليغ كل واحد يفهمه على هواه..

أما هذا الباليه فهو (تجسيد) للمعاني، فالراقصون قد ارتدوا ملابس عارية: قمصان بصدور مكشوفة وبنطلونات جينز؛ أما الراقصات فقد تعمد المخرج أن يجعل فساتينهن مشقوقة لتظهر السيقان كلها بما في ذلك الكيلوتات البيضاء والسوداء! لقد تعمد ذلك تمامًا. ثم القبلات والأحضان حقيقية وليست إيماءات.. ثم إن البطل والبطلة ينام الواحد منهما فوق الآخر ويتمرغان ذهابًا وإيابًا وطويلاً؟!

بل إن صفعة نزلت على خد البطلة ـ صفعة لها صوت!

في هذه اللحظة تذكرت مسرحية (بيت الدمية) للمؤلف النرويجي أبسن. ففي المسرحية كانت ثورة الزوجة على زوجها فأغلقت الباب في وجهه بعنف.. وكأنها صفعت المتفرجين والقرن التاسع عشر!

أما الأداء فجميل، أما الإخراج فنموذج للواقعية الوقحة البذيئة التي جردت الباليه من روعته والمأساة من عمقها وضربت الرومانسية بالجزمة وكذلك الجمهور الذي صفق طويلاً حتى لا يقال إنه متخلف ـ والحقيقة أنه! صفق للخط الجميل بعبارة نابية!

أصغــر ملكيــن!

بـازل- الملك توت هو أصغر ملوك مصر القديمة، ولكن فجأة ظهر لزيارته من هو أصغر منه. لقد جاء الأمير أحمد فؤاد (52 سنة) الذي كان أصغر ملك لمصر، كان ملكًا وهو في المهد، ثم لم يعد ملكًا بعد ستة أشهر. رأيت الملك الأصغر ضخمًا كوالده الملك فاروق. ولو وضع الطربوش على دماغه، ونظارة سوداء لكان أباه تمامًا. الأمير أحمد فؤاد آخر ملوك مصر وأصغر ملوكها. هناك تشابه بينه وبين الملك توت. كلاهما صغير، وكلاهما لم يكن له دور في التاريخ.. توت قتلوه وفؤاد خلعوه، فلم يدر أنه كان ملكًا ولا أنه صار ملكًا سابقًا.

توت قتلوه لأسباب دينية، وفؤاد خلعوه لأسباب سياسية. وتوت لا يشرب الخمر، وفؤاد لا يشرب الخمر كوالده، فقط لأنه لا يحب رائحتها وطعمها، وزوجة توت صارت ملكة بعده، وزوجة فؤاد لم تكن ملكة لا قبله ولا بعده، وإن كانت تسمي نفسها ملكة مصر السابقة! وتوت زوجته أرملة، وزوجة فؤاد مطلقة حجزت على أمواله في البنوك الفرنسية فهرب إلى سويسرا!

سألت الأمير أحمد فؤاد عن الذي أعجبه في المعرض فأشار يمينًا وشمالاً، ولو كان ملكًا لطبل الناس وزمروا لذوقه اللي ما حصلش. ولكن لا أحد طبل ولا زمر فهو ليس ملكًا، بل لم يكن ملكًا من ورق على ورق!

قد أوصلته زوجته المغربية إلى ما يشبه الجنون، فدخل أحد مستشفيات الأعصاب، وكانت فريال أخته غير الشقيقة تقوم بدور الأم.

أما أخته الأخرى غير الشقيقة الباقية فهي مريضة طريحة أحد المستشفيات السويسرية أيضًا. وكان يعيش في غرفة واحدة وحده. أما الآن فأحسن حالاً، يعيش في شقة وعنده مديرة للبيت، صحته أحسن، ولذلك صار أضخم حجمًا وأحمر لونًا وأضعف ما فيه هو لغته العربية المكسرة والتي لا تسعفه كثيرًا، ولما رآه د. زاهي حواس بادره متسائلاً: إنت ألماني مش كده؟

تفتكر أيهما أحسن حالا: توت أو فؤاد؟!.. توت الذي مات ولا يزال حيًا، أو فؤاد الحي وكأنه ما كان!

ترشيـــد الميـــاه!

تساءلت في مقال سابق إن كانت شكوكي ومخاوفي سابقة لأوانها أو أننا نبالغ في ذلك. وقد تلقيت من د. محمود أبوزيد وزير الموارد المائية والري ما يطمئن على المستقبل المائي، وألا تكون حرب المياه قد بدأت:

أود أن أتوجه إليكم بالشكر لما أوليتموه لموضوع الماء من اهتمام مستحق ولما أشرتم إليه من ضرورة ترشيد استهلاكه والحفاظ عليه من التلوث وضرورة تدوير مياه الصرف، الأمر الذي تحرص الوزارة عليه منذ سنوات حتى زاد ما يعاد استخدامه من مياه الصرف في الوجه القبلي والبحري في الوقت الحاضر من عشرات مليارات من الأمتار المكعبة سنويًا –وتقرب نسبة تدوير المياه في مصر من الضعف وتتزايد باستمرار في حدود نوعية المياه الصالحة. أما عن تنمية المصادر المائية الأخرى الجوفية وغيرها فذلك أيضًا من شغلنا الشاغل، أما عن الأطماع والتهديدات فيجب ألا ننكرها ونتفق مع سيادتكم في ألا يقلل من شأنها أحد، وأرجو أن أؤكد أن مسئولاً واحدًا من الدول التسع المشتركة معنا في الحوض لم يوجه إلينا مجرد تساؤل عن استخدامنا لحصة بلادنا الحالية في مياه النهر.

بل أوّكد أيضًا أن علاقة مصر بدول حوض النيل لم تكن في يوم من الأيام أقوى مما هي عليه الآن، وردًا على ما تثيره بعض الصحف

كتبت السفارة الإثيوبية بالقاهرة إلى جريدة الأهرام الخطاب المرفق صورته والمنشور يوم 2004/3/28 والذي يؤكد عدم إنشاء سدود ذات قيمة على النيل الأزرق وفروعه وعدم اشتراك إسرائيل في أي مشروعات مائية في البلاد الإثيوبية وكل ما نرجوه أن يحافظ الجميع معنا على بناء الثقة والانطلاق إلى التعاون الذي نستطيع من خلاله تنمية موارد هذا النهر العظيم لصالح كل الدول المتشاطئة عليه والمشتركة فيه. ومع حرصنا على عدم فتح أبواب جهنم فهي كما ذكرتم سيادتكم موجودة ونارها حامية لا يتقيها إلا كل مجتهد أمين.

ومع ذلك فإننا على استعداد دائم لمناقشة كل الموضوعات والوسائل التي تحمينا من شر الجحيم وتقربنا من الجنة ونعيمها.

شكرًا يا سيادة الوزير وأرجو ألا تضيق بهذه المخاوف والشكوك!

مـــن بعيـــد!

د. مدحت محمد علي عميد طب المنصورة استخدم كل وسائل الدعاية والإقناع ليكف الناس عن القبلات عمال على بطال. وليس منظر الرجال وهم يقبلون بعضهم بعضًا هو الذي يضايقه وإنما هذه الأمراض التي سوف تنتقل بالعدوى: الإنفلونزا والالتهاب الرئوي والدرن والسارس وفيروسات الكبد بي وسي عن طريق الملامسة وخاصة الذقن وحدوث جروح بسيطة لا تراها العين ودمامل الوجه واليدين.

ويقول د. مدحت محمد علي إنه وجد في صحيح البخاري عن أنس ابن مالك قوله: قلنا يا رسول الله أينحني بعضنا لبعض؟ قال: لا.. قلنا أيعانق بعضنا بعضًا؟ قال: لا.. قلنا: أيسلم بعضنا على بعض؟ قال: نعم..

وجعل الملصقات تتخذ هذا الشعار: السلام بالأيدي خير من القبلات بالعدوى.. حتى لا تكون القبلة قاتلة!

وفي منشور جماهيري جاء هذا الزجل للطالب أحمد نصر السيد:

لـو كنـت يـوم عيـان	وقابـلك واحـد حبيبـك
ليـه تاخـذه بالأحضـان	كفايـه تسلـم بإيـدك
أنـا يامـا شفـت الويـل	اتعلمـت درس أكيـد
لـو قابلنـي يـوم زميـل	أكيـد هسلـم مـن بعيـد

ولم يقل لنا سيادة العميد عن رأيه في قبلات السيدات.. ولن يستمع إليه أحد مهما يقل ويطل في قبلات الرجال والنساء. فقد استحال منعها. بل إن عددًا من الأطباء أمام اليأس من منعها قالوا إنه في أثناء التقبيل يفرز اللعاب مادة قاتلة للميكروبات ومقوية للمناعة.. أو مضعفة للمقاومة النفسية والجسمية!

سيادة العميد أؤيدك.. وقد شاعت في مصر أيام الوجود الروسي عادة سيئة جدًّا، نقلها الروس عن الفرس وهي التقبيل في الفم أو على الفم –وكانت قصيرة الأجل.

... فقد تقزز منها الناس. وعندما بدأها الصديق عبد الحليم حافظ نهرناه وزجرناه حتى أقلع عنها.. وكثيرون أيضًا!

سينــــا: شاعـــرة!

باريس– ديوان جديد للشاعرة سينا روصنم أهدته إلى نفرتيتي التي فقأوا إحدى عينيها وعنوانه (ولو لم يسمعني أحد). تقول في الإهداء: سيدتي لقد استكثروا عليك أن تكوني كلك جميلة فأحدثوا هذا التشويه في إحدى عينيك.. إنني أتخيل جمال هذه العين.. بل إنني لم أرك أبدًا بعين واحدة.. بل إن هذه العين التي لم تعد هناك هي التي هدتني إلى أن أملأ فراغها الخالد بالصلوات لها أن تبقى كما هي دليلاً على الحقد والقبح والشر.. حتى وأنت هناك يا سيدتي تؤكدين لنا أن الجمال والشر توءمان.. تمامًا مثل عينيك الخالدتين.. فإليك وحدك بعض ما رأيت في عينيك وشفتيك وعنقك البديع ونظرتك البعيدة المتعالية بالأبهة والخلود.. أرجوك يا جميلتي أن تقبلي هذا البخور في معبدك وهذا الدعاء في سمائك وهذا التطاول على جلالك.. فقد كسروا من قبلك أو بعدك ذراع فينوس وأنف أبي الهول ودماغ سقراط وعصا موسى وصليب المسيح.. وقلبي عندما نشروا أن حبيبي قد مات. وكانوا يقصدون أنه مات في قلبي. الذي أغرقه بالسعادة والبركة.. تصوري يا أختي.. وأخت كل من يركع للجمال ويسجد للحب.. تصوري..

وأنقل لك معنى قصيدة لها عنوانها: (مع أن الذي حدث هو أن يده قد لامست يدي) تقول سينا روصنم: كذبت يدي.. فلم يكن الذي كهربها هواء ناعمًا جاء من الشمال.. فالصحف تقول إن الجو بارد

جدًّا.. كيف كذبت يا يدي.. كيف لم تعرفي.. لم تقرئي.. أن يدي تمسك القلم فيكون الشعر والموسيقى.. كيف هذه المرة قد صارت هكذا أمية لا تقرأ ولا تكتب.. ولا تفرق بين نعومة الهواء العليل ونعومة يد حبيبي.. كيف.. قل لي.. هل تعمدت أن تكوني هكذا قاسية.. كيف وأنت التي لم تغسلي طبقًا ولا سكينًا.. كيف استطعت وبلا رحمة أن تغسلي وتمسحي وتحطمي كل هذه المعاني دون ألم.. كيف يتساوى عندك الهواء وكف حبيبي.. إنها لم تكن كفًّا.. وإنما كانت أملاً وعطرًا.. فما الحياة لشاعرة إذا كذبت يدي فكيف يصدقني الناس؟!.. حبيبي.. ارحمني اعذرني.. إنني أكثر منك عذابًا وندمًا!

الممرضة أهم!

الآن ماذا عن الممرضة المصرية.. أو عن التمريض.. المرضى والأطباء في مصر يقولون في نفس واحد: لا تمريض في مصر.. وأن في المستشفيات نوعين من المرض: المرض والممرضات!

وجلسنا نتناقش ونتساءل: ومن المسئول؟ وطارت عبارات وطاشت أحكام وكلها تنزل فوق دماغ الممرضة المصرية التي جاءت من وراء الجاموسة أو من الحارة.. إلخ.. الكلام الذي لا يحل ولا يربط ولا يعالج ولا يشفي..

فسألت أ. د. سامية حواس عميدة كلية التمريض بالمنصورة – وفي مصر كلها إحدى عشرة «11» كلية للتمريض، بالإضافة إلى المدارس والمعاهد.. وفهمت منها أن الممرضة المصرية ظروفها صعبة جدًّا.. فوسائل الإعلام لا تساعدها على أداء واجبها، فهي تهاجمها دائمًا وتحط من قدرها فالنظرة العامة لها على أنها خادمة أو دون ذلك.. ثم إن هناك شروطًا متعسفة لدخولها الكلية.

فالمطلوب منها درجات عالية –شيء غريب– ومع أننا نريد المزيد من الممرضات فإننا نضع أمامها العراقيل. نطلب درجات عالية ثم امتحان قدرات وأساتذة التمريض هم الذين يعارضون في زيادة عدد الممرضات.. ولذلك فلا إقبال على كليات التمريض من الجنسين رغم أن مرتب الممرضة ضعف مرتب الطبيب وزيادة.

ثم إنها تتكلف مبالغ كبيرة بسبب ملابسها. وبعد ذلك لا تجد مكانًا تأكل فيه أو تنام فيه. وربما نامت طوال الليل على مقعد أو أسندت رأسها لسرير مريض أو للحائط.. ولا تجد أيضًا مكانًا تغير فيه ملابسها. بينما كل ذلك متوافر للأطباء الصغار.

قالت د. سامية حواس: إننا نعامل الممرضة بصورة غير إنسانية!

وعلى الرغم من خطورة الدور الذي تقوم به الممرضة في المستشفى والعيادة وفي العلاج، فإنها لا تلقى الاحترام الواجب.. ونحن نسد الأبواب في وجهها مع أننا نحتاج إليها. بل إن عددًا من الطبيبات قررن أن يكن ممرضات، لأن مرتب الممرضة وبدلاتها ضعف مرتب الطبيبة!

ثم هناك مشكلة إدارية وهي: هل تسمى الممرضة الحاصلة على البكالوريوس في التمريض.. دكتورة؟!.. إنها حكاية طويلة...

في نصف شقة!

باريس- كلنا نتوجه للصحفي الكبير محفوظ الأنصاري رئيس وكالة أنباء الشرق الأوسط أن يعيد الزميل عبد الله حسن مديرًا للوكالة في باريس، ولست أنا وحدي وإنما كل المصريين والمراسلين الأجانب. وليس أحد في كفاءة ولطف هذا الشاب. ولا أعرف أحدًا ذهب إلى باريس لم يساعده عبد الله حسن على حل مشكلته. وهو يفعل ذلك بكل نفس رضية.. فهو فلاح شهم وابن بلد.

وقد كان عبد الله حسن يعيش هو وزوجته وأولاده في نصف شقة. والنصف الثاني هو مكتبه. ونصف النصف من الممكن أن تجد فيه صديقًا أو قريبًا. وإنه يفعل ذلك لأن الصديق لم يجد شقة وإذا وجدها فهو لا يستطيع أن يدفع الإيجار.

ثم إنه لا يشكو من الوضع الخانق له ولأسرته. وإنما هو الواجب.

ووجدت عددًا من الوزراء يسألون عنه ويندهشون لماذا انتقل إلى القاهرة، فهو في باريس أفضل وأنفع!

لم أكن أعرف عبد الله حسن ولم أكد ألتقي به في التليفون حتى وجدته قد عرف أحسن الفنادق وأنسبها موقعًا وسعرًا. وأنا لا أعرفه. ووجدت أن هذا سلوك عام. فلا يوجد مسئول واحد يمر بباريس لا يلتقي به. أو لا يعرف متى سيجيء ومتى سيرحل.

وأصبح عبد الله صديقًا. ثم كانت رحلتنا التاريخية معًا. عندما ذهبنا نبحث عن الأميرة ديانا ليلة اغتيالها. ذهبنا إلى فندق ريتس،

دخلنا، ذهبنا إلى البار إلى قاعة الاستقبال، نسأل عنها. قالوا خرجت. وفي اليوم التالي نشرت الصحف أن اثنين لهما ملامح شرقية جاءا يبحثان عنها. وكتبت -وكنت أول من قال- إن المخابرات البريطانية اغتالتها؛ لأن الأسرة المالكة لن تسمح للملك رئيس الكنيسة أن يكون له أخ اسمه محمد الفايد أو أخت اسمها فاطمة.

فاتفقت مخابرات بريطانيا وفرنسا على اغتيال الأميرة.

وليس هذا هو العمل الإجرامي الوحيد الذي شاركت فيه مخابرات لندن وباريس.

وجاءني التليفزيون الألماني يسألني. وجاءني التليفزيون الفرنسي يصورني في زورق في النيل؛ لأحكي قصة الأميرة التي أحبت دودي الفايد وحملت منه.. وظهر عبد الله حسن في التليفزيون يحكي مغامرتنا في البحث عن الأميرة -ولم تكن مغامرة، إنما هو حب استطلاع وبس..

فعبد الله حسن كان أسبق إلى أية مصيبة تقع في باريس، ولم يتوقع أن المصيبة هي أن يعود إلى الوكالة بعيدًا عن كنوز الأخبار في باريس!

قنصلنـــا العـــام!

باريس– لا مصري واحدًا في باريس لم يعرف هذه السيدة، أو لم تبادر هذه السيدة بمعرفته ودعوته والحفاوة به –وهي في غاية الأدب واللطف. ولا تملك إلا أن تضمها إلى سلسلة أصدقائك. إنها السفيرة ناهد العشري القنصل العام، فكل الأصدقاء في باريس أصدقاء لها. وترى أن هذا من واجبها.

وأصبحت القاعدة أنك إذا أردت أن تعرف إن كان أحد من الأصدقاء من الصحفيين أو الفنانين فهي دليلك إليهم. وهي أول من يلتقي بهم وتحرص على ذلك إما غداء وإما عشاء. وتسأل لماذا؟

الجواب أن هذا واجبها –أو أنها ترى أن هذا من الواجب. وأن تبادر بتقديم التحية والخدمات لمن يطلبها. ومن قبلها كانت القنصل العام نيفين سميكة أيضًا. كأن وزارة الخارجية اخترعت طرازًا من السيدات على هذا المستوى الرفيع من الأداء..

وهناك مفهومات خاطئة لدور الدبلوماسية، وهي أن الدبلوماسي لا يقول.. وإذا قال كان غامضًا.. أي لايفتح فمه بشيء له أي طعم. غلط، فقد لاحظت في مناقشتي مع القنصل ناهد العشري ومن قبلها مع نيفين سميكة أنه من الممكن أن تقول كل شيء في أدق أمور السياسة بمنتهى الاحترام. وأن أية واحدة منهما لا تبخل عليك بأية معلومات. وعليك أنت أيضًا أن تلاحظ دورها وموقعها وما هو مسموح به وما ليس مسموحًا.

وأذكر أنني كنت على صلة بنيفين سميكة أيام مأساة د. عبد الرحمن بدوي الذي سقط في الشارع ونقلوه إلى الإنعاش دون أن يعرفوا من هو شهرًا. وأخيرًا أفاق وقال لهم: إنني فيلسوف مصري. واتصلوا بنيفين سميكة وأكدت ذلك..

وبدأت مأساة مرض د. بدوي ونقله إلى المستشفى، وكيف ساعدت أنا على نقله إلى مصر لاستكمال العلاج، وأعدت التعريف بدوره الفلسفي في حياتنا. وأشهد أن نيفين سميكة كانت تقول ما لديها من معلومات مؤلمة وهي في حرج شديد. فليس من واجبها ولا من عادتها أن تقول كل شيء في مثل هذه الظروف الأليمة. واحترمت شعورها. وكذلك ناهد العشري عندما كنا نسألها عن أصدقائنا المرضى. فكان الأسى والحزن على وجهها وصوتها. ولم تشأ ولو مرة واحدة أن تقول لنا عن طبيعة المرض، برغم أنها تعرف ذلك..

إنها واحدة من ذلك الطراز المحترم من الدبلوماسيين!

فرنســـا المرعبـــة!

باريس– زمان كان إذا أحد قال إنه مسافر إلى أمريكا فزع الناس وسألوه: خير إن شاء الله.. أي لابد أن يكون مريضًا. وكانوا يسألون من يذهب إلى سويسرا أو من يذهب إلى بريطانيا، أما الآن فأي واحد يقول أنا مسافر إلى باريس تمتقع الوجوه لحالته.. فقد أصبحت باريس مركزًا للعلاج. أنا شخصيًّا عرفت فيها المرض حتى الموت.. وزوجتي مرضت شهورًا أكمل الله عليها نعمة الشفاء.. ويعز عليَّ أن أذكر عددًا من الأصدقاء، شفاهم الله جميعًا. فقد عملوا من أجل بلادهم وكان عملهم شاقًّا مشهودًا..

وهناك نوعان من المرض: مرضك أو مرض أصدقائك ثم زيارة المستشفيات. والمستشفيات سواء كان يديرها الأفراد أو الروبوت هي مستشفيات وهي كئيبة اللون والرائحة.

ونصف القرف تجده على وجوه الأطباء. وليس قرفًا منك، وإنما هو القرف العام.

فهم منشغلون بأوجاع المرضى وبؤس أقاربهم. ومن مزايا أطباء فرنسا أن أقلهم يضحك في وجهك.. اللهم إلا طبيبًا واحدًا. إنه ينتسب إلى الملائكة: شكلاً وصوتًا وأداء وخفة وظرفًا. إنه البروفيسور روشمور. فلن تجد بين الفرنسيين من هو في جمال صورته وموسيقى نبرته ويقينه العلمي.

هل تكره الأطباء المصريين؟ أحيانًا. فما الذي تكرهه منهم وفيهم. أنا عندي تجربة مؤلمة. كنا نتناول العشاء وإذا بأحد الأطباء المصريين المشاهير يتحدث بالتفصيل عن مرض أحد الأصدقاء. ويفتعل مناقشة بينه وبين المريض صديقنا جميعًا وبين طبيبه في باريس. ولكن أين قسم الحكيم أبقراط الذي يفرض عليه الكتمان؟ فلا يفضح مريضًا ولا يرد مريضًا. ونهضت غاضبًا أستحلفه أن يكف بعد أن فضح صديقًا لنا. فالمرض كالموت على رقاب العباد!

سفيرنـــا بباريـــس!

باريس- كان لنا سفير عاشق لفرنسا عابد لمصر. إذا جئت إلى باريس فأنت ضيفه، وإذا غادرتها فأنت أحد أقاربه. إذا قلت له صباحًا أريد أن أرى الشعراء والأدباء أصدقاء وأعداء مصر، جلست إليهم على الغداء. وكان نقاش، وإذا طلبت إليه أن ترى الزعماء من كل لون ومذهب ودين كانوا على العشاء. كان السفير علي ماهر كل ذلك! ولا أعرف أين هو الآن.

تناقشنا في الأيام الصعبة عن الدبلوماسية المصرية الإسرائيلية، ففي الليل وجدت السفير الإسرائيلي في فرنسا، الذي كان أول سفير لبلاده في مصر. وكانت مشادة بيني وبينه. وحاول أن يتفاداها خجلاً من رئيس الطائفة اليهودية في باريس.. ولم تفتني هذه المناسبة. فعندما جاء يودع الرئيس السادات عند نهاية خدمته في مصر حذره الرئيس السادات أن يفصح عن أي شيء مما دار بينهما.

ولما ذهبنا إلى لوكسمبورج وألقى السادات خطابًا بليغًا علمت من حديث مع أصدقاء في تل أبيب أن بن اليسار أذاع كل شيء في الراديو. واقتربت من الرئيس أثناء العشاء وهمست في أذنه. وبسرعة قال الرئيس: الآن فهمت إذن الولد الذي جاء وأجرى معي حديثًا في الإسماعيلية، وعاد يتحدث عن الخلافات بين فكري مكرم عبيد والنبوي إسماعيل ومنصور حسن، لم يكن في حاجة إلى أن يجيء

إلى مصر وإنما كان في استطاعته أن يكتبها في إسرائيل.. الآن فهمت.. إذن السفير وهذا الولد قد أرادا إفساد هذا اللقاء في لوكسمبورج. وجاءني رئيس تحرير (جروساليم بوست) واعتذر. وقرر فصل هذا الصحفي. وكان أحد الوزراء السخفاء قد قال للرئيس إنني أنا الذي أعطيته كل هذه المعلومات. وقال لي نائب الرئيس حسني مبارك إن هذه الدسيسة الرخيصة قد انكشفت!

وعاتبت السفير علي ماهر، فقد ظننت أنه هو الذي ساعد الوزير إبراهيم كامل في هجومه الحاقد على السادات وساعده على كتابة مذكراته، والحقيقة ليس هو وإنما السفير أحمد ماهر وعرفت السفير أحمد ماهر بعد ذلك فكان سفيرًا بارعًا ووزيرًا أكثر براعة!

ولكنها صحيحة!

في مكتبة فناك الفرنسية الشهيرة وقفت في أحد الأركان أقلب في كتب عن الأطباق الطائرة على استحياء، فقد أصبح الكلام عن الأطباق الطائرة خرافيًا. والتقيت بأستاذ جامعي قال لي: ولكنها صحيحة!

وفي اليوم التالي نشرت الصحف أن الحكومة المكسيكية أعلنت رسميًا أن الظاهرة صحيحة وأن إحدى طائراتها الحربية قد سجلت فيلمًا طوله ربع ساعة لمطاردة الأطباق الطائرة لإحدى طائراتها على ارتفاع 11 ألف قدم يوم 5 مارس الماضي، فكانت المكسيك أول دولة تعترف رسميًا بذلك بينما نفتها أمريكا وروسيا، فعلى أيام الرئيس أيزنهاور أعلنوا أن عددًا من سكان الكواكب الأخرى (؟!) قد هبطوا في مطار حربي. وأنهم ذهبوا للقاء أيزنهاور، وأنكرت أمريكا ذلك وفي الحملة الانتخابية للرئيس كارتر سألوه، فأعلن أنه إذا ما أصبح رئيسًا فسوف يكشف سر هذه الظاهرة. وسكت ولم يفعل، كما أعلن عدد من رواد الفضاء أنهم أقسموا بألا يتكلموا في هذا الموضوع.

ولكن بعضهم قال، وبعض الرواد الروس أيضًا.. ولما ظهرت الأطباق الطائرة في سماء موسكو أعلن الرئيس جورباتشوف أنها هلوسة وأن الشعب الروسي يجب أن يتمسك بعقليته العلمية!

وهذه الظاهرة قديمة، تحدث عنها أبو التاريخ هيرودوت منذ رآها في سماء مدينة منف. وفي الكتاب المقدس في سفر (حزقيال) وفي ملحمة جلجامش البابلية وفي سفر أخنوخ -كلها تتحدث عن ظواهر عجيبة هبطت من السماء ورآها الناس..

ويؤكد الطيارون المكسيكيون أنهم رأوا هذه الأطباق أو الكرات المضيئة تسبق الطائرة وتلاحقها وتدور حولها. وأنهم صوروها بالأشعة تحت الحمراء. ورأوا الفيلم وكان شديد الوضوح. وإن كانت هذه الكرة أو الأطباق ليست لها معالم واضحة.

ومن ست سنوات صدرت مذكرات أحد رواد الفضاء الأمريكان. وفيها تحدث عن هذه الكرات الطائرة داخل السفينة مما أدى إلى ارتباك العقول الإلكترونية، فأصيب هو وزملاؤه بالرعب. وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه المذكرات واختفت بعد أيام، فقد سحبتها المخابرات الحربية. وحذرت عليه الإشارة إليها مرة أخرى!

وعلى الرغم من أن هذه الأطباق الطائرة قد أصبحت حقيقة فإن الموقف ازداد غموضًا، فمن أين جاءت.. من كم مائة مليون أو ألف مليون كيلو متر. ولماذا؟ ما الذي عندنا جاءوا يرونه وليس عندهم؟ إلا إذا كانت هذه الأطباق قد اتخذت لها مكانًا خفيًا تحت الأرض أو تحت الجليد. لا أحد يعرف!

إن كــان الســبــب!

الشاعر الكبير حافظ إبراهيم كان خفيف الظل وابن نكتة. وقد نسب إليه مثل جحا كثير من النكت والقفشات، من بينها أن أحد القرويين طلب إليه أن يقرأ له خطابًا. فقال له: لا أعرف القراءة. فاندهش القروي قائلاً: كيف وأنت ترتدي طربوشًا؟ فما كان من حافظ إبراهيم إلا أن خلع الطربوش ووضعه على رأس القروي قائلاً: اقرأ أنت!

والمطلوب الآن من عمرو موسى أن يقرأ ويقرر ويهاجم إسرائيل وأمريكا ويحل مشاكل فلسطين والعراق. لأنه ما دام قد جلس على مقعد الأمانة العامة للجامعة العربية، فهو قادر على كل شيء، تمامًا مثل كوفي أنان الذي لا عنده فلوس ولا عنده جيش.. وقد تخصصت إسرائيل في احتقار قراراته!

ولأننا أعطينا للجامعة العربية صلاحيات وقدرات خرافية، فقد نسينا أنها خرافية وهمية، ورحنا نحاسبها على هذا العجز الشنيع في اتخاذ القرارات الملزمة للعالم كله، وللدول العربية أيضًا. وتوهمنا أن الجامعة العربية إذا اجتمعت وقررت، فهذا ملزم للكون، وعلى العالم كله أن ينفذ ذلك ورجله فوق رقبته. من الذي يقول ذلك؟ نحن!

وإذا كان لي أن أشرح دور الجامعة العربية، فهو ليس أكثر من محاولة اتفاق بين أعضاء مختلفين في كل شيء. والهدف أن كل

عضو يحاول من جانبه أن يفعل شيئًا بالطرق الدبلوماسية فقط. ولا توجد أية طريقة أخرى نقدر عليها.

هذا إذا كان العرب متفقين على موقف واحد من أمريكا وإسرائيل.. أو إذا كانت المسافة بين العواصم العربية وواشنطن على نفس الدرجة من الأهمية والقوة. فهناك فرق كبير بين دول تجلس على حجر أمريكا ودول في حضنها ودول في ظلها أو فوق خوازيقها!

وعندنا ألف دليل يومي على مكانة قدرات هذه الدول -ما الذي تستطيعه لوقف مذبحة رفح؟ ما الذي تستطيعه لفتنة طائفية، كانت نائمة أيام صدام حسين؟ ما الذي تستطيعه لمنع تمزيق العراق وإنعاش كل الخلافات السياسية والدينية والعرقية؟.. حتى الحزب الشيوعي في العراق قد نفخت أمريكا في صورته ليكون لونًا أحمر فاقعًا في اللوحة السوداء!

إن كان عمرو موسى هو سبب الشلل العربي.. أو هو المرض الرعاش الذي أصاب نظرة ونظرية وقرارات الجامعة العربية، فليس أسهل من استبعاده ووضع الطربوش فوق دماغ ليبيا أو الجزائر أو أية دولة عربية أخرى.. والدماء التي تجري أنهارًا هي وحدها التي تكذب الغطاس!

رفـــح نصفيـــن!

أمس رأيت رفح بعد أن انقسمت نصفين.. حتى البيوت انقسمت نصفين.. نصفها عندنا والنصف الثاني في فلسطين، يحتله اليهود.. وكان آخر عهدي برفح يوم 4 يونيو سنة 1967. وكنا مجموعة من الصحفيين، من بينهم الزميل أنطون مصور الأهـرام، والله يرحم الجميع. وكانت رفح هذه مجموعة من الدكاكين الخشبية والصفيح.

لقد كانت رفح مشروع قرية، أما اليوم فهي مدينة، بها بيوت وعمارات، وطرق مرصوفة وماء وكهرباء. ولا أعرف كيف تعيش رفح الفلسطينية السكنية التي تهدمها بصورة منظمة دبابات وجرافات إسرائيل، بدعوى أنهم وجدوا عشرات الأنفاق بين رفح ورفح، وعن طريق هذه الأنفاق كانوا يتلقون السلاح وأنهم –أي اليهود– اكتشفوا أخيرًا مخططًا لتهريب صواريخ لإسقاط الطائرات الإسرائيلية كما تفعل المقاومة العراقية بطائرات أمريكا!

ولم تكن إسرائيل في حاجة إلى سبب لكي تنسف مئات البيوت الواقعة على الحدود المصرية، فهي تفعل ذلك في كل المدن التي تقع على حدودها هي وبعيدة تمامًا عن مصر..

ووقفنا نتفرج في حزن على سحب التراب.. أو براكين التراب التي تتصاعد صارخة تحت جنازير الدبابات والجرافات.. ولم نسمع صرخات الأطفال وصويت الأمهات..

ورأينا عند (المنفذ) بين رفح مصر ورفح فلسطين عشرات من سيارات الإسعاف، رفضت إسرائيل دخولها، ولابد أن أضعافها من السيارات التي تحمل الطعام والدواء قد منعوها أيضًا، فليس الهدف هو إنقاذ حياة الفلسطينيين وإنما تصفيتهم بالسلاح ومنع الدواء..

ولا أنسى يوم دعانا عمدة بيت لحم إلى غداء –مرسي الشافعي وأنا ومعنا عدد من الصحفيين الإسرائيليين –ولم نكد نمد أيدينا إلى الطعام حتى نهض صحفي إسرائيلي صارخًا: لا أستطيع. وظننا أنه يعترض على الطعام، كأن يكون نباتيًا مثلي، وقد هاله منظر اللحوم والدجاج.. وكان السبب شيئًا آخر لم يخطر على بالنا، فاتجهنا إليه فقال: كيف آكل وأشرب، وأمامنا هذا العدد من الأطفال؟! لم نفهم، فعاد يقول: إن هؤلاء الأطفال سوف يكبرون ويقتلوننا!

وهذا هو رأي شارون أيضًا، فجنوده يتبارون في إبادة رجال المستقبل!

وأرضعهـــا الرئيـــس!

هل تشترك في البحث عن الممرضة التي تركت الرئيس الروسي يلتسين ولم يكن رئيسًا في ذلك الوقت؟ وقد كان عندها سبب وجيه جدًّا. وكان الليل أطول من القطار المسافر من موسكو إلى لننجراد. وقد تركت طفلة الرئيس يلتسين في عنايته وفي الليل صحت الطفلة، وراحت تبكي. ويحكي الرئيس يلتسين في مذكراته: أنه أحس بحيرة لا نظير لها في حياته. فهو لا يعرف ما الذي يمكن عمله لطفلة تبكي، لأسباب غير معروفة لديه، ولا يدري كيف يسكت الطفلة. ولم يشأ أن يتركها وحدها، وإنما مضى يتلفت يمينًا وشمالاً وينادي. ولكن الممرضة ابتلعها الظلام.

فعاد الرئيس يلتسين إلى الطفلة وحاول أن يتذكر ما تفعله الأمهات عادة. حملها وراح يهدهدها. والطفلة مستمرة في البكاء والناس من حوله نيام. ولا يعرف كيف يغير لها ملابسها. هداه تفكيره إلى حل فريد، لم يسبقه إليه أحد في التاريخ. فقد فتح قميصه وأخرج ثديه ووضعه في فم الطفلة، وهدأت الطفلة وسكتت ونامت..

ولأن الطفلة لم ترضع لبنًا، فقد أحست بالجوع وعادت إلى البكاء وكان يلتسين لم يزرر قميصه فأعطاها ثديه.. وراحت الطفلة تمتصه وتهدأ. فترك يلتسين مكانه واتجه يدق الأبواب بحثًا عن أم أو ممرضة تساعده على حل هذه الأزمة. وكلما سمع صوت رجل وراء الباب تركه إلى باب آخر.. ولما سمع صوت سيدة ورأته لم تملك نفسها من

الضحك لغرابة الموقف. يقول يلتسين: أرجوك أن تؤجلي الضحك وتساعديني.

وكان رد السيدة: سوف أساعدك ولكن لا تمنعني من أن أضحك. ثم إن الأم عندما تضحك تستريح أعصاب الرضيع وينام. وتركها لترضع طفلها وقرر أن ينتقم من الممرضة التي تركته عندما رأت حبيبها في انتظارها على رصيف إحدى المحطات. ودارت مشادة حادة بينه وبين الكمساري الذي لا رد عنده.. فالقطار يحمل المئات من المسافرين والمسافرات. ولكن يلتسين أقسم أن ينتقم وجاء رئيسًا لروسيا ونسي.

أرجوك لا تبحث عنها فهي أيضًا بشر!

لأنهـــا ممرضـــة!

عندما يتحدث الناس عن الرئيس كلينتون وهو واحد من أعظم رؤساء أمريكا، يلتفتون إلى إنجازاته الهائلة في الاقتصاد والسياسة، فهم لم يأتوا به من الشارع ولا كان أبوه غنيًا وإنما كان واحدًا من عامة الشعب الأمريكي.

فقد كان طالبًا نابهًا. أوفدوه إلى أكسفورد ليكمل تعليمه. ولم يكن يعرف أنه سيكون مرشحًا للرئاسة الأمريكية وأن منافسه سوف يتهمه بأنه هرب من الخدمة العسكرية –وهذه جريمة عظمى– وأنه سار في مظاهرة ضد أمريكا. والحقيقة أنه لم يهرب وإنما طلبة البعثات تعفيهم الدولة من الخدمة العسكرية. وأنه لم يتظاهر ضد أمريكا وإنما ضد الحرب. والذي اتهمه هو الرئيس بوش الأب.

ثم إن بوش قد عيره بأن أمه (ممرضة) وهي سقطة منه. فلا أحد قد اختار أمه الممرضة ولا أباه الغني أو الفقير. وإنما يحاسبك الناس على اختيارك لزوجتك. ثم عيره مرة أخرى بأن أمه قد تزوجت ثلاث مرات وأنها كانت سكيرة. وهذه سقطة أخرى.

وكتبت أم كلينتون مذكراتها. وفي مذكراتها قالت إنها كانت تضع الأبيض والأحمر وتنام. حتى إذا استدعوها قفزت من السرير إلى السيارة إلى المستشفى. وقالت إن ابنها بيل كلينتون قد ولد بعد وفاة أبيه بشهور، فاتخذ اسم زوجها الثاني.

أما زوجها الثالث فقد كان يضربها وهي لا تنسى أبدًا أن ابنها (بيل كلينتون) كان يقف له، ويقف بينهما ويمنعه من ضرب أمه بأي شيء يجده أمامه.. ولاذنب لها فهو رجل سكير مفلس..

وتقول في مذكراتها إن ابنها جاءها في يوم ومعه فتاة (مكعبرة) شعرها منكوش وترتدي بنطلون جينز وعلى عينيها نظارة غليظة وقالت: إيه دي؟ قال لها ــوقد كان جميلاًــ: خطيبتي. فقالت له أمامها: مالقتش إلا دي؟ فكان رده: مفيش إلا دي.

وتزوجها وكانت واحدة من أعظم مائة محام في أمريكا. وكان دخلها كمحامية ثلاثة أمثال دخل زوجها رئيس الجمهورية. ورفضت أم كلينتون أن تشهد احتفال تتويج ابنها على عرش أمريكا والعالم، وقالت: أنا رفضتها في بيتي ولا أريد أن ترفضني في بيتها!

ويذكر الناس كلينتون، وينسون هذه السيدة القوية الشجاعة المحترمة!

كله تمام!

باريس- عاد الذين دعوا لاختيار مصر دولة مضيفة لكرة القدم 2010 وأكدوا بالملايين للملايين أن كل شيء تمام -عملاً بالعبارة الخالدة التي قالها المشير عامر قبل النكسة: على رقبتي يا ريس! وداست القوات الإسرائيلية على رقبته ورقبة ملايين المصريين والعرب. واللجنة بسلامة وصولها وسفرها وقرارها أكدت لنا أن النتيجة في جيبها. وكان ما كان مما نعرفه ونأسف عليه.

صفر لمصر ومش عارف كام للمغرب! والمكسب لجنوب إفريقيا. ورضينا بأنها دولة إفريقية، نحن في الشمال على البحر وهي في أقصى الجنوب على المحيط.

والعجيب أن اللجنة إياها لم تفلح في إقناع واحد.. في جذب واحد في إغراء في شراء أي أحد -وكلمة (الشراء) قد استعرتها من الذين يقولون إنهم يعرفون بواطن كرة القدم.. وإذا كانت الكرة (أجوالاً) من الدولارات أو من مناجم الذهب والألماس بجنوب إفريقيا.

وأنا لا أدعي علم كرة القدم ولا محاوراتها ومداوراتها.. ولكن قياسًا على الذي أسمعه من المعلقين من مثل الكابتن ميمي الشربيني، فإنني لا أصدق شيئًا مما يقولون، فالكابتن الشربيني أكثر الناس إسرافًا في استخدام كلمة (العظمة).. فمن ضرب الكرة ومن لم يضربها عظيم ابن عظيم.. واللاعبون عظماء والمتفرجون أيضًا.

ويريدنا أن نصدقه! فإذا كان هذا هو أسلوب الرياضيين في الملاعب، فلابد أنه أسلوبهم في كل شيء آخر.. مجهودهم عظيم وتنبؤاتهم أعظم وتوقعاتهم عبقرية!

وإعجاب السيد بلاتر بمصر يشبه تمامًا إعجاب أحد المصححين بإجابة تلميذ خيبان، فيعطيه صفرًا مع الإعجاب بخطه الجميل. وعندنا في مصر نكتة تقول: إن واحدًا ذهب يشتري لبن العصفور فقالوا له: الدور الأول على الشمال، ثم تأخذ الأسانسير وتطلع الدور الثاني وتمشي إلى اليمين وتأخذ الأسانسير، وتتجه إلى اليسار ثم إلى اليمين وتأخذ الأسانسير وتطلع الدور الرابع متجهًا إلى اليمين وتأخذ الأسانسير وتنزل.. وأمام الأسانسير وجد لافتة تقول: ما عندناش لبن العصفور!!

فذهب يشكو هذا الاستخفاف، فاعتذروا، ولكن قالوا له: لكن بذمتك إيه رأيك في النظام؟ نظام بديع والنتيجة 24 صفرًا على الشمال!

احرثوهــــا أحرقوهـــــا!

حكايتي مع قرية (ياميت) قديمة ففي حديث أجريته مع الرئيس السادات ونشرته الصحف مع مجلة (أكتوبر) ترويجًا لها وقع خطأ مطبعي. والخطأ في صحيفة (الأهرام) فالرئيس قال لي: قرية ياميت لا أريدها.. فليحرثوها! ولكن الأهرام بدلاً من (احرثوها) جعلها (أحرقوها). وثار بيجين رئيس وزراء إسرائيل. ورأى في هذه العبارة قسوة نازية، فاليهود لم تجف لهم دموع على ما أحرقه هتلر منهم. وطلب مني الرئيس السادات أن أسد فم بيجين بتصحيح هذا الخطأ غير المقصود. وصححته.

وبعد ذلك طلب مني الرئيس السادات أن أذهب إلى إسرائيل لأعرف هذه القرية ياميت، وذهبت. ووجدتها مستعمرة صغيرة محندقة. بيوتها من دورين، والبيوت صغيرة. غرفة نوم وصالة معيشة وبلكونة للأطفال ومطبخ. ولا توجد ثلاجة، فليسوا في حاجة إليها، فهناك سوبر ماركت يتوسط القرية وعلى مدى خطوات ومع إحدى الأسر الصغيرة جلست وتفرجت على الشقة القليلة العدد. الأطفال والأطباق والملاعق والسكاكين، واشتريت عددًا من قمصان الأطفال مكتوبًا عليها (ياميت) ونقلتها إلى الرئيس واقترحت أن يكون اسمها ياميت أبو الكوم!

ومن يومين ذهبت أرى ياميت وكان الطريق إليها صعبًا. فقد نسفوها من داخلها.. أي استخدموا قنابل تشفط الهواء إلى الداخل

فتتساقط الجدران على بعضها بعضًا.. ولم يبق من ياميت إلا المعبد.. وهذا المعبد نزعوا كل ما به من أثاث.. شبابيك وأبواب ومقاعد وزجاج. وعلى الجدران عبارات استياء وغضب من الجمعيات الدينية ومن أبناء المنصورة.. ولكن هناك عبارات لليهود أنفسهم، تقول: لا تحزني يا ياميت سوف يعود إليك شارون.. وجاء شارون وطردناه ولن يعود!

وكان موشى ديان قد حدثني عن ياميت، فقال شعرًا. كيف اختاروا الموقع.. وكيف درسوه.. وكيف قاسوا ملوحة التربة وانكسار الضوء ومكانها من البحر.. وكيف أنها وكيف أنه.. ثم كيف هددنا بيجين، ولكن السادات أصر على أن تختفي من الخريطة. وهذا شرط، وإلا فلا اتفاق ولا سلام..

وسوف يكون هذا هو المصير المؤكد لكل المستعمرات اليهودية في فلسطين.. طال الزمن أو قصر. عاش شارون أو مات أو جاء من هو أكثر شرًّا منه!

بوش لم يستوعب!

ليس من عادة الرؤساء السابقين في أمريكا أن يشتغلوا بالسياسة، وإنما بالأعمال الإنسانية إذا كلفهم أحد بذلك. ومن النادر أن يكون لهم تعليق سياسي على ما يحدث في بلادهم أو يحدث لها.. إلا الرئيس بيل كلينتون (57 سنة).

فقد هاجم الرئيس بوش وهو الذي هزم والده هزيمة ساحقة في انتخابات الرئاسة.

.. ومن رأي الرئيس كلينتون أن الرئيس بوش لم يستوعب الدور الخطير الذي يلعبه، وأنه كان من الممكن أن يصبح قسيسًا وليس رئيسًا لدولة عظمى.. وأن الذين حوله قد زينوا له كل الأخطاء والمطبات على أنها طرق مرصوفة سهلة قصيرة إلى الأهداف السامية التي تنشدها أمريكا العظمى في القارات الخمس.

هل الرئيس كلينتون يفعل ذلك ترويجًا لكتابه الجديد (حياتي) الذي تقاضى عنه 12 مليون دولار.. أي ضعف ما تقاضته زوجته عن كتابها (أن أعيش التاريخ)؟

قال كلينتون إنه أمضى شهرًا حبيسًا ككل المؤلفين يقرأ ويصحح. طبعًا ليس هو الذي كتب. وإنما هو الذي أملى وجاء من يصحح ويراجع. وفي النهاية وضع اسمه على وثيقة تاريخية ينتظرها العالم. فقد حكم كلينتون بلاده فترتين. ثم كانت له أعظم فضيحة

في تاريخ الرئاسة الأمريكية. لقد كانت محاكمة نشف لها ريق العالم ودمه أيضًا. وسبب الفضيحة هو الفتاة مونيكا ليفي. ويقال إنه لن يتعرض لهذه البنت. ولكن لديه من أسرار الاقتصاد والسياسة الأمريكية والعالمية الكثير جدًّا..

ولا أظن أن مثل هذه الحادثة الفريدة في التاريخ سوف يتركها دون تفسير وتبرير وتعليل.. أما زوجته فقد بلغت قمة البراعة و(الحرفنة) في تناول هذه الفضيحة، بل إن في كتاب زوجته ستين صفحة لا يستطيع كتابتها إلا أراجوز عبقري في القانون!

وفي إحدى الندوات التفت كلينتون إلى رجال الأعمال قائلاً: لم نكن كذلك، فماذا جرى لأمريكا؟!

أي أنهم في عصره كانوا أكثر انتعاشًا. أما في زمن بوش فقد مات الاقتصاد وارتبكت أمريكا، ولابد أن يحدث إنقاذ لأمريكا من العراق.. وليس بوش قادرًا على ذلك!

لا أحـــــد!

من الذي لا يريد حل المعضلة الفلسطينية؟

بعض الفلسطينيين وبعض اليهود لا يريدون لها حلاً.

وعندما أعلن شارون أنه سوف ينسحب من قطاع غزة وقفت وراءه الأمم المتحدة والولايات المتحدة وأوروبا وروسيا ووقف عرفات وحده. هم يريدون أن يقولوا لنا:

إن شيئًا خير من لا شيء. عرفات -ومعه حق- يريد أن يكون الانسحاب خطوة ضمن خطوات تراجع حتى القدس الشرقية وقيام الدولة.

أما شارون فيريدها أن تكون خطوة نهائية! وإذا حدثت خطوات بعد ذلك، فمرهونة بظروف إسرائيل وأحزابها ومزاج أي رئيس لأمريكا!

والرسالة التي بعث بها شارون للرئيس مبارك في موسكو لم تكن موجهة للرئيس وحده وإنما للدنيا التي وقفت وراء شارون. لقد أراد شارون أن يكون طرفًا في المحادثات بين رئيس مصر ورئيس روسيا. ولا أستبعد أن يكون قد بعث بخطاب سري إلى بوتين أيضًا. فقد كان في استطاعة شارون أن يبعث بهذه الرسالة قبل أسبوعين. ولكنه اختار أن يحشر نفسه على مائدة المفاوضات وأن يجدد استعداده لأي حل. ونحن على يقين من أنه لا يعنى ذلك، فليست هذه

أول ولن تكون آخر مرة. وربما كانت هذه الرسالة صورة معدلة للمشروع الذي سيطرحه على حكومته وعلى أحزاب إسرائيل. ومن الممكن أن «تنضم إليه أحزاب أكثر تشددًا» تعترض على مجرد التفكير في الانسحاب وتفكيك المستوطنات.

ولم يتوقع شارون أن يكون رد الرئيس مبارك سريعًا هكذا، مؤكدًا رفضه لكل ما يريده شارون، فنحن لا نوافق على الانسحاب الجزئي، ولا نرضى إلا بالحل النهائي والدولة المستقلة لفلسطين.

فمن الذي يريد حل هذه المعضلة؟ من المؤكد أننا نريد الحل فالقضية كسرت أعناقنا. واحتلت كالقوات الإسرائيلية صفحاتنا الأولى من خمسين عامًا، وتوسعت كخلايا سرطانية فشملت صفحات أخرى كثيرة.. انظروا إلى صفحات الحوادث.. إن لدينا بعدد سكان فلسطين وإسرائيل شبابًا علمناه ويريد أن يعمل وضعف هذا العدد شباب يعمل ويريد أن يعيش وأن يكون زوجًا وأبًا ومواطنًا صالحًا. فمن حقنا أن نعيش في سلام وهذا الذي أقوله هو أرق وألطف وأرحم مما تقوله سرًا شعوب عربية أخرى. فارحمونا يرحمنا الله وإياكم!

الكـــل ملبـــوخ!

أمريكا ملبوخة في العراق وإسرائيل ملبوخة في فلسطين. ونحن جميعًا غارقون في المستنقع السياسي للشرق الأوسط الصغير والكبير. ولا عذر لأمريكا وإسرائيل. إنهما يريدانها جهنم. وهي بالفعل كذلك. وسواء عذبوا المساجين أو أحرقوهم فأمريكا هي التي اختارت إسرائيل وبريطانيا. إن النار في الشرق الأوسط صناعة إسرائيلية أمريكية بريطانية. وقودها البترول والشعوب وأكاذيب (الدم- قراطية)! وسوف نظل في الحيرة والدوخة واللبخة حتى يجيء رئيس أمريكي جديد، أكثر تشددًا من بوش. وتجيء حكومة إسرائيلية جديدة أكثر جنونًا من شارون.

والمعنى أن هذا الموقف العنيد الأرعن الأجهل هو وحده القادر على جعل العنف في كل بيت وكل قلم وكل صحيفة.. وهو وحده الذي سيجعل الحجارة في الأرض قنابل يدوية وصواريخ لقتل اليهود والأمريكان والإنجلين، لا في الشرق الأوسط وإنما في كل مكان. كل ذلك قد حذر منه الرئيس مبارك من زمان. قاله لكل رؤساء أمريكا وأوروبا. ولم يكن ذلك رجمًا بالغيب، ولا حتى نبوءة.. وإنما هي نتائج منطقية لبيئة الإرهاب في كل التاريخ. فالعنف أبو العنف والإرهاب ابن الظلم والقهر.

.. والتاريخ عجلة تدور أولها آخرها وآخرها أولها.. أولها الظلم وآخرها العنف وأولها العنف وآخرها الإرهاب.. إسرائيل هي التي اختارت وأمريكا قالت: آمين!

وإذا كان شعب فلسطين قد استطاع أن يعيش تحت الجحيم، رغم قسوته، فإنه سوف يجد النوم في شوارع العنف ألطف وأرحم.. وسوف تنفتح الأرض أنفاقًا وكهوفًا، تحت كل شارع وكل مدينة عربية وأوروبية من أجل محاربة إسرائيل. وسواء بقي شارون أو جاء من بعده أهارون فالقضية لم تحل.

ورغم قسوة الجوع والمرض واليتم والقهر على شعب فلسطين فقد نذر نفسه للموت -موته هو أو موت إسرائيل وسوف يدخل شارون التاريخ على أنه الرجل الذي نذر حياته للقضاء على شعبه وأي أمل له في البقاء.. والعين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم. والموت على رقاب العباد، ولا تعوقه الجدران من حجارة أو من حديد..

وإذا كانت الشعوب اليهودية قد رضعت العذاب، فالشعب الفلسطيني قد رضع الجوع.. ولن يفطم الجميع إلا الموت!

كلنـــا حائـــرون

نحن والدكاترة في حيرة من أمرنا. فهم لا يعرفون كيف يعالجون وجع الظهر والصداع والشعور بالإرهاق، أو إذا أردنا أن نضعها كلها في كوب واحد نقول: الإحباط واليأس والقرف من أنفسنا، ومن غيرنا، ومن الذي في داخلنا، والذي حولنا.

وقبل أن تفكر في الذهاب إلى طبيب انظر حولك وسوف تجد ألف واحد مستعدًّا أن يقدم لك علاجًا قد جربه، فواحد يقول لك: المشي أحسن دواء.. وواحد يقول لك: ضع رأسك على المخدة وانسَ! وواحد يقول: سيجارة وكأس.. وواحد ينصحك: سيجارة معمرة بالحشيش.. وتجد نفسك في دنيا غير الدنيا.. ثم من يهمس لك بذكر الله.. والصلاة على النبي..

وكل ذلك صحيح.. فقد جربوا، واستراحوا وأقنعوا أنفسهم بذلك.

سألت أصحاب التجارب الصوفية قالوا: أن تتجرد من كل شيء! يعنى إيه؟ يعنى أن تطبق عينيك حتى لا ترى.. وأن تسد أذنيك حتى لا تسمع.. وأنت تتخيل أن أمامك حائطًا أسود.. ثم تحاول جاهدًا ألا تفكر في طعام أو شراب أو جنس.. وأن تنسى أنك عطشان جوعان هيمان.. خمس دقائق كل يوم.. ثم عشر دقائق.. وبعد ذلك سوف تشكرني!

وأرجو ألا تستخف بمثل هذه التجارب والمعاناة والمجاهدات النفسية والروحية.. ففي الدنيا ملايين يمارسون ذلك كل يوم وأكثرهم من البوذيين..

لي صديق، يجب ألا أذكر اسمه حتى لا يحسده الناس على صحته وكيف أنه قد تجاوز الثمانين، وله بشرة شاب في العشرين وقوام فتاة دون ذلك.. وينام كطفل ويعمل مثل النحلة.. كيف؟ عنده وصفة لكل إنسان. وتبدو هذه الوصفة تافهة.. ولكنها ليست كذلك.. يقول إن طعامه قليل وشرابه كثير وتأملاته طويلة.. ويجيء النوم بعد ذلك سهلاً...

سؤال: أين الهموم ووجع القلب وصدى أحداث الدنيا داخليًّا وخارجيًّا؟

عنده جواب واحد: هموم لا تهمني.. فلا أنا مصلح اجتماعي، ولا صاحب رسالة دينية. أنا مواطن يريد أن يعيش ويموت في هدوء.

وسؤال آخر: والزوجة والأولاد؟ والجواب: الزوجة لها همومها وليست همومي، والأولاد ليسوا على أكتافي. فكل واحد يعيش لنفسه وبس. أما التضحيات والكلام الكبير، فلا شأن لي به.

ما رأيك؟ يمكنك أن تجرب!

إلا الفراعنـــــة!

مازال عندنا مثل شعبي يقول: الكفن ليس له جيوب.. يعني أننا يجب أن ننفق أموالنا في الدنيا، فلا أحد يأخذ معه الفلوس ولذلك جعلنا الأكفان بلا جيوب. ولكن هذا المثل لا ينطبق على الفراعنة الذين ملأوا قبورهم وأكفانهم بالذهب.. أو بعبارة أخرى أن الفراعنة ينفقون علينا. ولولاهم ما كانت سياحة ولا وزارة للسياحة ولا قرى سياحية ولا فنادق. فهذا الملك الصغير توت هو الذي يشخلل جيوبه وأكفانه ويصرف على مصر. فنحن -بمنتهى الصراحة- نعيش عالة على أجدادنا الفراعنة!

فلم نصنع أو نبتكر شيئًا يغري أحدًا بأن يجيء من آخر الدنيا ليراه.. فقط الآثار الفرعونية معجزة العصور وأمل كل المثقفين، والسائح الأجنبي مثقف، وإلا ما جاء إلى الجيزة والأقصر وأسوان. إنه ليس في حاجة إلى الكباريهات والرقص والخمر. فكلها موجودة في بلده مع حريات أوسع واحترام أشمل.

ونحن نضع رءوسنا في الرمال حتى لا نسمع شكاوى السياح من المواعيد البايظة -مواعيد الطائرات والفنادق والمطار- كم من السياح قد نام على الكرسي في الفندق لأن الغرفة التى حجزها مشغولة، ولأن المواعيد التي أعطيت له خطأ؛ ولأن أحدًا ضحك عليه في تغيير العملة؛ ولأن الطائرة المصرية قد لطعته ساعات دون اعتذار..

ولولا أنه مثقف وأن الثقافة تساوي عنده أي تعب ما عبر البحار والأنهار ليلقي نظرة على الهرم وأبي الهول والملك توت والكرنك..

ففي هذا المعرض البديع كتب بكل اللغات ولوحات وإيشاربات وصناديق الحلوى والسجائر، قد أعدوا كل شيء للزائر المثقف الذي يتذوق التاريخ والجمال والنظام والانضباط.

إن هذا المعرض وكل المعارض في أوروبا وأمريكا نموذج رفيع لما يجب أن تكون عليه الحفاوة والاحترام، مما يجعل مهمتنا صعبة جدًّا حين نفكر نحن أيضًا في أن نقيم معرضًا.

ولو كان الأمر بيدي لأفرغت متاحفنا وأطلقتها في كل الدنيا، تذهب إلى الناس لتستدرجهم إلينا مرة أخرى. وفي الحالتين سوف نكسب المال.. أو سوف نحصل على (المصروف) الذي يخرجه الفرعون الصغير من أكفانه معونة لأبناء مصر الذين لم يتعبوا في شيء..

وأكثرهم لم ير المتحف المصري وأكثرهم لم ير الاكتشافات الجديدة وبالمناسبة: هل تتصور أنه ولا مسئول واحد في وزارة السياحة ذهب ليتفرج ويعرف الاكتشافات الجديدة التي يجيء إليها الناس من آخر الدنيا!

أوراقنا المالية قذرة!

باريس- أوراقنا المالية قذرة مكرمشة مهلهلة وملزقة، وعليها أسماء وأختام وأرقام، لا هي ورقة لحمة، ولا هي ورقة بردي. واعتدنا عليها مع الأسف، ولكن السياح يسألوننا دائمًا: لماذا لا تسحبها البنوك كلما أصبحت قبيحة؟! ولماذا تكتبون عليها؟! ويندهشون كيف أن كل عملات الدنيا في متناولنا، ولم نتعلم منها شيئًا.

فأوروبا الآن (25 دولة) لها عملة واحدة هي اليورو؛ الورقة متينة جديدة، نظيفة دائمًا، وعلى الرغم من أنهم يتداولونها من سنتين فكأنها خرجت الآن من المطبعة. وقد أقيمت مسابقة ضمت 44 فنانًا في سنة 1996. وكانت هناك شروط لشكل ورقة اليورو: أن تكون معالمها أوروبية قديمة وحديثة دون تمييز بين الدول، فقد كانت فرنسا تضع صورة الفنان سيزان على الفرنك، وألمانيا تضع صورة الأخوين جريم مؤلفي قصص الأطفال على المارك، وإيطاليا تضع صورة مخترع الراديو ماركوني. وفاز في هذه المسابقة العالمية الرسام النمساوي روبرت كالينا. فقد اختار سبعة مناظر من كل أوروبا التي مزقتها الحروب والمذاهب الدينية، والفوارق الطبقية والاقتصادية والسياسية، ولكنه اكتفى بأن جعل أهم معالم هذه العملات معمارية، وفي الوقت نفسه سياسية تاريخية: الأبواب والنوافذ والبواكي والجسور. وجعل فيها خريطة أوروبا ثم جعل عليها

نجومًا بعدد الدول الأعضاء. وجعل النجوم على شكل دائرة. والدائرة رمز الكمال، وفي نفس الوقت ليس لها أول ولا آخر.. أي لا فرق بين الدول الكبيرة والدول الصغيرة.

ولو فكرت الدول العربية أن تكون لها عملة موحدة، لكان ذلك أول أسباب الخلاف بين لبنان والسودان واليمن والمغرب ومصر وليبيا.. وما هي معالم هذه الدول وما أولاها بالعناية والرعاية.. ما علينا في الكلام عن الوحدة في اللغة والدين والسياسة والجغرافيا والتاريخ، وكلها من أسباب الخلافات المستمرة -إن شاء الله!

سألتهم: لماذا لا تتمزق الأوراق في أيديكم وتتسخ وتتلوث وتتكرمش؟ فأدهشهم السؤال، وجاءت تساؤلاتهم مدهشة أكثر.. ثم أشاروا بأيديهم إلى أحد أبناء الشرق الأوسط وقد وضع ورقة اليورو بين شفتيه؟!

وكان الصمت، ولا قالوا ولا قلت شيئًا!

مشكلة جنسية عند الرواد!

باريس- في حرب الخليج الأولى كانت هناك سفينة أمريكية للترفيه تقف في المياه الدولية ليزورها الجنود والضباط -هذا شيء طبيعي. ولا هي مشكلة ولا أحد يناقشها. إنها ضرورة حياة وحياة شاقة مهددة بالموت في أية لحظة! ولابد أن سفينة أخرى تقف الآن أمام البصرة أو أمام الكويت.

ومما يشغل علماء هيئة الفضاء الأمريكية الآن ماذا يجب عمله لرواد الفضاء.. وقد حدث أكثر من مرة أن تحرشوا برائدات وكان المتحرشون من الروس وكاد أحد اليابانيين أن يقتل روسيًا لمحاولة الاعتداء على زميلته ليلة رأس السنة!

وكان الروس أسبق وأجرأ من الأمريكان. فرائدة الفضاء فالنتينا كان يرافقها زوجها سنة 1982. وقد تم لقاء جنسي وحملت منه ثم ولدت وتم الطلاق بينهما بعد ذلك، وأنجبت فالنتينا فتاة، قالوا إنها طبيبة في سلاح الطيران ولم ير أحد صورتها. ويبدو أن بها تشوهات خلقية بسبب تعرض الحيوانات المنوية والبويضة لانعدام الجاذبية حول الأرض!

والمشكلة الآن هي الرحلات القادمة، فمثلاً الرحلة إلى المريخ سوف تستغرق ثلاث سنوات: ستة أشهر ذهابًا ومثلها في الإياب. والبقاء على سطح المريخ سنتين.. وسوف يكون الرواد ستة.. أربعة

رجال وسيدتين فما العمل؟ هذه هي القضية. وقبل ذلك كانوا يضعون المهدئات في الأكل والمشروبات.

ثم لجأوا إلى التعقيم الكيميائي أي العجز الجنسي التام لرواد الفضاء في أثناء رحلاتهم..

ولهذا التعقيم مشاكل نفسية معقدة. ولذلك فكر العلماء في أن يبعثوا إلى المريخ روادًا أكبر في السن. ولم يفلحوا في توفير العدد المطلوب. ولاحظ علماء النفس أن الكبت الجنسي أو الإحباط الجنسي له أثر مخيف على سلوكياتهم في سفن الفضاء -أي في هذا السجن الانفرادي أو الزنازين الإلكترونية..

ومن المنتظر أن تعلن هيئة الفضاء الأمريكية -خوفًا من رجال الدين- أن الرحلات القادمة سوف تكون شهور عسل للرواد.. أي هؤلاء الأبطال الشهداء من أجل الإنسانية!

مـن أجـل فساتينهــا!

باريس- مضت شهور وأنـا أبحث عن هذا الكتاب. إنه عشرون مجلدًا قد سجلوه على أسطوانة واحدة.. ومن المؤكد أنه موجود في كل المكتبات الكبرى. ولكن أصدقائي كلما سألتهم لماذا لم يشتروه سمعت منهم حكاية ورواية.. فمرة يقال لي: إنها قريبتك يا سيدي التي دوختني فلم أتذكر شراء هذا الكتاب. وقريبتي هي زوجته.. أو يقول لي: الله يقطع المنصورة والذين ولدوا فيها.. إنها زوجتي التي استولت على كل ما في جيبي من أجل الفساتين وأسطورة أن بنات المنصورة جميلات حتى بعد أن أنجبت لي خمسة من الأولاد -أي أن هذا هو السبب في أنه لم يتمكن من شراء هذا الكتاب.. أو من يقول: الحمد لله أنني لم أشتر لك الكتاب فقد نسيت اسم الكتاب وتذكرت كتابًا آخر.. ولما ذهبت إلى المكتبة وجدتهم باعوه -أي أنه لم يأت بهذا الكتاب..

وكنت قد دفعت لهم ثمن الكتاب الذي هو سبعون دولارًا. مع ذلك لم يأت، فقد اشترى لي بالفلوس زجاجة كولونيا..

وفي باريس ارتدت شوارعها من شرقها إلى غربها.. وكل المكتبات تقول: ليس عندنا.. وإنما هو عند المكتبة الفلانية. فأذهب والسائق أمامه خريطة ترسمها وتوجهها الأقمار الصناعية، وتقول: اتجه إلى الشارع الفلاني وبعد 400 متر وقعت حادثة فاتجه إلى الشارع العلاني.. واترك أول تقاطع والثاني والثالث واتجه يسارًا.. ويتجه

السائق يسارًا آخر.. فتقول له الفتاة التي يصل صوتها من فوق القمر الصناعي.. أنت غلطت اتجه إلى الشارع الآخر، وهو الرابع على اليمين ـوبعد مائة متر اتجه يمينًا.. والآن وصلت..

ونسأل ـويبدو الأسف على الوجوه.. ويقال سوف نطلبه من أمريكا أي بعد عودتي إلى مصر.. ونسأل عن المكتبة الأم وتدلنا الأقمار الصناعية عن الشوارع والميادين ونسأل استعلامات المحمول عن الشارع ورقم المكتبة.. ونسمع من القمر الصناعي أننا وصلنا..

آه.. الآن عرفت سبب الجناية على قريباتي وبلدياتي.. فالكتاب ليس ثمنه سبعين دولارًا وإنما ثمنه خمسمائة يورو أي نحو أربعة آلاف جنيه. ولم أكن أعرف ذلك.

ويسألني السائق اللبناني: لا مؤاخذة يا خواجة.. من هو المجنون الذي يشتري كتابًا بهذا الثمن؟ ولم أرد فقد وجدت في السؤال عقابًا كافيًا عن سوء الظن بالأصدقاء!

شارون حانوطي زمان!

لم أجد شكلاً مناسبًا لشارون ذلك المتعطش للدماء العربية واليهودية إلا صورته الموجودة في أساطير الإغريق. ففي هذه الأساطير يوجد رجل اسمه شارون قبيح الوجه واللحية، له دور معروف وهو أنه حانوطي الأرواح. فكل من يموت يجب أن يضعوا في فمه عملة فضية. هذه العملة هي الثمن الذي يدفعونه لكي يتولى شارون نقل الفقيد في زورق في نهر ستايكس إلى العالم السفلي.. أما الذي يفتح فمه ولا يجد شارون فيه هذه العملة الفضية فإنه يرده إلى أصحابه!

والحقيقة أن شارون الإغريقي أرحم كثيرًا من شارون الإسرائيلي فالإغريقي لا يقتل ولا يذبح ولا يشرد ولا يرتوي بدماء الأبرياء. ولا يجد من يصفق له أو يدعو له بطول العمر لأنه يعمل بمنتهى الهمة والنشاط على إنقاص عدد المسلمين كل يوم، عشرين في فلسطين وثلاثين في العراق.. وشارون اليهودي أقوى ألوف المرات من شارون الإغريقي. فشارون زماننا هو الذي يقول والرئيس بوش يردد ما يقول.. إنه المطرب الرسمي للصهيونية العالمية، أما الإدارة الأمريكية فهي الكورس الذي يرد وراءه.. هو يقول: يا ليل يا عين.. والرئيس وبطانته يقولون: آه..

والرئيس الأمريكي هو أضعف رؤساء أمريكا في المائة سنة الماضية وليست حرب العراق إلا رغبة منه في أن يبدو قويًا، فكل

الأسباب التي ساقها لإشعال هذه الحرب غير صحيحة. فليس في العراق أسلحة دمار شامل، ولا كان من أحلام العراق القضاء على إسرائيل ولا حتى على إيران. وأمريكا هي التي ساعدت العراق ضد إيران، وساندت إيران ضد العراق. فأعطت العراق الأسلحة، وأعطت لإيران الخرائط لمواقع هذه الأسلحة. وهذا هو العدل العنيف.. أو هو توازن قوى الدمار الشامل في الشرق الأوسط.

ولا كان السبب أن الرئيس بوش هو مبعوث العناية الإلهية لانتصار الخير على الشر. حتى الخير والشر اللذان يناصرهما الرئيس بوش ليست لهما أية دلالة واضحة. فأنت مع الرئيس بوش لا تعرف إن كان الذي يحدثك هو قسيسًا أو راعي بقر.. ففي السياسة قسيس وفي الأخلاق راعي بقر.. فبعد حوادث 11 سبتمبر ظهر تيار مسيحي يميني متطرف، وكان بوش أحد ضحاياه.. وكان العراق وفلسطين.. وكذلك الجامعة العربية من ضحايا شارون وتابعه بوش!

أسطـــورة حيـــة!

أعجبتني عبارة قالتها بطلة فيلم (طـروادة) المعروض في مهرجان كان. قالت إن فيلم طروادة من أساطير الماضي. ولكن هذه الأسطورة لا تزال حية وكأنها تتحدث عن حاضرنا.. ففي هذا الفيلم أخ نهض ليساعد أخاه في حرب الإغريق ضد طروادة.

ولقد أحرقا طروادة –تقصد بوش وكلينتون والعراق!

وحرب طروادة من الحروب الخرافية، التي رواها شاعر الإغريق الأعمى هوميروس، وقد وقعت 1260ق.م، ويقول هوميروس إن السبب هو خناقة بين ثلاث من إلهات الإغريق هن: هيرا وأثينا وأفروديت. فقد جلسن معًا عندما سقطت بينهن تفاحة من الذهب مكتوب عليها: لجميلة الجميلات. فطلبن الاحتكام إلى أحد الملوك فاختار (باريس) وسارعت أفروديت ووعدته إن اختارها هي أن تقدم له أجمل امرأة في الدنيا: هيلين ملكة إسبرطة ووفت بوعدها وثار زوجها وطلب من أخيه أن يساعده على استرجاعها. فكانت الحرب. ومن الغريب أن هوميروس قال إن القوات الإغريقية التي ذهبت على ظهر ألف سفينة لم تكن تعرف أين توجد طروادة –تمامًا كالقوات الأمريكية التي لا تعرف شيئًا عن العراق شعبًا وأرضًا وتاريخًا. واستمر حصار طروادة عشر سنوات. وسقطت طروادة بسبب حيلة. والحيلة هي بناء حصان من الخشب وضعوا فيه عددًا من الجنود.. ثم نقلوا الحصان إلى داخل الحصن.. وفي الليل خرجت القوات وقتلت حامية طروادة..

ويقول الشاعران هوميروس وفرجيل إن الملك استرد زوجته هيلين وعاد بها إلى إسبرطة. ولكن العواصف الشديدة طوحت به إلى كل مدن البحر الأبيض وتوقفت سفينته في فينيقيا وفي مصر. ويقال إن الأسماك والطيور كانت تدور حول السفينة مبهورة بجمال هيلين. ويقال إن أمواج البحر كانت تغني والطيور تزغرد، فقد أقامت الطبيعة زفة لأجمل عروس في التاريخ القديم، وانتصارًا للحب والوفاء والسلام..

السيـــدة فوزيـــة!

وتلقيت هذه الرسالة التي أحيت صور الماضي في رحلتي حول العالم سنة 1959. وفي جاكرتا كنت ضيفًا على صديقي السفير أحمد والي الذي كان سكرتيرًا ثالثًا في ذلك الوقت، ومن إندونيسيا نقلت تحضير الأرواح بالسلة.

أود أن أنعش ذاكرتكم بزيارتكم لإندونيسيا خلال رحلتكم حول العالم ولعلكم تذكرون مدينة (بوجور) حيث كان لنا فيها أصدقاء مشتركون هم: المرحوم عبد الحليم الواحدي وحرمه السيدة فوزية صاحبة فكرة تحضير الأرواح بالسلة المشهورة، كما تذكرون حديقة (بوجور) النباتية، فقد زار المرحوم الدكتور عبد اللطيف بدر الدين عميد كلية الزراعة في ذلك الوقت إندونيسيا. وكان من برنامج الزيارة تناول الغداء في هذه الحديقة، إلا أنه طلب تغيير البرنامج بما يسمح له بقضاء يومين على الأقل في الحديقة باعتبارها الحديقة النباتية الأولى في العالم، التي تحظى باهتمام العلماء المتخصصين. وكم كانت دهشتي عندما ذكر لي أن الحديقة النباتية رقم 2 في العالم هي (حديقة الأورمان) بالجيزة التي تحتوي على عائلات نباتية بأكملها مسجلة ومنظمة فيما لا ينافسها أي حديقة نباتية أخرى، وشكا من الإهمال الذي تعانيه هذه الحديقة، وأنها لا تأخذ نصيبها من العناية التي تستحقها وفقًا لسمعتها العالمية، والتي لا تقل عن حديقة «بوجور» الإندونيسية، كذلك كانت دهشتي

بالغة عندما ذكر لي أن أهمية حدائق حيوان الجيزة ليست لما تحتويه من حيوانات، بل للمجموعة النادرة من النباتات والأشجار التي تحتويها هذه الحديقة، والتي يمكن معها اعتبارها من الحدائق النباتية العالمية.

أصلهـــا فصيـــح!

اعترضتني بعض الكلمات العامية فرأيت أن أبحث عن أصولها، لعلها تكون فصيحة، ووجدت..

مثلاً نحن في كلامنا اليومي نقول: فلان ضرب فلانًا وكسعمه، أي ضربه حتى أسقطه وأعجزه عن الحركة، وفي القاموس: كسعه أي ضربه بيده على مؤخرته.. ونقول كسعهم أي ضربهم.. وفي العامية نقول كسعمهم فيجيء حرف الميم قبل حرف الهاء، وهذا يحدث في أفعال كثيرة، وفي القاموس أن فلانًا كسعمهم أي ضربهم حتى هربوا منه!

ونقول فلان: (كع) مبلغًا من المال، ونقصد أنه اضطر إلى أن يدفع. والأصل في الفعل (كع) أي جبن عن فعل شيء، أو اضطر إلى أن يفعل شيئًا. ونقول: الكاعي أي المهزوم المغلوب على أمره..

ونقول إن فلانًا يفهم (الكفت).. أو يفهم في الكفت.. والكفت في القاموس هو الإناء الصغير.. إذن فلان يفهم في الكفت أي يفهم في الأشياء الصغيرة!

ونقول إن فلانًا يـآوح.. أو يقاوح.. أي لا يستسلم في المناقشة وإنما يقاوم.. وفي القاموس: كاوح أي قاوم.. وكاوحت فلانًا أي قاومته.. وفلان مكاوح في خصومته، أي شديد الخصومة عنيد..

وفي القاموس: كاوحه وكاوعه.. أي غلبه.

ونقول: هؤلاء الناس (لبط).. واللبط كلمة فصيحة.. واللبط هو الذي يتمرغ على الأرض.. أو بمعنى آخر يرفل في الحرير، أو في الجنة.. فهم يتمرغون في النعيم.. ويقال أيضًا لبط بفلان أي أسقطه على الأرض، ويقال لبط الرجل أي أصابه الزكام فأرقده، والحديث النبوي معناه: إن الشهداء يتلبطون في الجنة، أي يرفلون في نعيم الجنة.

ونقول إننا لطشنا فلانًا قلمًا.. وفي القاموس: لطشه باليد أي ضربه.. والأمواج تلاطأت أي تلاطمت.

ونقول إن الجلباب أو الفستان به (كشكشة).. والقاموس يرى أن الكشكشة ليست شكل الفستان وإنما صوت القماش.. والأصل في الكشكشة هو صوت الأفعى عندما يحك جلدها بعضه بعضًا.. وصوت الاحتكاك هو الكشكشة.. أما صوت الأفعى فهو الفحيح..

وما نكتبه هنا ليس إلا (مكاوحة) مني.. فلا أقوى على قراءة أو سماع كلمة لا أعرف لها أصلاً.. وقد كاوحت!

كلمات جافة!

د. مهندس عادل جزارين ليست حرفته الكتابة.. وإنما حرفته الصناعة.. لذلك عندما حدثنا عن أربعين عامًا من الصناعة في مصر في كتابه «لقطات من حياتي» لم يكن أديبًا.. وإنما عبارته كالمواد التي يعمل في تصنيعها وتسويقها: معدنية جافة مثل الهيكل العظمي، بلا شحم ولا لحم.. فهي سرد لحياته صغيرًا وكبيرًا ومهندسًا ورئيسًا في مجال صناعة السيارات.. وقبل أن تشرع في القراءة.. يبادرك بالهدف من هذا الكتاب فيقول: «إنها مواقف تبرز ما يواجهه الإنسان من تحديات في حياته.. وكيف يتغلب عليها بالإصرار والعزيمة.. وهما السبيل الوحيد للنجاح».. وقد نجح د. جزارين.

ويتحدث عن دراسته في مصر وفي سويسرا.. وعن اشتغاله بالتدريس، وبعد ذلك بالإدارة والنياشين التي تسلمها من الرؤساء عبد الناصر والسادات ومبارك.

ومن غير تزويق يحكي ما حدث قبل نكسة 1967 عندما تلقى إشارة بأن يقوم العمال بالحفر حول العنابر؛ لأن مصر تتوقع هجومًا إسرائيليًّا.. وكان ذلك قبل النكسة بثلاثة أيام.. وفي يوم 5 يونيو سمعت القاهرة انفجارات عنيفة.. وقيل إن الحرب بدأت.. ومرت الطائرات الإسرائيلية فوق الرءوس وظنها المصريون طائراتنا فهللوا وغمرتهم السعادة عندما سمعوا أن مصر قد أسقطت عشرات من طائرات العدو! ويقول د. جزارين مندهشًا: ولم أجد تفسيرًا حتى اليوم

للتناقض الواضح، كيف أن القيادة على علم بوقوع الحرب ولم تستعد لذلك؟!

ويقول: على عكس ما حدث في 1973 فقد بدأت الأخبار ببيانات رسمية لعبور قواتنا للقناة واقتحام خط بارليف.. فقرر أن ينشط العمال وأن يضاعفوا ساعات إنتاجهم بلا مقابل.. وأن يفتح المخازن لقطع الغيار التي تحتاجها القوات المسلحة.. وكم كانت سعادته والعمال أيضًا عندما رأوا اللوريات التي ينتجونها تعبر الجسور في طريقها إلى سيناء..

المـرأة في كـل العصـور!

لم تصدر موسوعة واحدة عن مصر أو أي شيء تسجل جوانب الحياة القديمة أو الحديثة لمصر..

اللهم إلا الموسوعة التي تشرفت برئاسة تحريرها وهي (موسوعة المرأة في كل العصور) والتي صدرت تحت إشراف السيدة سوزان مبارك، وفي عشرة مجلدات، واستغرقت من البحث والدراسة والترجمة والمراجعة والتعليق والتحليل سنتين من العمل الشاق.. ولم تلق ما تستحقه من عناية؛ لسبب بسيط جدًّا لأنها اصطدمت بعادة قديمة، وهي أن الأدباء والنقاد لا يكتبون عن شيء إلا إذا وضعناه تحت أقدامهم ويخرج عنه صوت يقول شبيك لبيك عبدك بين يديك..

ولم تفعل الهيئة العامة للكتاب ذلك؛ لأن النسخة ثمنها سبعمائة جنيه.. وإيه يعني؟ والذي سوف يكتبه النقاد عنها يعادل مئات الألوف من الجنيهات: دعاية وإعلانًا وتشويقًا!

وفي هذه الموسوعة ظهرت المرأة المصرية والعربية في كل العصور ابتداء من نفرتيتي حتى أم كلثوم ومن حتشبسوت حتى عائشة راتب ومن نازك الملائكة حتى بنت الشاطئ.. ومن راقصات المعابد حتى تحية كاريوكا وأمينة السعيد وجاذبية صدقي وجاذبية سري وهدى شعراوي ورجاء منصور وليلى بعلبكي وغادة السمان ومنى رجب وسناء البيسي وإقبال بركة.. وأنتهز هذه الفرصة وأعتذر للسيدة فاطمة عبد الله محمود إن نسينا ذكرها..

وليست هذه الموسوعة إلا (نواة) ومثل كل الموسوعات العظمى بدأت صغيرة ثم اتسعت وشملت موضوعات وشخصيات أكثر وأشارت إلى إنجازات أعظم وأروع.. ولا يزال المجال خاليًا، ولا ينبغي أن يبقى كذلك طويلاً فهي موسوعة شاملة وليست كاملة..

ومن الغريب، كما لاحظ الأستاذ محمود ماهر طه، أن العلماء المصريين يكتبون أبحاثهم بكل اللغات إلا اللغة العربية.. فكأنهم يتجهون إلى العارفين الأجانب، ولا يتوجهون إلى من يجهلون من المثقفين المصريين. ولا يزال عندنا وقت تمامًا، كما أن لدينا أملاً في أن نعكف على (دائرة المعارف المصرية) ولا يهم كم تستغرق من وقت، ربما عشر سنوات فما فوقها.. فليكن!

لا أفهم المعلقين الرياضيين

أعطيت أذني لأحد خبراء كرة القدم، ولم يعجبني الكثير مما قال. ولكنه يعرف ويفهم ويحسب ويضرب ويطرح في مباريات الدوري والكأس والسوبر أحسن مني، ولا عيب فيه ولا ميزة لي.

قال: إن كرة القدم عندنا ضعيفة ومنحطة مثل الأدب والفن والغناء والموسيقى والسياسة!

وكما ترى قلب الدنيا كلها فوق دماغي، ولا أعرف ما العلاقة بين الذي أصاب الكرة وبين أدب القصة والرواية والمقال والقصيدة! ثم إن الأدب لم ينحدر إلى هذه الدرجة.

ولا أرى أن الظروف القاسية توجد لاعبين متخلفين مع أننا نرى كل الدول الإفريقية واللاتينية الغلبانة هي مصدر فخر وإعزاز الدول الغنية المتقدمة، فلا يوجد ناد رياضي واحد في كوكب الأرض ليس به لاعبان وثلاثة من دول إفريقيا وأمريكا اللاتينية. إذن التخلف والفقر لم يكن سببًا لكي ينحط مستوى كرة القدم، وهناك لاعبون ممتازون في الدول الغنية أيضًا.

وسألت إن كانت ملاعب كرة القدم امتلأت أو خلت من اللاعبين المهرة أيام شباب الأساتذة العقاد وطه حسين والحكيم وعبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش ويوسف وهبي وصلاح طاهر والسجيني، وإن كان لكل هؤلاء رأي أو دخل في تقدم أو تخلف كرة القدم!

صحيح أن الجو العام في أي بلد يساعد على تنمية أو تعويق الفنون والآداب والرياضة والعلوم، ولا أحد يعرف أي هذه العناصر أكثر تأثيرًا، وأعمق أثرًا.

ولم أسأل خبير الكرة عن معنى الذي أصاب الآداب والفنون والسياسة.. ولم أجد عنده إجابة عن هذه التساؤلات.. إنه فقط يكرر ما يسمعه من سخط وضيق بكل شيء.. وهو لا يدري أن هذا هو حال الدنيا.. الغضب العام على كل شيء، مع الأمل في التغيير، ولا شيء يدل على يقظة الشعوب وصحوها إلا عدم الرضا أملاً فيما هو أفضل في الملاعب والمعامل والمسارح والمطابع.

وقد أدهشني أن صديقي الخبير الرياضي قد أسعدته هذه المناقشة. أسعدته!! وحسدته والله على هذه النعمة.. نعمة الرضا ونعمة (الباب اللي ييجي لك منه الريح سده واستريح) وأحسست أنه قد أقفل الباب على يدي وأنفي وقلمي.. وقد أسكتني، فسكت!

ألف ليلة فرعونية!

وأخيرًا نقرأ في (الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية) من ترجمة الأستاذة فاطمة عبد الله محمود تحت كلمة (الطلاق) أن النصوص القديمة لم تكن واضحة في ذلك.. إما لندرة حوادث الطلاق وإما لأسباب أخرى كضياع النصوص الخاصة بها. ولكن في قصة (الشقيقين) مثل كبداية (ألف ليلة وليلة) وهي قصة الشقيقين اللذين خانتهما الزوجتان. أما الزوج الأول فانتقم من زوجته وقتلها بخنجر ومزقها وألقى بجثتها للكلاب احتقارًا لها. ولم يشأ أن يلقي بها للتماسيح في النيل. وكذلك فعل أخوه.. وقد قلبنا هذه العادة الفرعونية؛ فالزوجات الآن هن اللاتي يقتلن أزواجهن ويقطعنهم ويضعنهم في أكياس النايلون ويلقين بها في الترع..

وتحت كلمة (اللعنات) فالمصريون القدماء كانوا يستعينون بكل وسيلة لمنع اللصوص من انتهاك مقابرهم، كأن يضعوا أبوابًا ثقيلة على مداخل المقابر أو ينقشوا لعنات على كل من يجتاز المقبرة، فيدعون عليه بالمرض أو فقدان الأولاد. وكان المصريون يؤمنون بالسحر وهذه الكلمات والتعاويذ.. ولكن الدليل على أنهم لم يكونوا جميعًا كذلك أن ما لا نهاية له من اللصوص ونباشي القبور قد نهبوا الكنوز الأثرية في كل التاريخ.

وعندما جاء الزعيم العمالي البريطاني توني بلير إلى مصر صحبه د. زاهي حواس إلى مقابر العمال بناة الأهرام التي اكتشفها

أخيرًا، وحذره من اللعنات التي تنذر كل من يطأ أرضها بالمرض والمصائب. ولكنه لاعتبارات سياسية لم يستطع أن يتجاهل حيًّا عماليًّا مهما حذروه وأنذروه. ولابد أن ما يلقاه اليوم من فضائح وبهدلة له ولزوجته وأولاده لعنة فرعونية!

وأروع ما ترك المصريون على أيام الملك بيبي الثاني الذي حكم أكثر من مائة عام ما جاء بقلم الحكيم أبيور عن وصف الغضب والثورة في مصر وقد وصف سليم حسن هذه الثورة بأنها أول ثورة بلشفية في التاريخ.

والحكيم أبيور يقول: المصيبة أن الملك لا يدري ما أصاب شعبه. أما الموظفون فلا يبالون شامتين في كل الذي يحدث لمصر التي تدور حول نفسها كعجلة الفخراني.. أما الأرض فقد تغطت بالقاذورات، والناس يلقون بموتاهم للتماسيح، فلا قدرة لهم على التحنيط والدفن. إن الدمار المادي والنفسي قد حاق بالناس جميعًا. إنها الثورة الساحقة الماحقة!

شكرًا للسيدة فاطمة عبد الله محمود!

العنف أبو القسوة!

ليست أفلام العنف وحدها هي التي تولد القسوة، وإنما الاعتياد على الدم والدخان والدمار.. هو الذي يولد القسوة، والقسوة تولد العنف مثل النار تؤدي إلى الاحتراق والاكتواء والرماد..

ولذلك اضطربت الشعوب التي خرجت من الحرب مدمرة البيوت والنفوس والعقول. وكذلك البيوت المفككة كاختفاء الأب بالموت أو الهرب. والبيوت التي تقوم فيها المرأة بدور زوجها المتوفى فيها قسوة على الأم وقسوة الأم على الأولاد..

وحيث الفقر والمرض والزحام وكثافة السكان كلها مفردات الضغط على الأعصاب. ومن الطبيعي أن يكون الأطفال قد اهتزت الدنيا في عيونهم. لا لأنها قد اهتزت فقط وإنما لأن عقولهم وأعصابهم أيضًا.

ومن بديهيات ما بعد الحرب زيادة عدد المضطربين نفسيًّا وعصبيًّا، حدث ذلك بصورة صارخة في اليابان وفي ألمانيا وكل الدول التي دمرتها الحروب..

وفي الكويت، وهي دولة عربية غير مستقرة تعيش في رخاء وراحة بال. ولكنها بعد العدوان العراقي ارتفعت فيها نسبة المضطربين عصبيًّا وعقليًّا.

وكذلك عدد المصابين بمرض السكر. وهذا طبيعي. فالزلزال العراقي قد هدم الكويت على رأس أبنائها صغارًا وكبارًا. كما صدم

الشعب الكويتي في كل القيم الأخلاقية والدينية. وقد سمعت كثيرًا طويلاً من أصدقاء من الكويت يحكون كيف ساءت معنوياتهم وكيف أصبحوا لا يثقون بأحد. فأقرب الناس إليهم وأكثرهم اعتمادًا على الكويت قد خانوهم.. باعوهم لصدام حسين. وكيف أن بعض العرب قد شمتوا في الكويت التي كانت تتعالى عليهم بثرائها وبنصيبها من الحرية البرلمانية..

وقد قرأت لأديبة عراقية بحثًا عن (النفسية الكويتية). والأديبة من أصل كويتي ولكنها تعتذر بنصفها العراقي. ومن العجيب أن نصفها العراقي حاقد على نصفها الكويتي، وتقول كما يقول العرب على هتلر: يا ليت صدام حسين كان أغرق الكويت في الخليج!

حتى هذا الرأي يدل على مدى اضطراب الكويتيين من أصل عراقي!

كلـه عنـد الفراعنـة!

أعود إلى (الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية) التي ترجمتها الأستاذة فاطمة عبد الله محمود.. وأقلب فيها وأتوقف تحت كلمة (الأدب) فقد كان العنصر الجوهري في المجتمع هم الموظفين أو الكتبة بالمعنى الأدبي. وانتشرت الأعمال الأدبية المنقوشة على الجدران وعلى الشقافة. وهي تضم التراتيل والأغاني والخيال والإبداع.. وفي عصور الانحطاط ظهر الأدب المتشائم وفي الوقت نفسه ظهر الهروب من الواقع، وتحت كلمة (الاعتراف) نجد أن الميت يعترف بكل خطاياه ويرجو المغفرة تمامًا كما في الديانة المسيحية. وتحت (أغنية عازف القيثار).. التي تقال في المعابد وفي المناسبات الجنائزية.. وهي أغنية حزينة شجية تتحدث عن الحياة الدنيا وما فيها من متعة وعذاب ثم عن الحياة الأخرى.. وتحت كلمة (بس) وهو جني يحرس البيوت.. وصورة الجني هي بالضبط ما تؤكده الممارسات الروحية الحديثة بأنه قزم يتدلى لسانه وتبرق عيناه.. وفي أسلوب الحكم الفرعونية يتفوق المصريون ويرى بعض الباحثين أن (مزامير داود) الموجودة في التوراة مأخوذة من مصر الفرعونية. وهي دراسة للعالم الجليل د. فؤاد حسنين -يرحمه الله..

وعن ظاهرة (التجوال الروحي) أي رحلة الروح إلى العالم الآخر وما تصادفه من رعب وعذاب. وقد رسم لها الفراعنة الخرائط.. في كتاب (الطريقين) وفي (كتاب الموتى) ومن العجيب حقًا أن ظاهرة

(الطرح الروحي) المنتشرة حديثًا، هي فرعونية الأصل. فالنظرية الحديثة عند الروحانيين تقول إن الإنسان وهو نائم تتركه روحه وتتجول هنا وهناك، ثم تعود إلى الجسم وقد عرفت ما حوله وما سوف يحدث له!

وعن (الملاحم الفرعونية) يصف لنا الكاتب بنتاءور معارك رمسيس وانتصاراته في موقعة قادش واجتياحه للقوات المعادية ثم عاد منتصرًا وهي أول صورة من صور الملاحم في التاريخ قبل الملاحم الإغريقية والبابلية أيضًا.

وتحت كلمة (حذاء) كان المصريون لا يحبون الحذاء ويفضلون عليه الصندل المصنوع من سعف النخيل. والمرأة كانت لا ترتدي الصندل.. وبعد ذلك أصبح من آداب اللياقة ارتداء الصندل عند الزيارة.. وكان الأثرياء يتركون صنادلهم وأحذيتهم مع الخدم. ومن الوظائف الملكية (حامل الحذاء) الذي لا يرتديه أحد إلا عند زيارة ضيف أو شخصية كبيرة.

الشجرة هي المعجزة!

أناس طيبون تصوروا أن ظهور كلمة (الله) على شجرة معجزة.. بل الشجرة هي المعجزة.. ورقة الشجرة هي المعجزة.. جناح الذبابة التي فوق ورقة في شجرة هو المعجزة. بل البكتيريا في واحد على مليون من جناح الذبابة هي المعجزة، وليس الله -سبحانه وتعالى- في حاجة إلى أن نكتب اسمه على أي شيء، فأي شيء هو معجزة تدل على أنه الخالق المبدع الذي لا حدود لعظمته. القرآن يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

وكان الفيلسوف الألماني العظيم «كانت» يقول: إن الكون فوقي وصوت الضمير في داخلي أكبر دليل على عظمة الله.

وكان أستاذنا العقاد يقول: بل معجزة الخلق كله الحيوان المنوي.. وكيف أن هذا الكائن الصغير جدًّا يحمل صفات الأبوين.. ليست الصفات فقط بل العادات والسلوكيات. فطفل لم ير والده وينام على جانب من الجسم ويأكل ويضحك ويغضب تمامًا كوالده الذي لم يره.. ليس هذا فقط، بل كيف يستطيع هذا الحيوان الضئيل أن يحتفظ بكل صفات الجنس البشري ويخلط ويختار من صفات الأبوين أو صفات الأسرة كلها. هذه هي المعجزة!

إن الإنسان -أنت وأنا- كنز من المعجزات.. اسأل أي طبيب ليس شاعرًا. وهو يقول لك عن العين والأذن والقلب والمعدة والكبد.. وعن

المخ، هذه المادة الرمادية الصغيرة الحجم، كيف يدرك ويفكر ويدبر ويبدع.. كيف؟

إن الإنسان قد استطاع الكثير، ولكنه بعلمه وقدرته لم يقض على الميكروبات وهي كائنات ضئيلة. قال لي رائد فضاء أمريكي ونحن نناقشه -د. فاروق الباز وأنا- إن الذي يرى جناح بعوضة تحت الميكروسكوب يرى إعجازًا وإبداعًا إذا قارنا بينه وبين أجنحة الطائرات العادية.. سوف تجد أن طائراتنا (لعب عيال)!!

والرجل الصوفي الذي قال: لا إله إلا الله، ما في الجبة إلا الله.. قالوا إنه كافر.. بل هذه أعلى درجات الإيمان، فأنت وأنا جزء ضئيل من عظمة الله وقدرته.. آمنت بالله!

فاطمة عبد الله!

إذا كان أحد يستحق التكريم في أي أعياد المرأة أو عيد الآثار أو مهرجان الترجمة في وزارة الثقافة المصرية أو الفرنسية فالسيدة فاطمة عبد الله محمود تتقدم الجميع لما أنجزت من عمل عظيم لمصر الفرعونية والثقافة الفرنسية.

ترجمت الأستاذة فاطمة عبد الله محمود بعبارة سهلة جميلة هذه الموسوعات الرائعة التي هي متعة للعين والعقل 1- المرأة الفرعونية 2- السحر والسحرة عند الفراعنة 3- الحياة اليومية للآلهة الفرعونية 4- رمسيس الثاني قاهر شعوب البحر 5- الفرعون 6- الإسكندرية ملكة الحضارات 7- موسوعة الرموز والأساطير الفرعونية 8- دائرة معارف الحضارة الفرعونية 9- حب وبطولات مصر الفرعونية 10- الفن والحب في مصر الفرعونية 11- حتشبسوت 12- عظمة وسحر وغموض 13- رمسيس الثاني فرعون المعجزات..

لا أظن أن هناك أوراق اعتماد تتقدم بها السيدة فاطمة عبد الله محمود إلى البرامج النسائية في الإذاعة والتليفزيون لتكون حديث الناس، فقد اختارت لنفسها العمل في هدوء العلماء الجادين، فلا صور لها في أية ورقة مطبوعة ولا صوت في أي برنامج.. ويراجع إنتاجها عالم الآثار الأستاذ محمود ماهر طه، ولابد أنه هو الآخر رجل متواضع، فلا إلحاح له على وسائل الإعلام ليؤكد لهم هذه الرهبانية في العلم.

يقول الأستاذ محمود ماهر طه في مقدمة كتابها الجديد التحفة «الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية» للباحث الفرنسي جي راشيه: هذه الموسوعة هي إحدى ثمار الولع الشديد بمصر وآثارها، ذلك الولع الذي ظهر منذ العصر الروماني ومن مظاهره الواضحة انتشار الإلهة المصريين ودياناتهم في البلاد التي تمتد من إيطاليا وفرنسا إلى الجزر البريطانية..

وفي العصور الوسطى شيدت كنيسة سان جيرمان دي بريه في باريس في موقع الإيزيدم الذي كان معبدًا لإيزيس: ومن المعروف أن اسم مدينة باريس مشتق من إيزيس.

ويحلم الأستاذ محمود ماهر طه بموسوعة ضخمة تفتح عيون العلماء المصريين على مصر الفرعونية، إنما أحلم معه بموسوعة أكبر عن مصر والعالم العربي.. تمامًا كما أن هناك موسوعات بريتانيكا وأمريكانا وإيطاليانا وألمانية -فلسنا أقل قدرًا ولا عظمة من أية دولة في العالم..

وقد توجت السيدة فاطمة عبد الله محمود أعمالها المجيدة بترجمة الموسوعة الممتعة للباحث الفرنسي جي راشيه بعنوان «الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية» في 620 صفحة، وهي أيضًا من منشورات المشروع القومي للترجمة.

وبمنتهى الأمانة فقد جلست أقرأ هذه الموسوعة ليلة كاملة، فلا أمتع ولا أجمل ولا أسهل من معرفة دقائق الحضارة الفرعونية: ملوكها وعاداتها وتقاليدها وطموحاتها وفنونها وآدابها وعلومها وأساطيرها ورموزها وديانتها -التي هي أم الديانات- فما من

فكرة ولا حلم ولا رعب ولا رمز ولا نظرة في السماء والأرض إلا أشار لها الفراعنة وسبقونا إليها. وكنت أول من طلب إعادة طبع موسوعة العالم الأثري الكبير سليم حسن، واستجاب د. سمير سرحان إلى ذلك، وطمعًا في سعة أفقه وحيويته ومرونته، طلبت إليه أن يطبعها على ورق ثقيل لتعيش أطول بين أيدي القراء، واستجاب فقد كان سندًا كبيرًا للطباعة والنشر والثقافة، وكان محبوبًا من الناشرين والمؤلفين في مصر والعالم العربي -يرحمه الله.

وطالبت في المجلس الأعلى للثقافة بتيسير هذه الموسوعة على الناس بأن تتشكل لجنة تقوم باختصار موسوعة سليم حسن وحذف كل النصوص الطويلة التي طعم بها الموسوعة في مجلد خاص، وقد حدث فظهر الجزء الأول في الأسبوع الماضي من مختصر موسوعة سليم حسن، وهو إنجاز أو خطوة مشجعة لظهور مختصرات أخرى شاملة.

وكلها محاولات لتقديم موسوعات مصرية.

وكنت أول من نادى بإكمال ترجمة كتاب «وصف مصر»، الذي كتبه شباب الحملة الفرنسية، وترجم جانبًا رائعًا منه الزميل المرحوم زهير الشايب، وقد حاول كثيرون إكمال هذا العمل، وقد سافرت مع الناشر أحمد رائف إلى فرنسا للاتصال بوزارة الثقافة الفرنسية لإكمال الترجمة، والتقينا بالمفكر المصري لطف الله سليمان، وجلسنا واتفقنا على أن يلجأ هو إلى الحكومة الفرنسية، ثم سافرنا إلى بريطانيا والتقينا د. فوزي مستشارنا العلمي.

وكنت في ألمانيا عندما فوجئت ببرقية من القنصل المصري أبو ريدة يقول إن رجل الأعمال السعودي الشيخ عبد العزيز السليمان «صاحب فندق سميراميس القاهرة» وفنادق عالمية أخرى، يريد أن يكمل ترجمة كتاب «وصف مصر».

وكان المرحوم سمير سرحان سباقًا فظهرت ترجمة الموسوعة العظيمة التي كتبها شباب الحملة الفرنسية بتوجيه من نابليون.. ولكن..

ولا حـــــل!

إذا كان قلبك يوجعك.. ودماغك وعقلك على القضية الفلسطينية.. أدعوك إلى أن تستريح.. وإذا استطعت أن تقفل الباب والشباك وتنام فلا أمل في حل.. الفلسطينيون لا يريدون.. وإسرائيل أيضًا!

وإسرائيل وضعت شروطًا محددة تكررها ليلاً ونهارًا.. ومن ورائها أمريكا والدول الأربع.. وأن يبقى الحال على ما هو عليه وأسوأ.. وإسرائيل لها ملاحظات.. وهي أن الجانب الفلسطيني بكل فصائله لا يعترف بإسرائيل.. ولن تنبذ الإرهاب والعنف ولا تعترف بالاتفاقيات السابقة وفي مقدمتها «خريطة الطريق».

وتلاحظ إسرائيل أيضًا أنه لا إشارة إلى شيء من ذلك في خطاب التكليف بتشكيل الوزارة الجديدة.. وكذلك تصريحات زعماء الفصائل الفلسطينية كلها تؤكد المواقف الثابتة من رفض إسرائيل.. أي رفض كل شروط إسرائيل للسلام وقيام دولتين متجاورتين.

أما إسرائيل وأمريكا والدول الأربع فقد اتفقت.. وهي تعرف ماذا تريد.. لكن المشكلة هي أن الجانب الفلسطيني يرفض إسرائيل.. وعلى ذلك فلا معنى للمفاوضات والاتفاقيات والبيانات والقبلات والأحضان في مصر والسعودية وفرنسا وروسيا.. ثم إن الشعب الفلسطيني ممزق ومنقسم.. وكل هم الزعامات الفلسطينية هو اقتسام الحقائب الوزارية.. وبس!

ولم يعد الشعب الفلسطيني في حاجة إلى أعداء من وراء الحدود.. إنه في حالة اكتفاء ذاتي.. بل في استطاعته أن يصدر أحقادًا وتمزقًا وخيانة وغدرًا وعملاء إلى كل الدول.. خسارة! وكلما قلنا لقد اقتربوا نفاجأ بأنهم تراجعوا خطوتين وتحطموا مرتين وانقلبوا معسكرين وتراشقوا بالتهم.. بل أدانونا نحن أيضًا.

بل اختلطت عليهم الصور فاتهموا كل من يحاول أن يساعدهم حتى عجز العرب عن فعل شيء.. إنهم لا يريدون العرب.. بل نصفهم لا يريد النصف الآخر.. وأما كل محاولات التفاوض من أجل السلام والأمان والدولة فكذب وليس صحيحًا.. ولا توجع قلبك لأن قلوبهم لا توجعهم.. فلا تكن فلسطينيًا أكثر من الفلسطينيين.. ولله يا أمري!

من هـو الأمـــي!

أعجبني جدًّا قرار وزير التربية والتعليم د. يسري الجمل من أجل محو أمية مصر، لقد جعل القبول في الجامعات بشروط والشرط أن يكون الطالب قد محا أمية خمسة من المواطنين.. وهذا قرار عظيم، وأعظم من هذا القرار أن ننفذه ونتعاون جميعًا على ذلك..

وتعريف اليونسكو سنة 1958 للإنسان الأمـي بأنه هو الذي لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب عبارة واحدة عن نشاطه اليومي.. وتعريفنا للأمي هو الذي (يفك) الخط. واليونسكو ترى أن هناك أنواعًا أخرى من الأمية، من بينها الأمية الوظيفية وهي الأغلبية الساحقة، أي الذين يمارسون عملًا، ولا يحاولون أن يوسعوا أفقهم بالثقافة. ويمكن أن نقول: جامعي أمي.. أو متعلم أمي.. طبيب ومهندس ومحام وصحفي.. وفي إحصاء اليونسكو لسنة 1995 أن عدد الأميين في العالم هو 885 مليونًا، من بينهم 565 مليونًا من الإناث!

وفي ألمانيا بعد الحرب جعلوا شروط القبول في الجامعة أو في المدرسة أن يكون الطالب قد أسهم في بناء المدرسة أو الكلية عددًا من الساعات.

أما التجربة الإيرانية فهي الأروع والأسهل، فإيران اشترطت للترقي من درجة إلى درجة أن يكون المتقدم قد أسهم في محو أمية عدد من الناس، وأعطت كل واحد سبورة وطلبت إليه أن يعلقها على

أي شجرة، ويجلس أمامها المواطنون يتعلمون وفي استطاعة الموظف أن يمحو أمية العاملين معه، أو أمية الفلاحين في القرية.

وهناك التجربة الكوبية الجبارة، فقد قررت كوبا الماركسية القضاء على الأمية في عام واحد. فأغلقت الجامعات والمدارس عامًا.. وطلبت من الطلبة أن يمحوا أمية الشعب ونجحت التجربة فلم يبق في كوبا أمي واحد!

وهناك عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية تساعد على الأمية، كما حدث في الدول الإفريقية التي أهلكتها الحروب والمرض والفقر. هذه المجتمعات لم يكن محو الأمية هو أهم قضاياها، وإنما الطعام والسلام.. ونحمد الله أننا نجد الطعام في ظل السلام، فلا عذر لنا أن نعمل جادين، ويجب أن نساعد وزير التعليم، ففي استطاعة الشركات والمؤسسات أن تطبق القاعدة نفسها في القبول والترقية، وليس أسمى من إشاعة النور في العقول ليرى المجتمع حاضره ومستقبله!

ليست أحسن الشركات!

طلع علينا الزميل مصطفى النجار بمقال خطير لمشكلة خطيرة جدًا على مصر، على السياحة الداخلية والخارجية. وذلك بأن انفردت مصر للطيران برفع تذاكر السفر الداخلي –على المصريين! –كده مرة واحدة! كأن مصر بلا مواطنين ولا هيئات ولا مؤسسات. وكأن مصر للطيران هي التي تحكم مصر، فتفرض عليها ما تريد. ولأنها الشركة الوحيدة في مصر، فتوهمت أنها الشركة الوحيدة في الدنيا. وبمنتهى الأمانة ليست مصر للطيران أحسن الشركات في خدماتها. صحيح أنني وغيري نلقى أحسن الخدمات. وهذا لطف من الشركة.. ولكن من عدانا يرى أن المقاعد مخلعة، فالمقعد الذي يرجع إلى الوراء لا يعود إلى حالته الأولى ولا الترابيزات ولا الطعام ولا الشراب. وعلى الرغم من كل ذلك ارتفعت الأسعار التي سوف تقصم ظهر السائح المصري وسوف تخرب بيوت الشركات السياحية التي لم تستأنس مصر للطيران برأيها..

وإذا كان المصريون لا يجدون مفرًا من استخدام الطائرات المصرية، فالأجنبي لا يرى ذلك ضروريًا. فهناك شركات أفضل، وهناك أماكن في الدنيا أرخص وهناك شعوب تفننت في الحفاوة بالسياح. أما نحن فلا حفاوة ولا أسعار معقولة ولا احترام لالتزامات السائح: الفلوس والمواعيد!

وأنا أؤيد الزميل مصطفى النجار، فرفع الأسعار بصورة منفردة يؤكد دكتاتورية مصر للطيران المفروضة على المصريين. وسوف يؤدي هذا القرار إلى تطفيش السياح. وقد حدث أن ألغى العشرات رحلاتهم إلى مصر. وسوف يزداد ذلك في السنوات القادمة.

ولابد أن نتساءل كيف تتخذ (مصر للطيران) مثل هذه الفرامانات ووزير السياحة لا ناقش ولا اعترض. فوزير السياحة غائب عن الساحة والسياحة وكأن وزارة السياحة تابعة لمصر للطيران. ومثل هذه القرارات المنفردة كان من الواجب إذا فوجئ بها الوزير أن يستقيل. فقد اكتسحته مصر للطيران وأطاحت به في الهواء.. ثم تركته هناك!

رفع السكر ماليم!

من عشرين عامًا كنت في لندن، وفي الصحف ضجة وزحمة من الآراء حول مشروع الحكومة لرفع سعر السكر بما يعادل قرشًا في ذلك الوقت، والحكومة قررت رفع سعر السكر؛ لأن المعروض منه قليل، فقد أدت الحروب الإفريقية إلى إبادة حقول قصب السكر، وتصادف في ذلك العام أيضًا أن الجليد قد أباد حقول البنجر..

فرأت الدولة أن تعرض الأمر على الشعب هكذا.. في نية الحكومة رفع سعر السكر بعد ثلاثة أشهر، أما هذه الأشهر الثلاثة فلكي تعطي للشعب فرصة أن يناقش وأن يسأل، وأن يفهم وأن يقتنع، فإذا اقتنع لم تجد الحكومة صعوبة في إقناع مجلس العموم، وظهرت على الشاشات سيدات البيوت والعاملات يناقشن القضية ويرين أن الحكومة معها حق، أو ليس معها حق، وأن المبلغ المقترح لرفع السكر كبير أو صغير، وأن الحكومة تأخرت في تنبيه الشعب إلى ذلك، وفي الوقت نفسه لقد ارتضى الناس رفع السعر، وإنهم بدأوا يرتبون ميزانياتهم، أي أن أحدًا لا يعترض على موقف الحكومة.. قبل أن تعرضه على مجلس العموم. وانعقد مجلس العموم بعد ثلاثة أشهر ووافق على رفع السعر، ومن الأشياء الغريبة أن نجد في السوبر ماركت نوعين من السكر ــ السكر الرخيص قبل الرفع، والسكر بعد الرفع. ونسأل ولماذا.. يكون الرد أن السكر الأرخص هو الذي كان قبل

ذلك، ولا يصح أن نقوم بتزوير السعر، أما الناس فقد اشتروا ما وجدوه راضين مستريحين إلى هذه الأمانة!

وأغرب من ذلك أنني لاحظت أن المصريين في لندن أثناء مناقشة رفع السعر كانوا يشترون كميات من السكر ويقومون بتخزينها -كما يفعلون في مصر- وهذا ما لم يفعله أحد من الإنجليز، وأغرب من ذلك أن نجد بعض المصريين يضعون السكر في جيوبهم، مع أن إقامتهم في لندن لمدة أيام معدودة، وإنما يفعلون ذلك بحكم العادة!

الحكومة البريطانية لم تستطع أن ترفع سعر السكر قرشًا دون أخذ رأي الشعب -منتهى الديمقراطية واحترام الإنسان -وعجبي!

ولـن يمــوت الحــب!

لا شيء يكذب الكاتب البارع عزت السعدني إلا عنوان كتابه الأخير (إعلان موت الحب).. فالحب هو الكتاب من أوله لآخره، لا مات ولا في استطاعته أن يميته، فهو ميت في الحب والكتابة عن الحب. وأستاذنا أرسطو قال من 26 قرنًا: إذا أردت أن تتفلسف، تفلسف! وإذا أردت أن تنكر الفلسفة، فأنت تتفلسف مرة أخرى.

وعزت السعدني يكتب عن الحب عاشقًا أو كافرًا بذلك، فهو في قمة لياقته الأدبية. وقد استعد بمشرط الجراح وفرشاة الرسام وهو عاشق في كل الأحوال. وما جاء في هذا الكتاب هو صور وألوان وأدوار وقضايا ومحاكم. المحامي والقاضي والمتهم والشهود كلهم غارقون في الحب. أو في دماء الحب مجرمون وضحايا!

وعلى لسان من لا نعرف يقول: أما تلاقي الدنيا ضاقت قدام عينيك.. لما تلاقي بكره ضاع من بين يديك، لما تلاقي الشمس ضلمه.. لما تلاقي الصحبة غربه.. لما تلاقي الأصحاب خونه.. لما تلاقي الأحباب تاهو.. ارفع إيدك وقول يارب.. مش حتلاقي نجده.. غير كلمة حب صادقه..

ويقول شاعر لا أعرفه ولا يعرفه عزت السعدني:

ضهر الحقيقة انكسر والصبر انهد حيله

ودموعنا من كترها بقى ليها جزر ومد

بارد يا حضن الوطن ولا عاد يهمك حد.

والأستاذ عزت السعدني غرقان في الحب وحريص على أن يبقى كذلك. فلا تصدق أنه في حاجة إلى يد تمتد إليه لمساعدته على الحب والخروج من مأزق الحب وأن تنتشله من مطب الحب.. بل إنه في نهاية الكتاب يدعو كل قارئ أن يقول له: كيف أحب وكيف لم يستطع.. فالكتاب لم ينته.. وإنما صفحاته أحضان دافئة حانية لكل من تحدثه نفسه أن يقول مادحًا أو قادحًا أو شاكرًا أو ناكرًا..

وهذا الكتاب ليس إعلانًا لموت الحب ولا هتافًا يدعو عليه بالموت.. وإنما هو دعوة إلى وليمة ضخمة فخمة، كل ما فيها مشتق من كلمة حب، بقلم محب وعقل محب وقلب أحب ويحب وسوف يحب!

كلنــــا نفتـــــي!

لمـاذا يتطوع النـاس بـالفتوى؟

لأنـهم يعلمـون أكثـر من غيرهـم. وأن الذي يعلمونـه يكفي لأن يكون لـهم رأي فـي كل شيء، ولأن أحدًا لم يحـاسبهم أو يستوقفهم أو يقل لـهم: قف من أنـت؟ وتفشت الفتـاوى وأدعيـاء العلم في كل القنوات المصرية والعربية –والذي يهمني هو المصرية.. فقد رأينا في رمضـان المـاضي أن كل صـاحب برنـامج له واحد ملاكي يقوم بـالإفتـاء.. وهـان أمر الدين على كل النـاس. وسمعت ولم أقرأ –فأنا خـارج مصر– أن مفتي الديـار المصرية د. علي جمعة قد أصدر تجريمًا للذين يتصدون للفتوى وليسوا مؤهلين لذلك. ورأيت منـاقشة بين أحد العلمـاء المصريين وعـالم أردني، ورأيت الأردني يتهجم على مصر.. مع أن المصري لا يحـاسب الشعب الأردني أو أي شعب آخر.. وإنمـا هو يتحدث عن الذين يجلسون للفتوى في مصر. وليس هذا حجرًا على الرأي أو على الحرية –تمامًا كما تفرض نقـابـة المحـامين والمهندسين والأطبـاء أن من ليس من أبنـاء المهنة لا يحق لـه أن يمـارسهـا!

وفجـأة دون أن يدري أحد ظهر عدد آخر يتطوعون بـالفتوى في الأبـحـاث النووية والطاقة النووية، ويقولون ما لا علم لـهم بـه.. وينشرون ويتسـاءلون ويشككون في جدوى أن يكون لنـا محطات نووية –ففي العـالم كلـه 500 محطة لتوليد الطاقة الكهربية.

ويتساءلون: أين العلماء؟ ومادمنا بلا علماء، فكيف نجرؤ؟ ويرد عليهم آخرون مطالبين لا بمحطات نووية وإنما بأسلحة نووية: إشمعنى إسرائيل؟!

وجاءني من مهندس دكتور عوض طاحون من شيكاغو بأمريكا: يدهشني جدًّا أن أقرأ في الصحف المصرية مناقشات حول إنشاء محطة نووية، ما شأن هؤلاء جميعًا.. إنهم ليسوا علماء ولا مهندسين، ولا على علم بمثل هذه المحطات، ولا دراية لهم بالطاقة أو الوقود.. ولا يعرفون أن مصر بعد أربعين عامًا لن نجد فيها قطرة بترول ولا نفحة غاز. والحل؟ هو المحطات النووية. وهذا ما تفعله دول كثيرة عظمى أو صغرى. وهي مسألة علمية بحتة. ولا حق لأحد غير العلماء أن يقول شيئًا، وإلا فلماذا لا يحتجون على إقامة مستشفيات أو جامعات أو مصانع للأدوية أو الصرف الصحي؟!، عيبنا أننا نتكلم في كل شيء -ما نعلم وما لا نعلم..

عيبنا يا سيدي أننا نقول ولا نتوقف عن الكلام..ومادامت الفتاوى الدينية قد كان لها صداها في كل بيت.. فالفتاوى العلمية أيضًا.

ليس عندها وقت أن تكون زوجة!

لم يعد عند المرأة متسع من الوقت لكي تكون زوجة أو أمًّا، لأنها هي الأخرى تعمل. وإذا لم تعمل المرأة، فمن الصعب عليها أن تكون سندًا لزوجها، أو من الصعب أن تكون أسرة. إذن لابد أن تعمل المرأة، مهما كانت النتائج، ولابد أن تتساوى المرأة مع الرجل في كل شيء!

انتهت هذه القضية، وحسمت نهائيًا وأصبحت المرأة رئيسة جمهورية ورئيسة وزراء ورئيسة للبرلمان ورئيسة عصابة.

ولكن الضحية هو: «الطفل» فالطفل مرتبط بأمه أكثر من أبيه، فهي التي حملته، وهي التي أرضعته، وهي التي تقوم بتربيته.

فالمرأة يجب أن تعمل خارج البيت وفي البيت. ومن أخطر أعمالها في البيت: أن يكون هناك بيت، أي أن تكون زوجة وأن تكون أمًّا، ولذلك بدأت المرأة تخفف من هذه الأعباء، فهي لا تريد أطفالاً كثيرة، وتكتفي بالطفل الواحد. وإذا كان لها طفل فهي تتركه لمن يتولى تربيته: كالخادمة أو والدتها.. أو تتفرغ لتربيته وتترك عملها بعض الوقت!

وحرصًا من المرأة على سلامة جسمها، فإنها لا ترضع الطفل. وأحيانًا تلده قيصريًا، ثم إنها لا ترضعه. وتكتفي باللبن الصناعي. وهنا فقط يتدخل اثنان من العلماء: عالم النفس والطبيب، أما الطبيب فقد اكتشف أن اللبن الصناعي يجعل الطفل ضعيف المقاومة مدى

الحياة؛ أي أن لبن «الأم» هو الغذاء والدواء دائمًا. أما عالم النفس فيرى أن إرضاع الطفل ليس هو المهم، وإنما حنان الأم.. صدر الأم.. حضن الأم.. هدهدة الأم.. حرارة جسمها.. دقات قلبها!

النتيجة: أن أصح أطفال العالم نفسيًّا هم أبناء الفقراء وأكثر الأطفال أمراضًا وعقدًا هم أبناء الأغنياء!

ومـــات القمـــر!

مات القمر، عاش القمر.. طوبى للفاشلين في الحب!

أما الحكاية فهي أن عالم الفلك البريطاني سر باتريك مور كان يحب ممرضة، وهي حبه الأول والأخير، أصابتها قنبلة في الحرب العالمية الثانية، ماتت فظل جالسًا في مقعده، لا يعرف ماذا يعمل وإلى من يتجه ومن يملأ مكانها، قرر أن أحدًا لا يستطيع، ولم يجد إلا حلاً واحدًا، أن يرفع سقف البيت وأن ينظر إلى قمر السماء، وظل يفعل ذلك ستين عامًا، وكان له برنامج في التليفزيون البريطاني استغرق 649 يومًا. البرنامج اسمه (السماء ليلاً)، ففي السماء قمر آخر.. وعلى الأرض قطط صغيرة هي كل ما يربطه بدنيانا، ونحمد الله أنه نجا من الحريق الشامل الذي أقامه هتلر في مدينة داخاو بألمانيا.

وسر باتريك هذا لم يذهب إلى الجامعة، وإنما أصابته أوجاع أقعدته، وهو الآن لم يعد قادرًا على أن يمسك بأصابعه المنتفخة شيئًا، وهو سعيد بأن أطلقوا اسمه على إحدى النجمات بين القمر والمريخ، هذه النجمة الصغيرة طولها مثل عرضها عشرة كيلو مترات.

وهو مثل الشاعر الإيطالي دانتي، أحب وخاب أمله.. فقد أحب الشاعر الفتاة الملظلظة بياتريشه التي تزوجت العمدة، ولكن الشاعر لم يتركها، وإنما رافقته في ملحمته العظيمة (الملهاة المقدسة)،

اصطحبها إلى الفردوس وجهنم يعرض عليها كل أبطال التاريخ، ومثل الشاعر الإيطالي بتراركه الذي أحب لورا ورأى معها نجوم السماء أرقًا وقلقًا، ومثل الشاعر الألماني نوفالس الذي أحب صوفيا، والفيلسوف الدنماركي كيركجور الذي تعذب في هوى رجينا، والفيلسوف الألماني نيتشه، وعالم النفس فرويد، والشاعر ريلكه ثلاثتهم أحبوا واحدة اسمها سالومي ولم تحبهم! ومثل العقاد وسارة، ومصطفى صادق الرافعي ومي زيادة!

والفلكي البريطاني موسيقار ومؤلف لأوبرات ومقطوعات موسيقية، أما التي تمنى أن تستمع إلى كل ذلك فقد ذهبت ومعها الحب وجمال الدنيا، فمأساة هؤلاء العشاق أنهم فاشلون في الحب، والحب لا يدين للذين نجحوا، وإنما الحب يشهد جماله ودلاله وخلوده من المعذبين الفاشلين.

شيء واحد يتمنى الفلكي البريطاني أن يتحقق في هذه الدنيا: ألا تكون هناك حروب، فهي أكثر أعمال وآمال الإنسان حماقة.

يقول: لو استطاع الإنسان أن يعيش في القرون الخمسة المقبلة بلا حروب فسوف يبلغ تقدمًا لا يقوى العقل على أن يتخيله، هذا إن عاشت الإنسانية!

كيف تفسد موهبة؟!

تعالوا نفسد لاعبًا ممتازًا لكرة القدم إذا لم نستطع أن نجده في مصر.. ففي بلاد كرة القدم نماذج كثيرة لذلك.. آخرها اللاعب والطفل المعجزة في بريطانيا واسمه وين روني (19 سنة) إنهم يتوقعون له نجومية مؤكدة. فهو شاب قوي ذكي قناص وتعلقت به الجماهير، انتقل من ناد إلى ناد وكلما ذهب إلى مكان ضايقته الجماهير وعيرته بأنه لا وفاء عنده ولا إخلاص؛ إذ كيف يترك النادي الذي أنشأه وعلمه وأطلقه يحصد الأهداف والملايين، ورد الفعل عند هذا الشاب الصغير أن يتضارب ويضرب ويجرجرونه إلى القسم ـ معظم الوقت ـ مخمورًا.. طبعًا يتدخل النادي ويخرجونه على ألا يعود إلى ذلك. ولكنه يعود وهو أمل بريطانيا في كأس العالم سنة 2006. والنادي يعطيه الملايين التي لا يستطيع أن يعدها.. ويسكت النادي عن البنات حوله الباحثات عن الذهب والشهرة.. واحدة وراء واحدة.. وهو ينفق ببذخ.. أليس صغيرًا؟ والنادي يتفرج ولا يجرؤ أن ينطق بكلمة حتى لا يرتكب الطفل المعجزة حماقة يخسر بسببها النادي الدوري والكأس.. وإذا تساقط من الخمر وقفوا مباركين ومهللين، إذا لم تحتضنه الأرض، فإنهم على استعداد لأن تحتضنه عيونهم.. وطبيعي جدًا أن يصدق الطفل المعجزة ثم يتساءلون: يا ترى كم يعيش هذا الطفل؟ لابد أن التدليل والبنات سوف تقصف عمره! والنماذج الشهيرة: نجم نجوم الأرجنتين مارادونا الذي قرر الأطباء

أنه إذا لم ينقص وزنه 75 كيلو جرامًا في عشرة أشهر فسوف يموت ـ السبب هو الهيروين.. من الذي قدمه له؟ أحد مديري الفريق الأرجنتيني!

ونجم النجوم دافيد بيكهام ينطقونها بكام يملك أربعين مليون جنيه.. بسبب المباريات والإعلانات وزوجته المطربة الشهيرة لها عقلية ريفية كأنها ولدت في مصر، فهي تؤمن بالحكمة التي تقول: قصقص طيرك لا يلوف بغيرك.

وحتى لا يطير منها فإنها تربط في رجليه كل سنة طفلاً.. وقد بدأت الإعلانات تنحسر. والفلوس تتناقص والكرة تتلاعب أمامه في الملاعب.. تهتز كأنها تريد أن تهرب من قدميه.. لتهرب الفلوس من يديه أيضًا! ولابد أن لدينا نماذج مصغرة لهذا الفساد والإفساد.. وكلنا يعرف.. والطريق كالنهاية الحزينة، واحد!

كأننا في كوكب آخر!

في أي مكان من كوكب الأرض نحن؟ لقد سددت أذني لأنني لا أصدق ما أرى، وأطبقت عيني فلم أعد أصدق ما أسمع.. إنه اجتماع وجهاء محافظة الدقهلية، جمعهم أحب المحافظين لنا د. سعيد صوان. والهدف إكمال مشروع غرس خمسة ملايين شجرة، شجرة لكل مواطن. فإذا قال واحد لنزرع ألف شجرة يرد آخر.. بل عشرة آلاف.. وإذا قال فلنزرع عشرة قال آخر: بل مائة ألف.. بل شارع من أوله لآخره.. بل ميدان.. بل أزرع فدانًا من الشتلات.. وقد وزعوا كل أنواع الشجر على الترع والمصارف.. وقرروا الإكثار من أشجار التوت؛ لإحياء صناعة الحرير وأشجار الجميز ذات الظلال، وأشجار الهوهوبا التي هي بئر لزيوت المحركات..

كما قرروا ونفذوا زراعة عشر أشجار أمام وداخل المدارس والمستشفيات ومراكز الشباب..

والهدف الذي هو أمل تربوي تعليمي أخلاقي ديني: أن نزرع الحياة الخضراء في كل مكان.. أن نراها ونرعاها وندعو إليها. وكما أن الطفل لا يقطع أذن أخيه ولا يفقأ عينيه ولا يكسر ذراعه، فهو لا يقطع ورقة، ولا يخطف زهرة، ولا يكسر غصنًا.. فالكل أحياء، وكما يجب أن نعيش يجب أن نترك غيرنا يعيش أيضًا.

وقد تطوع كل خبراء الإقليم في المنصورة والقاهرة وكل العواصم المصرية والأوروبية والأمريكية، كل يريد أن يمد، يريد أن يقول كلمة.

فلم يكونوا رجال أعمال فقط وإنما هم رجال أعمال وطنيون وطيبون أيضًا.

فما الذي نريده من أهلنا وناسنا أكثر من أن يساعدوا ويسهموا وأن يكونوا قدوة لأولادهم ولمواطنين آخرين! وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. الرسول ﷺ دعانا إذا قامت القيامة وفي يد أحدنا فسيلة فليزرعها؛ أي فلنبدأ حتى لو انتهى العالم.. أي في وجه النهاية يجب أن نزرع البداية، في وجه النهاية يجب أن نغرس الحياة تحديًا للموت..

وأذكر حديثًا نبويًا آخر يقول: أكرموا عماتكم النخل. وقد قاله الرسول ﷺ لمن كانوا يهذبون النخيل بعنف. وقد أكد العلم الحديث أن الأشجار تبكي ويكون لبكائها لون –وهذه حقيقة علمية مؤكدة.

فالشجرة مدرسة لتعليم فن الجمال والذوق والحياة والرحمة والسلام.. وما أحوجنا إلى أن نتذوق الحياة، وإلى أن ننعم بالسلام – وهذه هي البداية.

ولمـــاذا التربيـــة؟!

لا أعرف لماذا مصر وحدها هي التي عندها وزارة اسمها وزارة (التربية) والتعليم، ولماذا ليست وزارة التعليم؟ فالتعليم تربية؛ التعليم هو الذي يقول أين الخطأ وأين الصواب.. وما الإهمال وما الكسل.. والنجاح والفشل، والتعليم هو الذي يضع الفرامل على كل رغبات الإنسان، فلا يمد يده ورجليه إلى ما ليس له. وهذا هو الفارق بين الإنسان البدائي والإنسان المتحضر.. المتحضر نفسه.

ويغض الطرف عن الذي ليس له والفرق بين الكلاب الضالة وكلاب البيت أن الكلاب الضالة -كالإنسان البدائي- تخطف وتجري. بينما كلب البيت تتحايل عليه لكي يأكل ويشرب، ومع ذلك يرفض وهو يرفض لأن لديه تجربة يومية مؤكدة، وهي أنه سوف يجد طعامه في مكانه، فلا داعي لأن يتعجل الأكل ولا خوف عليه من الجوع.

حتى السجون أسميناها: (تأديب وتهذيب وإصلاح) مع أن كلمة تهذيب تكفي جدًّا؛ فالغصن المهذب هو الذي أخليناه من الشوك وسويناه ناعمًا. وفي ذلك تأديب له وإصلاح. ويمكن أن نقول نفس الشيء عن الإنسان المتعلم؛ أي المتحضر.

وكانت وزارة التربية والتعليم تسمى قبل ذلك وزارة المعارف وهي بالفعل كذلك. ولكن لابد أننا رأينا أنه من الممكن أن يكون

الإنسان عالمًا، وليس مهذبًا أو سافلاً أو شريرًا. وفي التاريخ أسماء كثيرة من العباقرة تنطبق عليها هذه الصفات.. ولكننا أردنا أن نضيف إلى العلم والمعرفة خلقًا أو سلوكًا حسنًا، فقلنا إنها وزارة التربية والتعليم..

وإذا أردنا أن نقدم أمثلة لسفالة العلماء فعندنا الكثير، عندنا العالم الذي حصل على جوائز عالمية وهو ناكر لأمه وأبيه. أو هو عنده جشع للفلوس وتعطش للجنس. وكان في حاجة إلى تربية.. أي إلى تعليم لحسن السير والسلوك. ولابد من آمال الذين قرروا أن يعلمونا ألا ينسوا تربيتنا أيضًا. لا بأس.

سخافـــات فلكيـــة!

لا يزال عدد من العلماء يؤكدون أن أمريكا لم تهبط على القمر.

وإنما هبط الرواد في صحراء نيفادا! فلا فرق بين صحاري نيفادا والصحاري المصرية وسطح القمر. وقد أجرى العلماء تجارب هنا في الصحراء الغربية.

ولذلك لا يستبعدون أن يكون رواد الفضاء الأمريكان قد نزلوا في الصحاري الأمريكية.

وليس غريبًا، فأفلام الخيال العلمي استطاعت أن تصور الخيال على أنه حقيقة.

واليوم يقول العلماء إن الأمريكان قد حولوا الحقيقة إلى خيال ووهم.. أما كيف اكتشف العلماء أن رحلة أبولو التي هبط فيها الرائدان أرمسترونج وألدرين على سطح القمر رحلة فنية تمثيلية. الملحوظة بسيطة جدًّا. فقد لاحظ أحد العلماء أن العلم الذي غرسه الرائد أرمسترونج على سطح القمر كان يرفرف -أكبر غلطة. (لأنه لكي يرفرف لابد من وجود جو).. أي هواء.. ولا هواء حول القمر!!

وهي ملحوظة قوية قاتلة.. أفسدت على أمريكا كل شيء.. أفسدت الزفة الإعلامية.. ولم تفلح كل قدرات أمريكا أن تقضي على هذه الملحوظة الفاضحة، ولذلك وبعد 36 عامًا قررت أمريكا أن تقوم بتكذيب علمي لهذه الأراجيف. وقد أرسلت هيئة الفضاء الأوروبية

وليست الأمريكية سفينة الفضاء (سمارت1) التي وصلت إلى مدار حول القمر في نوفمبر الماضي.. والتقطت صورًا لكل المواقع التي نزل فوقها رواد الفضاء سنتي 1969 و1972. وصورت أيضًا آثار الهبوط واندفاع الوقود المحترق من السفينة.. والتقطت ألوف الصور ورأت هيئة الفضاء الأمريكية أن تظل هذه السفينة عامًا آخر تكمل هذه الرسالة الخطيرة لتنهي هذا التشنيع على رحلات الأمريكان إلى القمر، وبعد ذلك على المريخ وأقمار زحل.. ثم على القمر ومن أجل البقاء عليه.

ويقول الأمريكان لو كان الهبوط أكذوبة، وقد حدث ذلك في أثناء الحرب الباردة مع روسيا لكانت روسيا فضحت أمريكا في كل مكان.. وهذا ما لم يحدث!

هـذه قـرارات محترمـــة!

ليست كل قرارات الأمم المتحدة مثل قرارات مجلس الأمن عندما تحاول حل مشاكل القضية الفلسطينية. وإنما هناك قرارات مهمة وحيوية. وهي ليست قرارات سياسية، ففي يوم المياه العالمي خططت الأمم المتحدة للمستقبل المائي لسكان كوكب الأرض، لعشر سنوات قادمة تحارب فيها تناقص المياه لسوء الاستخدام أو بالجفاف أو بالتلوث، فبحيرة ماء ملوثة كأنها لا شيء! يقول تقرير الأمم المتحدة إنه في عشر سنوات سوف ينقص الماء العذب الضروري للشرب والاستحمام، وإن ألف مليون نسمة سوف يفتحون الحنفية ولن تنزل منها قطرة ماء، ولذلك سوف يشربون أي ماء قذر أو ملوث.. ومن أهم الأحداث ما فعله ملك تايلاند، فقد ذهب يتفرج على إسقاط الأمطار من السحب.. أي عصير السحاب، وذلك برش السحب بنترات الفضة من إحدى الطائرات. وبعدها بلحظات ينزل المطر كثيفًا. وقد أصدر الملك مرسومًا بتعميم عصير السحاب في 71 محافظة من محافظاته الثماني والسبعين. وهذا الماء العذب قد ارتفع ثمنه في الصين، والسبب نقص المياه. وقد حذر الرئيس الفرنسي شيراك في كلمته البليغة في اليونسكو، وقال: إن الأفارقة ليست أنصبتهم من الماء متساوية، وإنه يجب أن تلتفت الدول الإفريقية إلى هذه الحقيقة المؤلمة والتي من الممكن أن تثير الدول على بعضها البعض.. وحتى لا نجعل الماء دمًا، فإنني أنبه وأحذر قبل الأوان..

وقد أعلنت بريطانيا أنها سوف تساعد إحدى عشرة دولة إفريقية على مواجهة هذا النقص الصارخ في السنوات الثلاث القادمة. وقد ضاعفت مساعدتها لغانا ومالاوي وزامبيا.. وتقدمت الأمم المتحدة بمشروع لتوعية الشعوب ابتداء من مدارس الحضانة إلى خطورة إهدار الماء وإفساده. فلا تستطيع دولة ولا الأمم المتحدة أن تبعث إلى كل بيت أن يقفل الحنفية.. أو يقلل الماء الذي يهدره السيفون. وإنما أنت وأنا ونحن جميعًا!

ابـــن بطوطـــة طليانـــي!

أتـابـع بـاستمرار مـع الملايين زاويتكم «مواقف» التي تعتبر بحق موسوعة معرفية ننهل منها، وقد تكلمتم عن الرحالة ابن بطوطة وذكرتم أنه ينتمي إلى قبيلة اللواتي المغربية التي تمتد حتى برقة في ليبيا. والحقيقة أنه ينتمي إلى قبيلة «لواتة» وهي من ضمن قبائل البربر التي استعان بها والي إفريقية المعز بن باديس -وهي مثل زناتة وصنهاجة- في تمرده ضد الخليفة الفاطمي بالقاهرة المستنصر بالله، الذي أوفد إليه قبيلتي بني هلال وبني سليم فقضتا عليه.

وكذلك فإن انتشار (لواتة) شرقًا لم يقف عند برقة، بل إلى مصر، وقد أورد المقريزي في «البيان» أن هناك عائلات من قبيلة لواتة استقرت في البحيرة والمنوفية والجيزة -وسقارة فرع من لواتة- وفي محافظة المنيا التي أنتمى إليها وعلى ما أورده المقريزي أيضًا فإن كثيرًا من المدن والقرى التي نزلتها عائلات من لواتة ما زالت تحمل أسماء هذه العائلات مثل مغاغة وبني مزار (وصحتها بني نزار، كما ينطقها بدو المنيا) وبني علي وواهلة - وتنطق واهلة- وأنا لا أوافق على ما زعمه البعض من لواتة من انتمائهم إلى أصل عربي في القبائل العدنانية، ولكن أقول إن قبائل البربر المهاجرة من الغرب قد اختلطت قبل نزوحها إلى مصر بعرب المغرب، مما أدى إلى تعربها ثقافيًا وإلى وجود قدر من العروبة

السلالية في أصولها البربرية، ومن هذه الزاوية نستطيع أن نحكم بعروبة هذه القبائل.

مستشار المصري الكيلاني

ومن د. أيمن محمد السنهوري من ميلانو: -إيطاليا-: أن لديه معلومات بأن ابن بطوطة من أصل إيطالي! وأن أجداده من جزيرة صقلية في القرنين 12 و13 فلا تزال هناك عائلات تحمل هذا الاسم.

ولكنني أرى ما يقوله د. السنهوري بعيدًا جدًّا عن الواقع التاريخي ولابد أن خطأ ما قد وقع فيه، فمن المؤكد أن ابن بطوطة عربي بربري، ومن مفاخرنا!

المعلقــون الأجانــب.. أفضـــل!

شكرًا جزيلاً للنادي الأهلي لا لأنه قد كسب الزمالك، فمثل هذه الأحداث لا تهمني. فمن النادر أن أتفرج على مباراة في كرة القدم. وإذا حدث فلا شيء يفسد متعة الفرجة إلا ما يقوله المعلقون الرياضيون. إنهم لا يكفون عن الكلام. وأكثره لا علاقة له بالمباراة. وإذا كان اللاعبون يجب أن يتعلموا والمتفرجون أن يتأدبوا فإن المعلقين يجب أن يستمعوا إلى المعلقين الأجانب ليجدوهم أكثر عقلاً ومنطقًا ولا يتحدثوا عمال على بطال تسعين دقيقة.

وإنما أنا أشكر النادي الأهلي لأنه قد ضايق ونرفز إبراهيم المعلم رئيس اتحاد الناشرين الذي افتقدناه 12 عامًا -افتقدناه نحن المؤلفين لقد ضاع منا المهندس إبراهيم المعلم. لقد أصبح كرة يتقاذفها النادي في القاهرة والقارات الخمس. والمهندس المعلم على سفر ليلاً ونهارًا، ولست وحدي الذي كان حزينًا على ماضيه وعلى مستقبله أيضًا. وإنما كل العاملين في صناعة التأليف والطباعة والنشر.

لقد كان من رأي توفيق الحكيم أن (دولة القلم) قد راحت عليها، وأننا في عهد (دولة القدم). فأي مفعوص في الملاعب يكسب بجزمته الملايين التي لا يكسبها بعقله وقلمه وخياله كل اتحاد الأدباء. وقد حاول إبراهيم المعلم أن يحقق المعادلة الصعبة بأن يكون رب القلم والقدم، فكان صاحب القدم مأسوفًا عليه من أصحاب القلم..

وصافحنا بعضنا بعضًا حزنًا على ناشر له ماض، ولم يعد له مستقبل.

وفجأة وأكرر شكري فقد قرر أن يعود ناشرًا. ولا يهمنا ماذا فعلوا به في النادي الأهلي.. ومن الظالم ومن المظلوم.. من اللائم ومن الملوم.. لا يهم أبدًا.. وإنما المهم أن إبراهيم المعلم كان مكسبًا للملاعب وخسارة على المطابع.

أما اليوم فنحن نهنئ النشر والناشرين بعودة المهندس إبراهيم المعلم فقد ارتد إليه اعتباره من ضربة جزاء. وصفر الحكم معلنًا عن هدف نظيف أحرزته صناعة عظيمة الاحترام!

مــا بعــد عرفـــات!

نحن الآن في عصر ما بعد عرفات، واسمه الأصلي هو: محمد عبد الرحمن عبد الرءوف القدوة الحسيني، وقد اتخذ اسمه وكنيته عندما كان طالبًا في كلية الهندسة، جامعة القاهرة، تيمنًا بأحد أبطال المقاومة الفلسطينية الذي اغتاله الإنجليز. وياسر عرفات ولد في القاهرة سنة 1929 وإن كان قد أعلن بعد ذلك أنه ولد في القدس. وعرفات اشترك في حرب السويس سنة 1956، ورقي إلى درجة الملازم في الجيش المصري. وقد شغلته قضايا وطنه طوال حياته بعد نكبة سنة 1948 وهو الذي أسس حركة فتح. وعند قيام الثورة المصرية 1952 أرسل للواء محمد نجيب خطابًا بالدم فيه ثلاث كلمات: لا تنس فلسطين!

وفي سنة 1968 قاد القوات الفلسطينية ضد إسرائيل في معركة «الكرامة» –إحدى مدن الأردن. وظل يقاوم إسرائيل من الأردن حتى طغت قواته وبغت، فطردهم الملك حسين في أيلول (سبتمبر) الأسود سنة 1970 وفي سنة 1974 ذهب عرفات إلى الأمم المتحدة يحمل في يديه غصن زيتون وبندقية. وناشد الأمم المتحدة ألا تكسر غصن الزيتون! ودخل عرفات في معارك سياسية كانت وبالاً على الشعب الفلسطيني، من بينها تأييده لصدام حسين ضد الكويت. وابتداء من سنة 2001 حاصره

شارون بقوات إسرائيلية وبعملاء من فلسطين. وراح شارون يتصيد الزعماء واحدًا واحدًا يضربهم من الأرض ومن الجو، فلم يخطئ مرة واحدة. وهذا يؤكد إخلاص الخونة لشارون، فهل هم الذين وضعوا له السم حتى الموت، ليبدأ عصر التمزق والشرذمة والفتن؟!

اتــرك تليفونــك مــن فضلــك!

أرجوك قبول عذري لأنني سوف أتحدث في مسألة شخصية جدًّا.. ولم أجد وسيلة ولا مكانًا ولا أسلوبًا آخر، فقد اختفت كل أرقام تليفوناتي.. فعندي مفكرة إلكترونية، وفيها أكثر من 900 رقم.. وبشيء من التوتر ونفاد الصبر مسحتها كلها عن غير قصد.. وفي لحظة واحدة انقطعت عن الدنيا.. وتقطعت كل الأسلاك مع الذين أعرفهم في مصر.. وفي كثير من الدول.. فجأة أصيبت المفكرة الإلكترونية بفقدان الذاكرة.. فكلما حاولت أن أستدعي رقمًا أو اسمًا ظهرت عبارة قائلة: لا يوجد هذا الاسم أو هذا الرقم.. يعني: اضرب دماغك في الحائط.. قضي الأمر!

ومن الصعب أن أحتفظ بكل أرقام البيت والمكتب والأرقام الخاصة، وكثير من الأسماء أيضًا.. وبعض الأصدقاء يشكو من أنه يطلبني ولا أرد عليه، مع أن الرقم يظهر أمامي على الشاشة.. أو يترك رسالة صوتية ورقم تليفونه بسرعة فتتساقط الحروف.. وأنا لا أعرف من كل وظائف المحمول إلا أن أطلب وأرد..

وهذه هي المرة الثانية التي أفقد فيها هذه الأرقام.. فلم أتعلم من التجربة الأولى.. وفي المرة الأولى سجلوا لي الأرقام على كاسيت لكي أنقلها إلى المفكرة إذا ضاعت الأرقام.. وضاع مني الكاسيت!

وكل ما أرجوه من كل صديق أن يبعث لي برقم تليفونه.. ولا أعرف كيف.. في ورقة في جواب إلى الكمبيوتر أو إلى المحمول.. وليس عندي أمل كبير في أن أسترد كل الأرقام، وليس واحدًا على عشرة منها.. وإن لم يفعل أحد.. يكفي الاعتذار للجميع بهذا النداء اليائس.. والغلطة غلطتي.. فقد تسرعت بسبب ضيقي وقرفي وهمي وغمي، فاستراحت مني المفكرة والموبايل ولم ترحني.. وأجدد اعتذاري وأسفي!

طـــول مــا الزمـــن ناســـي!

بالروح بالدم قلمي يا ناس.. قلمي يا ناس بيكتب من الألم.

ألم النخيل.. والنيل.. وكل اللي اتظلم، بنحكم ونعلم.. إن أحلامنا عدم

طول ما الزمن ناسي.. ناسي المحرومين حتى من صرخة ندم

آه يا زمن.. آه يا زمن.. داسنا بمداسنا

بالروح وبالدم.. بالروح وبالدم.. شعارات كلام في كلام

يا ناس حرام نسمع صدى صوتنا ونضحك ع الأمم

أم المعارك.. والحواسم.. والزعيم جاثم

على صدورنا بصوره وتماثيله أعلى من الهرم

صواريخ صمود.. والحدود منهوبة مخروبة

شنبات أشاوس.. نشامى.. يا دي الندامة جريو كالغنم

وسابوا لنا مر الهزيمة.. والدم سال مالو قيمة

مستقبل الأجيال موش مهم.. المهم فين الزعيم الصنم؟!

أ. د. مدحت محمد علي

عميد طب المنصورة

ورغم إفلاس هذا الهتاف (بالروح بالدم) فلا نزال نسمعه يتردد من الخليج إلى المحيط، مع أن أحدًا لا يفدي أحدًا لا بالروح ولا بالدم..

وإنما الشرفاء والشهداء الذين بذلوا أرواحهم ودماءهم كانت من أجل الوطن.. أما هؤلاء السفاحون والنصابون الذين خدعوا الشعوب وخانوها وباعوها فلا يستحقون لا دمًا ولا دمعًا.. ورغم ذلك فلا يزال الناس البلهاء يجأرون بالروح والدم.. إنهم أسوأ على شعوبهم من الأفاقين الذين جرجروا الناس الطيبين إلى الفقر والموت والسجون..

وهذه الأبيات القوية الجميلة ليست لأديب وإنما لطبيب أديب وضع أصابعه كلها على مواطن الداء فينا. الداء الذي استشرى بالأمس، ولا يزال اليوم وغدًا في كل أرض عربية!

أخيـرًا وجـدت والدهـا!

بسرعة انتهت مأساة السيدة الألمانية بربارة أمرهاين (45 سنة) التي كتبت عنها منذ أيام، فهي تبحث عن والدها الذي كان سببًا في لونها الأسمر ولون أولادها رغم أن والدهم ألماني أشقر أصفر الشعر أزرق العينين.. فقط تريد أن تراه، فهو أمل حياتها..

وتلقت من القاهرة رسالتين، واحدة تقول إنني نشرت حكايتها، والثانية تقول وهي طريحة الفراش في المستشفى: تعيشي انت أبوك مات من 15 عامًا!

وقد تلقيت منها رسالة أخرى تقول إنها سوف تجيء إلى القاهرة لترى بقية أهلها وتشكرني.

وفجأة وجدت في مكتبي زوج أخت هذه السيدة الألمانية، وهو وهي يسألان عن حقيقة هذه السيدة الألمانية وإن كانت لديها أدلة وصور.

أما الأخت المصرية فكانت منزعجة جدًّا أن يكون أبوها الذي كان عمره 19 سنة قد ارتكب هذه الغلطة، فهي تراه مثاليًّا في الخلق والإيمان. كيف أخطأ؟ ولم أفلح في التليفون أن أؤكد لها أن والدها مات. وكان ما كان. ولكنها قالت: إن هذه القصة سوف تقلق مضجعه في قبره. وإنها لا تريد له هذا العذاب.

واتصلت بالسيدة الألمانية، فقالت لي إن عددًا من المصريين في الزقازيق قد حدثوها عن أختها. وأعطيتها رقم تليفون أختها، ولما حاولت بعد ساعة أن أسأل ماذا حدث، وجدت التليفون مشغولاً.

وجاءتني رسالة على الإنترنت تطلب فيها السيدة الألمانية كذا وكذا.. انتهت هذه المأساة أيضًا.

وقبل ذلك، نشرت قصة فتاة سويدية اسمها سابين أبتشي هي الأخرى تبحث عن والدها المصري الذي كان سببًا في لونها الأسمر وشعرها الأسود.. وقد دلني عليه كثيرون من زملائه في الدراسة. واتصلت البنت بمن ترى أنه والدها وزوجته وأسرته، وجاءت إلى مصر.

وحدث لقاء ودعوني إلى العشاء. وانتهت القصة بالنسبة لي، ولا أعرف إن كان حبل الوداد متصلاً أم لا!

نصيحة أخرى!

لأنها محنة مؤكدة كتبت عن ضياع كل أرقام التليفونات مرة واحدة. ومن المستحيل أن أتذكرها، والهدف: أن تحترس فلا تقع في هذه الغلطة. ومن سنوات، لاحظت أن وجود المفكرة الإلكترونية إلى جانب الموبايل إذا كان مفتوحًا وتنبعث منه الموجات الإلكترونية القوية يؤدي إلى مسح الأرقام أو إضعاف الذاكرة. وكانت ملاحظتي صحيحة. وقد تنبه كثيرون إلى ذلك!

أما هذه المرة فقد طلبت إلى الأصدقاء أو من يرى أنه صديق أن يبعث لي برقم تليفونه. وانتظرت وكانت د. ليلى تكلا أول من استجاب وكانت الثانية هي السيدة رولا خرسا صاحبة البرامج التليفزيونية البارعة، والزميل عبد الله حسن و د. سيجال جورجي التي حصلت على الدكتوراه من جامعة تل أبيب، وكان موضوع الدكتوراه هو مؤلفاتي. ود. رفعت فودة من أستراليا وهو الآخر حصل على الدكتوراه عن أفكاري الفلسفية والأدبية والسياسية.. وبس.

فإما أن يكون الأصدقاء لم يقرأوا مقال الاستغاثة وإما أن يكونوا قد قرأوا ولم يصدقوا.. أو صدقوا ولكنهم انشغلوا. قال لي الموسيقار د. جمال سلامة إنه عندما قرأ مقالي قام بسرعة وسجل أرقام التليفونات على الورق.. ولكنه لم يبعث لي برقم تليفونه! ولم أندهش أن كثيرين لم يقرأوا مقالي (240 كلمة)، ومن المؤكد أن المقالات

الطويلة لا يقرأها أحد، فالناس مستعجلة وتمل بسرعة وليس عندها وقت، وطعم الدنيا على ألسنتهم شديد المرارة.

وإما أن بعضهم قال: سوف يجد حلاً، وليس في حاجة إلى مساعدة أحد. ومن الممكن أن تكون هذه الواقعة لم تحدث مطلقًا، نحن نعرف هؤلاء الصحفيين! أو أن بعض الأصدقاء ـالذين اعتبرهم أصدقاء ولا يعتبرون أنفسهم كذلك ـ قالوا: أحسن، بركة يا جامع. وكل واحد يلزم الموبايل بتاعه ولا تكلمني ولا أكلمك.. برضه معقول!

تبحث عن والدها!

في نوفمبر الماضي تلقيت خطابًا من فتاة سويدية تبحث عن والدها، ونشرت وتلقيت ردودًا من أناس عرفوا والدها.. واتصلت بالوالد وزوجته.. وكانت معارك كلامية تليفونية وإلكترونية.. وجاءت الفتاة السويدية وتناولت العشاء معها ووالدها.. وتلقيت شكرًا منها ومن مصريين يعرفون مأساة فتاة وجدت نفسها ليست شقراء، وتريد أن تعرف وعرفت.. وكانت مضايقات إلخ.. وانتهت القصة.

وبالأمس تلقيت خطابًا من السيدة بربارا أمرهاين من بفاريا «45 سنة» تقول إنها عرفت من أمها أن والدها مصري واسمه عبد الكريم محمد عويس «65 سنة» وقد تعلم في مدرسة الزراعة بمشتهر في سنة 1958 ثم سافر إلى ألمانيا في يناير سنة 1959، وتردد على معهد جيته في ميونيخ.. وعمل في عدد من مصانع الألبان.. وفي أحد هذه المعامل قابل أمها وكانت تعمل هناك، وكانت جميلة وعمرها 18 سنة وزوجة لأحد الألمان.. وفي سنة 1959 ترك أبوها المصنع إلى مصنع آخر في مدينة هرفورد.. وبعثت أمها بخطاب تقول فيه إنها حامل، تقول بربارا: أمضيت عمري كله أبحث عن هذا الأب الذي ترك لنا اللون الأسمر لي ولأولادي أيضًا مع أن والدهم ألماني أشقر. أريد أن أعرف أريد أن أراه. إنه لا يغيب عن بالي. واتصلت بالسفارة المصرية هنا، وبالسفارة الألمانية في القاهرة، ووزارة الزراعة هنا وهناك ومعهد جيته.. أسألهم جميعًا عن والدي المصري وما عنوانه

ومـاذا يعمل الآن. وعندي صورة لأبـي مع خـالتي التي مـاتت من 45 سنـة.

وتسألني: هل من الممكن أن أنشر صورتـه فـي «الأهــرام».. أنـا لا أريد أن أضـايقه أو أحرجه. ولكن اعذرني، وهو أيضًا سوف يعذرني فـأنـا أبـحث عن أبـي. وأريد أن أزوره في مصر.

عنواني: بربـارا امرهـاين، شـارع هـاويت اشراسه 111ــ فلبرريرون، تليفون وفـاكس رقم 060948222.

إنهـا تجربـة أليمة جدًّا. لقد عـايشتـهـا إلكترونيًّا وتليفونيًّا!

عبـــارة خالـــدة!

في المعرض الدولي سنة 1973 لم يلتفت ملايين المشاهدين إلى عبارة تصدرت الجناح الصيني، العبارة تقول: «فلنجعل ماضينا في خدمة حاضرنا» والعبارة للزعيم ماوتسي تونج.

والعبارة غريبة علينا، فنحن ننظر إلى ماضينا على أنه العصر الذهبي وأن الذي حققناه زمان لن يعود مرة أخرى.. فنحن قد استدرنا إلى الماضي وهات يا بكا..

مع أن الشعوب التي تقدمت هي التي أدمنت المستقبل كأمريكا والسوفييت سابقًا واليابان.. ولذلك نجد من المألوف إذا زرنا مصنعًا كبيرًا نجدهم يعرضون نماذج لهذا المصنع بعد عشرة أو عشرين عامًا. أي مستقبل هذا المشروع. والذي يعرضونه نماذج صغيرة سوف يجعلونها حقيقة كبيرة.. وربما كانت اليابان هي الدولة الوحيدة في العالم التي تعيش ماضيها ومستقبلها معًا، فالعامل الياباني يعيش في بيته بتقاليده في القرن الثاني عشر.. ولكن إذا عبر الشارع إلى المصنع فهو يعيش في القرن الحادي أو الثاني والعشرين، فعبور الشارع يقفز به عشرة قرون. ففي البيت يرتدي الكيمونو والقبقاب، وفي المصنع يصبح عقلاً إلكترونيًا.. وعندما شاهدنا في القاهرة فرقة الكابوكي اليابانية لم نخف الضحك على ما نرى ونسمع -بينما يرى اليابانيون أنهم قد قاموا بعمل جليل يكاد يكون مقدسًا!

وإذا أراد أحد أن يتقدم بالعقل خطوة خطوة فالصين هي المثل الأعلى وليست اليابان، فاليابان قد تقدمتنا بقرون. أما الصين فقد أغرقت أسواق الدنيا بكل أنواع الصناعات الصغيرة: الفوانيس والسجاجيد والفول المدمس والإنتاج الرخيص لكل الأجهزة الإلكترونية. وشعارهم أن السجين -مثلاً- ليس يكفي أن نقفل عليه الأبواب ويسند ظهره على الحائط وينام معتمدًا على دافعي الضرائب خارج السجن. لا بل يجب أن يعمل في السجن. والذي لا يعمل لا يأكل. وفي مصر نرى فتيات الصين تدق أبوابنا لتبيع بالتقسيط. بلا تعب ولا ملل. وعلى الرغم من أن المثل الذي يقول: إذا لم يأت الجبل إلى محمد ذهب محمد إليه -هذا المثل عربي؛ فإن الصين أكثر تطبيقًا لهذا المثل.. فبضائعها على أبوابنا وفي داخلها وبأسعار رخيصة وبالتقسيط!

أقتل يوسف عز الدين؟!

في القاهرة واحد من أكبر أدباء وشعراء العراق عضو المجمع اللغوي المصري د. يوسف عز الدين والذي هاجر من بلاده إلى السعودية والآن في لندن. وهو صديق لكثير من أدباء مصر وشعرائها.

وقد تفرقت كتبه بين دور النشر المصرية وما يستحقه عليها من أجر هو الآخر تفرق بين البنوك. فلا وجد الكتب ولا الفلوس.. ولذلك فكتابه الأخير مطبوع في دمشق؛ الكتاب عنوانه (الرصافي يروي سيرة حياته) في 340 صفحة.. ولابد أن يكون د. يوسف عز الدين إنسانًا طيبًا محبًا لوطنه مخلصًا لأساتذته.. وإلا ما ساعد على نشر هذا الكتاب. فالرصافي شاعر وسياسي ولكنه اختار الحياة المضطربة لأنه أراد أن يعيش حكاية أو فضيحة أو نكتة. أراد أن يكون مثل أبي نواس. فكان له ما أراد.. إلا أن يكون شاعرًا بليغًا رائعًا مثله.. ولأنه وحيد أبويه فهو إنسان مدلل. يمكن أن تقول إنه كان منحرفًا منحلًا اختار أن يعيش في بيت إلى جوار أحد بيوت الدعارة فهو يدخل –وغيره أيضًا– يدخلان البيتين في وقت واحد. ولا يضايقه ذلك.. وعندما أراد أن يقطع قطعة من المطاط من إحدى الماكينات ليجعلها أستيكة؛ أكلت الماكينة أحد أصابع يديه. وعندما جاء إلى مصر التقى بـ (طه حسين) ولم نر له أثرًا بعد ذلك فيما كتب أو فيما قال. ولم يشأ أن يقابل الشاعرين الكبيرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم،

لأنهما لم يبادرا بزيارته! وإن كان رأيه في طه حسين أنه (أعلم علماء الأدب لولا أنه ينافق رجال الدين. والعالم يجب أن يقول الحقيقة ولو أغضب الغير كائنًا من كان) أما رأيه في الأستاذ العقاد فهو أكبر دليل على تفاهته وجهله؛ فلم يتذوق أدب العقاد وفلسفته ولا شعره البليغ. وقد حاولت أن أحفظ بيتين من شعره أو حتى بيتًا واحدًا فلم أستطع ولكن الشاعر القديم قال: وعين الرضا عن كل عيب كليلة..

وهذا ما فعله د. يوسف عز الدين. ورغم حبي ليوسف عز الدين وإعجابي فإننى لم أستطع أن أستعير عينيه!

نرجـــو أن تواصلـــوا!

تلقيت من (نقابة أطباء مصر ـ لجنة الدفاع عن صحة المواطن المصري): نتابع بالتقدير عمودكم اليومي «مواقف» خاصة ما يتصل بالدفاع عن قضايا صحة مصر وشعبها إيمانًا منا بأنه لا مستقبل لشعب لا يمتلك الصحة.

وقد تابعنا ما كتبتموه عن الدراسة القيمة المعنونة «أثر تلوث البيئة على التطوير المرضي للسكان بمحافظة الدقهلية» لعميد آداب المنصورة الأستاذ الدكتور أنور العدل ثم إشارتكم لها ولقضايا التلوث «الفادحة والفاضحة» بعد ذلك. وقد قمنا بإرسال خطاب من اللجنة للسيد العميد (مرفق صورته) نود أولاً أن نشكركم على متابعتكم لقضية حيوية ومركزية ولها أولوية كبرى مثل قضية الصحة والتلوث.

ثانيًا: نود أن تواصلوا الدعوة من فوق منبركم الهام لكي يلتفت المزيد من فرق الباحثين للقيام بالأبحاث في مجال تلوث الماء والغذاء والهواء، وتتبع آثار ذلك على صحة المصريين مدعومة بالإحصاءات اللازمة، ودعوة الباحثين في مجالات التلوث والأطباء وخبراء المياه والزراعة للتعاون العميق والعاجل لإصدار تلك الأبحاث، لعلها تعيننا على المزيد من الرؤية العلمية ومن بعد ذلك إلى العمل الحقيقي والصادق لإنقاذ صحة المواطن المصري المعرضة لأشد الأخطار..

ولعلنا نذكر في ذلك ما سجلناه في مشروع بيان هذه اللجنة من أنه «لو فرضت صحة متدنية على أمة أو شعب لوجب عليه الحرب. إن التخطيط والتضحية والأولوية ينبغي أن تتقرر في ميدان الصحة.

حيث تسبق الصحة الحرب والسلام والاقتصاد..

لكم خالص التقدير على ما تبذلونه من جهود خاصة في مجال الدفاع عن الصحة.

شكرًا للأستاذ الجليل أ. د. محمود محفوظ، وليس غريبًا على مثل هذه العقلية الواسعة الأفق بعيدة العمق أن يلتفت إلى مرض الأمراض في مصر كلها: التلوث في الماء والهواء والأيدي. والله زمان يا أستاذ.

لقد باعدت بيننا الأيام وحرمتنا من التحليق في فضائكم الرحب، وعلى ضوء عقلك المنير.. وبرغم المسافة في المكان والزمان فإنك في القلب وفي العقل معًا.. وفي أسمى مكان..

خوفًا من الموت عطشًا!

يجب أن نقلق فعلاً على الماء الذي نستخدمه في الزراعة والصناعة وفي الشرب، فالعالم كله يخاف من جفاف يوشك أن يلتهم ما لدينا من الماء ـ هكذا تقول الأمم المتحدة، ولا أريد أن أفزع الناس فأقول إن (حرب المياه) قد بدأت، ولكنها قادمة لا شك، أكاد أراها، و د. محمود أبو زيد وزير الري، مشكورًا يوالي التعليق على قلق القراء والمستثمرين ويلاحقهم بالمعلومات والإجراءات الصحيحة، فقد لاحظوا أن المياه الجوفية على جانبي الطريق الصحراوي قد نقصت وزادت ملوحتها.. ويتلفتون إلى الوزير أن يفعل شيئًا، وقد فعل وأرسل لنا رده التالي: تعلمون سيادتكم، فإن المساحات المزروعة بغرب الدلتا سنة 1989 كانت 35 ألف فدان يغذيها 78 مليون متر مكعب من 960 بئرًا إنتاجيًا، وصلت هذه المساحة إلى 400 ألف فدان حاليًا تسحب 1.1 مليار متر مكعب سنويًا من عدد 13567 بئرًا.. وقد أصدرنا قرارًا بضرورة تسجيل هذه الآبار، وأخذ تصاريح لأي جديد منها.

أما البحيرات الصناعية بالمنطقة فمعظمها يعتمد على مياه الصرف الزراعي أو الصرف الصحي المعالج.. وتشارك المياه الجوفية بصفة عامة حاليًا في توفير نحو 10٪ من جملة الموارد المائية، تصل إلى 20٪ بحلول عام 2017.

ويقوم قطاع المياه الجوفية بأعمال الترخيص بحفر الآبار معتمدًا بيانات حديثة، تعتمد على تنظيم المعلومات الجغرافية، كما

يقوم معهد بحوث المياه الجوفية التابع للوزارة بتقييم مصادر المياه الجوفية بمصر، ومتابعة كميات السحب ونوعية المياه..

وجاءني من د. أمين يوسف بهي الدين من كندا أن أحد أقربائه الذي يعمل في وزارة الري قال له إن الوزير قد استشاط غضبًا لما يقوله مصريون هنا ومصريون هناك عن المياه.

ولقد ضحكت! فهم لا يعرفون الوزير، إنه رجل هادئ الطبع عالم واسع الأفق.. ثم لم يقل أحد ما يغضبه!

أحاديث بالألوف مزورة!

إذا قلت إن هناك عشرات الألوف من الأحاديث النبوية مفبركة ـ كاذبة ـ زورها على الرسول صلى الله عليه وسلم، فأنت تقول الحقيقة. وكما أن هناك أناسًا قد بالغوا في نسبة الأحاديث الكاذبة إلى الرسول، فهناك أناس ظلوا يتشددون في نسبتها إليه، حتى لم يبقَ صحيحًا لديهم إلا بضع مئات، فهل هذه مشكلة؟ نعم.. فلا تزال بعض الأحاديث المكذوبة لها بريق خاص.

ولذلك فهي شديدة الخطورة إذا صدقتها جماعات إسلامية وتمسكت بها، ودافعت عنها باللسان السليط والسلاح الحديد..

وقد تضررت الأستاذة «ميرفت تلاوي» الأمينة العامة للجنة الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة عندما تعرضت لمثل هذه الأحاديث.. ففي محاضرة لها عن أن الإسلام كان أسبق كل النظم الاجتماعية والأخلاقية والقانونية في إعطاء المرأة حقوقها، غضبت منها النساء العربيات. وكان ذلك في لقائها بمدينة جدة منذ شهرين. مع أنها لم تقل أكثر من أن الإسلام قد حافظ على حقوق المرأة وأعطاها الحق في الاحتفاظ بثروتها واسمها وأن تذهب إلى المحاكم وحدها.

وقالت إن بعض المتطرفين يكذبون على الله ويتقولون على الرسول عليه الصلاة والسلام ويسندون إليه أحاديث لم يقلها.. ومع ذلك فهذه الأحاديث تلقى صدى قويًا.. وهذه هي الخطورة.. لأنها

غلطة فادحة ينبغي ألا نسكت عليها.. ومع أن السيدة ميرفت لم تذكر الأحاديث المكذوبة، وإنما قالت إنه ليس من المنطق ولا من العقل أن نعتمد على هؤلاء الذين أفسدوا الدين وشوهوا الحقيقة.

ولكن مثقفات السعودية ثرن عليها، وقلن إنها استخفت بالدين وبالسلف الصالح. وأن وأن.. مع أنها فقط أشارت إلى ما نعرفه جميعًا! ولكن الجانب المشرق من صورة وسيرة المرأة المعاصرة أنها أقبلت على التعليم وأدركت حقوقها وانضمت إلى المنظمات الدولية التي تؤكد دورها وترفض التفرقة بينها وبين الرجل. ووجود السيدة ميرفت تلاوي على رأس منظمة رفيعة المستوى تأكيد لما بلغته المرأة من مكانة إلى جانب الرجل.. ومتقدمة عليه أيضًا!

سذاجة أن نصفه بأنه ساذج!

على أي أساس نقول: إن الرئيس بوش رجل ساذج. وإنه لا يفهم لا في السياسة ولا في الاقتصاد وإنه وإنه..

وكيف ارتضينا هذه المعلومات العجيبة والخاطئة؟ وكيف رتبنا عليها الاضطرابات في الشرق الأوسط والأقصى وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة؟ إننا لا نسأل أنفسنا عن صحة هذه المفهومات الخاطئة!

لا يمكن أن تختار أمريكا رجلاً بهذه المواصفات ليتحكم في حاضرها ومستقبلها إلا إذا كان الشعب الأمريكي كله من البلهاء. وإذا لم يختره كل الشعب، فقد اختاره أكثر من النصف ويستحيل أن يكونوا بهذه المواصفات.

ونفرض أنه ليس عبقريًا، فإنه ليس الحاكم المطلق، ويستحيل أن يكون مطلقًا؛ لأن حوله عددًا كبيرًا من الخبراء في كل فروع السياسة والاقتصاد والدين والفضاء. إنه مثل عقارب الساعة تتحرك رشيقة على أرضية لامعة باهرة. ولكنَّ تحت هذه الواجهة عددًا كبيرًا من التروس تدور ويتماسك بعضها في بعض من أجل أن تتحرك عقارب الثواني والدقائق والساعات والأيام وحركة القمر وحركة الكواكب الأخرى.

ففي أمريكا الحكومة الأمريكية والإدارة الأمريكية.. فالحكومة هي طاقم الوزراء الذين يختارهم الرئيس الديمقراطي أو الجمهوري..

أما الإدارة فهي (الثوابت) في سياسة الحكم في أمريكا. هذه الثوابت يرعاها ويحرص عليها كبار مستشاري الدولة.. وعندها يقف الرئيس ويضرب سلامًا!

ليس هذا فقط وإنما إذا أرادت الإدارة الأمريكية -مثلاً- وضع سياسة المياه في الشرق الأوسط فإنها تلجأ إلى إحدى مؤسسات البحث المتخصصة وتعرض عليها الأمر مقابل بضعة ملايين من الدولارات. وبعد فترة معينة تجيء الدراسة العلمية الدقيقة المحترمة. وأذكر أننا ونحن في طريقنا إلى أمريكا لتوقيع اتفاقية كامب دافيد أن طلب مني المشير الجمسي ونحن على سلم الطائرة أن ألفت نظر الرئيس السادات إلى (اتفاقية كامب دافيد) التي ترجمناها كاملة في مجلة (أكتوبر) ولم يكد الرئيس يراها حتى اندهش جدًا كيف أنهم طبعوها ووزعوها على المكتبات وكان يتصور أنها سر من الأسرار!!

هذه هي الشفافية والديمقراطية!

لا شماتة في الموت!

الأعمار بيد الله يا أبا عمار. ولا شماتة في الموت. فنحن في مصر لن ننسى لياسر عرفات أنه أذاع أغنية (افرح يا قلبي) في الضفة والقطاع عندما اغتيل الرئيس السادات، مع هتافات بسقوط الخائن العميل المجرم التصفوي الصهيوني أنور السادات!

وما فات مات، ومن مات فقد سدد ديونه. والضرب في الميت حرام. إن ياسر عرفات قد ترك الشعب الفلسطيني أمام اختيار عسير. أمام محنته. وهذه الفرصة يجب ألا تضيع. وعلى الشعب الفلسطيني أن يؤكد للعالم قدرته على الرأي الواحد والقيادة الواحدة لاستئناف الكفاح بشكل آخر. وقد اختلفنا في تفسير دور ياسر عرفات. هل كان عقبة في طريق السلام؟ هل كان وراء العنف؟ هل كان وراء تمزيق الصف الفلسطيني؟ هل كان يحكم الفصائل الفلسطينية بدفتر الشيكات؟ وهل كان رصيده عشرة أو عشرين مليارًا من الدولارات؟ وهل كانت باسمه أو باسم زوجته أو في حسابات سرية؟ ولم يعد الآن سرًّا كل ما لدى ياسر عرفات من أموال الشعب الفلسطيني.

إن الخطر الذي يهدد الشعب الفلسطيني قد تجدد بصورة مروعة.. فإذا اختلف الفلسطينيون على من يكون قائدهم، وإذا حولوا بنادقهم إلى أنفسهم وقامت حرب أهلية، فقد أعطوا لإسرائيل وأمريكا والعالم مبررًا قويًّا لوقف كل المفاوضات، لأنه لا يوجد شخص واحد يمكن التفاهم معه، وإنما كثيرون. فإذا طال انعدام هذا الشخص طوت

إسرائيل (خريطة الطريق).. فلا خريطة ولا طريق.. وإنما فوضى في فلسطين، وهي خطيرة على أمن إسرائيل.. ولابد من أن تتخذ الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والجامعة العربية قرارًا بشأن فلسطين.. وسوف تجد من يطرح ضرورة احتلال فلسطين أو فرض الوصاية عليها.

وحتى لا يحدث شيء من ذلك، فعلى الشعب الفلسطيني أن يختار قيادة رشيدة. وبسرعة، وإلا.. وبعد ذلك ألوف الاحتمالات السيئة التي تعود بنا إلى الوراء مائة سنة أخرى!

ســـؤال ممـــل!

سؤال غريب.. مـاذا عن الشرق الأوسط!

وهذا السؤال غريب لأنـه مكرر ومـع ذلك فنحن نصر على أن نردده ليلاً ونـهـارًا. ونعلم مقدمًا أنه ليس سؤالاً. ونعلم مقدمًا أنه بلا جواب.. فـالسؤال والإجابة ومحاولة الفهم قد انضمت كلها إلى سلسلة الفوازير الرمضانية مع فارق واحد هو أننا نعرف حل فوازير رمضان.. أما هذه الفوازير السياسية فهي معضلات ليس لها حل قريب، حتى الحل لم تتفق عليه كل الأطراف..

فمن أجل حل المشكلة الفلسطينية خلقت أمريكا المشكلة العراقية. ولم تكفها المشكلة العراقية فخلقت مشكلة دارفور.. وغدًا أزمة سوريا وبعد غد معضلة إيران.. ثم مأساة لبنان وسوريا وإيران..

وسؤال غريب آخر: مـاذا أحدثت أمريكا في العراق؟ إنها صورة أخرى لما وقع في الاتحاد السوفيتي الذي تفتت ويوجوسلافيا وتشكوسلوفاكيـا.. ففـي العراق كل أنـواع الشقـاق: المشاكل الدينية والمذهبيـة والعرقية والطبقيـة والعشائرية. وما قاله الشاعر القديم:

أرى خلل الرمـاد وميض نـار ويوشك أن يكون لـه ضرام

فقد ومضت النـار والرمـاد وانتفضت الفتنة من كل لون ونوع.. كل الفتن التي خلقها ستالين وتيتو وصدام.. وكما أن روسيا لن تعود

سوفيتية فكذلك يوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والعراق. سؤال: في أي شيء -إذن- نجحت أمريكا وحلفاؤها؟!

ليست الحرية ولا الديموقراطية وإنقاذ الضعيف من أنياب القوي. ولا تخليص العراق من سلاسل صدام حسين.. فصدام حسين ليس في أفغانستان ولا هو في الضفة والقطاع ولا في سوريا ولا إيران.. وإنما هي آبار البترول.. ولا شيء آخر غيرها.. بترول الخليج وبترول بحر قزوين ومرور أنابيب البترول إلى المحيط الهندي عبر أفغانستان والبحر الأبيض عبر إسرائيل.. ومرور البترول في دارفور إلى المحيط الأطلسي. ولذلك بقي السؤال غريبًا عجيبًا برغم تكراره وعدم جدواه، فليس على لساننا سواه اليوم وغدًا!

رمضان شهر الهروب!

صحيح ما الذي يجعل الناس هكذا يتلهفون على ملاحقة المسلسلات في رمضان؟ مع أن بعضها ينسيك البعض الآخر، ثم إن هناك ممثلين مشتركين في أكثر من مسلسل. لا أظن أن السبب هو الحرص على المسلسلات بما فيها من قضايا ومشكلات، فأكثر القضايا مكررة ومعروفة سلفًا. والناس غير حريصين على التبادل الأدبي أو الفني للقضية الواحدة في أكثر من مسلسل أو فيلم.

أضف إلى ذلك المسلسلات الإذاعية الإعلانية. وكثير من الصائمين ينقل عينيه من التليفزيون إلى أذنيه حتى لا تفوته سلسلة واحدة أو فزورة وهذا واضح في رمضان.

وشهر رمضان يختلف عن بقية شهور السنة، فالجوع والعطش وغياب الشاي والقهوة والسيجارة تجعل الوقت يمر ببطء شديد، ولا شيء يبتلع الوقت إلا المسلسلات، وليس من المنطق أن نقول: ولماذا لا يقرأ الناس كتابًا أو لا يتفرجون على شيء مفيد في القنوات الأجنبية التي لا علاقة لها بشهر رمضان؟ وما أكثر القنوات التاريخية والعلمية وما أبدع الرحلات والوثائق الحربية! ولكن الصائم لا يريد أن يفكر ويوجع دماغه وإذا أراد فإنه لا يستطيع. ولذلك كانت المسلسلات التقليدية هي الحل. وبذلك تتعاون كل وسائل التسلية على محو هذا الشهر من العين والأذن، حتى لا يشعر أحد بالملل أو التعب.. وهكذا نستطيع أن نجعل شهور السنة أحد عشر شهرًا

ـواحد منها فوازير ومسلسلات ومعلقات وإعلانات غنائية أو أغنيات إعلانية. المهم هو أن يمضي الوقت بأسرع ما يمكن وبأي ثمن!

وشهر رمضان هو أكبر دليل على أننا شعب هارب من حاضره ومن التفكير في مستقبله.. وذلك بالإغماء بعد الإفطار والاستسلام للميكروفون والشاشة تفعل به ما يشاء المؤلف والممثل والمخرج دون أن تحمر وجوهنا خجلاً!

سلامة مصر من الجراد!

الحمد لله على سلامة مصر من وباء الجراد -هناك أكثر من ألفي نوع من الجراد، فقد مرت فوقنا سحب الجراد ولم يهبط منها إلا بضع مئات الألوف وليست مئات الملايين.. ولا أحد يعرف كيف يمكن التنبؤ بدقة بقدوم سحب الجراد، فقد كان الخبراء يتوقعونه من الجنوب، فجاء من الغرب، ومن الممكن أن يعود إلينا من أي مكان، فقد دفعته الرياح إلينا، والجراد إحدى الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والزلازل والأوبئة، لا قدرة لنا على منعه، وإنما التخفيف من وقعه علينا، ونحن عندما نقاومه فإننا نقضي على البيض الذي تركه الجراد بسرعة فنطلق عليه الغازات السامة،أو الدخان أو نستدرجه إلى مسطحات مائية أو نحفر له في الأرض ليسقط فيها.. وهذا أقصى ما نستطيع، ولا لوم علينا.. فكما أننا لا نستطيع أن نحول العواصف إلى نسيم عليل، والزلازل إلى هدهدة، فكذلك الجراد والبعوض، إنهم اليوم في بلغاريا يصرخون من مئات ملايين الفئران التي انشقت عنها الأرض تحت ضغط المحاريث الحديثة.

وفي السويد تسحق الفئران المزارع في طريقها إلى الانتحار في بحر الشمال.. وكذلك العصافير التي تهاجم مملكة نيبال بالملايين كل سنة، ثم تلقي بنفسها في النيران التي أعدوها لذلك!

وقد وصل الجراد إلى الشواطئ البريطانية سنة 1869 وعندما عبر البحر الأحمر سنة 1889 كان يغطي مساحة ألفي ميل مربع، والجرادة

الواحدة البالغة: منشار حاد ومعدة متوحشة ثم رشاش للبيض الذي يفقس بسرعة، ويقفز على الأرض، ثم إلى الجو جاهزًا لسحق النباتات وأوراقها وأزهارها وثمارها.

وهناك من يأكل الجراد.. ويرى أنه ألطف وأنظف كثيرًا من الجمبري.. عندنا في الصحراء الغربية وفي شبه الجزيرة العربية أيضًا، ولكن ماذا تفعل كل الشعوب العربية إذا هبت علينا جيوش الجراد، بمئات الملايين دفعة واحدة.. الحمد لله على سلامة أرضنا الخضراء، فالله أعلم بحال الفلاح والاقتصاد المصري!

يــوم الجــراد السعيــد!

قضيت صباي في الخرطوم، وكان يوم السعد عندما تجتاحها السحابة السوداء الكثيفة من الجراد. توقد النيران، ويشوى الجراد، يمزج بالشطة الحريفة. ويعتبرونه غذاء وشفاء. وهناك كثير من الشعوب تأكله وتعتبره أشهى من (جراد البحر) الجمبري، وقد أشاد أطباء العصر الإسلامي بفوائد الجراد في الشفاء. وكانت الوصفات واحدة، أجمعوا عليها.. اقرأ ابن سينا (القانون) وأمير الصيدلة في عصره ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدويــة والأغذيـة) وداود الإنطاكي (التذكرة) وغيرهم العشرات..

وقد أجمعوا أنه إذا سحقت اثنتان من الجراد بعد نزع الأطراف ومزجها بدرهم من الآس (الريحان) نفعت في الاستسقاء (الماء الذي في البطن) وهو شائع لدينا نتيجة البلهارسيا والفيروسات الكبدية.. كما أنه نافع في عسر البول وتفتيت الحصى.. نافع للجذام وللبواسير طلاء.. ورماد أرجله نافع للثآليل والكلف..

وهذا العلاج بالحشرات موجود في الطب الصيني القديم وبدأوا استعماله في العصر الحديث. وعلى سبيل المثال: مسحوق دودة القز لعلاج مرض السكر وهو العلاج البديل، المنتشر في العالم.

د. هنري أمين عويض

عضو الجمعية الدولية لتاريخ الطب.

مستشار الجمعية العربية لتاريخ الصيدلة.

ومعروف أن الجراد طعام لذيذ عند أهل البادية -اعتادوا عليه ولو وجدوا الجمبري لعدلوا عن الجراد.. والطعام عادة.. وأذكر أنني كتبت عن (البيض الممشش) في الفلبين وكيف رائحته ولونه.. ولكن أحد أبناء الفلبين أشار إلى أن الفسيخ له رائحة أسوأ كثيرًا من رائحة البيض الفاسد!

وكان أصدقاؤنا الآسيويون يجمعون الكلاب الضالة من شوارعنا ويعالجونها ويسمنونها ويأكلونها.. وبرغم أنهم يؤدون لنا هذه الخدمة الجليلة، فقد تناولتهم الأقلام والكاريكاتير بالسخرية فامتنعوا. وعادت الكلاب الضالة إلى القاهرة والإسكندرية، ولما عرفت القاهرة الجوع من مئات السنين أكلت ما يدب في الأرض، فالجوع كافر!

وأذكر أن السيدة أمينة السعيد قد أتت معها بصندوق من المانجو هدية لصديقاتها من الأديبات السوريات في مؤتمر الأدباء في بلودان.. فوجدنا المانجو ملقاة إلى جوار الحائط، وقالوا: إن رائحتها كريهة!

بعد عرفات لا شيء!

لم تتغير كثيرًا معالم الهيئة الفلسطينية بعد عرفات:

فهناك من يقول: لا بديل عن القتال..

ومن يقول: الصلح خير، ولا بديل عن المفاوضات..

ومن يقول: بل عندنا طائرات آلية تضرب أعماق إسرائيل..

ومن يقول: إن إسرائيل تساعد كثيرًا جماعة حزب الله بالمبالغة في خطورة ضرباتها..

ومن حاول اغتيال أحد المرشحين للرياسة..

ثم إن رئيس وزراء لبنان يستنكر ضرب إسرائيل من الأراضي اللبنانية!

ولم تتفق جميع الفصائل إلا في مطلب واحد: سؤال الحكومة الفرنسية عن الأسباب التي أدت إلى وفاة ياسر عرفات. هل مات مسمومًا كما يقول الأطباء، وكما قال حاخام النمسا.. وهل السم وضعه زوار عرفات من كل الدول.. أم هم الخونة الذين حول عرفات، أي عملاء إسرائيل الذين يدلون طائراتها على بيوت وسيارات زعماء فلسطين؟

وشارون يطلب وقف (تسميم) الشعب الفلسطيني بالكراهية العنيفة ضد إسرائيل.. أو هل أصيب عرفات بمرض (...) مما جعله يصر على علاجه في فرنسا وليس في مصر أو تونس؟

أما الحكومة الفرنسية فقد سلمت أرملة عرفات الفرنسية الجنسية ملفًا كاملاً لتدهور صحة عرفات، وهي وحدها التي تعلن أو لا تعلن عن مرض زوجها، ومن المؤكد أنها لن تعلن!!

وكان رئيس وزراء فلسطين قد أمر بتشكيل وفد وزاري يرأسه د. أشرف كردي الطبيب الخاص لعرفات ليتسلموا الملف الطبي.

والذين يرجحون وفاة عرفات مسمومًا يقولون إن عددًا من قادة فلسطين قد ماتوا بالسم. وظهرت عليهم نفس الأعراض وانهاروا مثل عرفات. وآخرهم وديع حداد أحد مؤسسي الجبهة الشعبية.

ونحن نتمنى أن يجرب زعماء فلسطين وحدة القرار في أمور أكثر خطورة من أسباب وفاة عرفات، كأن يبحثوا لآخر مرة عن أسباب تدهور صحة القضية الفلسطينية، فقد نزفت الكثير من الدماء على الأرض.

والذي يحب الشعب الفلسطيني ويتمنى له أن يعيش كريمًا حرًّا هو الذي يطلب إليه أن يجرب إلقاء السلاح وأن يتفاوض.. وسوف ينتصر على فصائله وعلى العملاء الذين لا يريدون له السلام..

طريق المليون يبدأ بشجرة!

محافظ الدقهلية د. أحمد سعيد صوان قرر أن يزرع خمسة ملايين شجرة في كل مكان حتى يساعد على نقاء الجو وزيادة اللون الأخضر رمز الحياة والسلام. ونحن في حاجة إلى أن نضيف مساحات خضراء للنبات والحدائق، فقد زحفت البيوت على الأرض، والصحاري تهدد بالقضاء على الباقي.

وأذكر أنني سمعت من العالم المصري فاروق الباز أنه ذهب إلى الجزائر ليشهد أول شجرة من العشرين مليونًا التي سوف يزرعونها على سفوح الجبال.. وعندما ذهبنا إلى كوبا سنة 1964 اشتركت كل الوفود في زراعة شجرة رمز التضامن بين القارات –وكانت الأمطار غزيرة، ولكن كانت أيدينا متماسكة ونحن نغنى مع الرئيس كاسترو نشيد التضامن بين القارات..

وأهم من زراعة شجرة ألا نقطعها لأي سبب.. فمن المستحيل في الدول الأوروبية أن تقطع شجرة. حتى ولو كانت في حديقة بيتك. لا بد أن تحصل على إذن من الدولة ولا بد أن يكون لديك سبب وجيه لذلك، فإذا وافقوا فلا بد أن تزرع شجرة من نفس النوع في نفس المكان. وفي مدينة برن في جنيف يجعلونك تشاهد شجرة اخترقت الجدران على حريتها ولم يفكر أحد في قطعها!

ورأيت في الهند أن الأشجار لها أرقام وأن الأشجار عهدة. وبرغم كثرة الأشجار واتساع البلاد، فإن أحدًا لا يستطيع أن يقتل شجرة.

وقد رأيت في مستشفيات إسرائيل أسماء الناس الذين أهدوا السرير والمقعد والشباك والباب.. ورأيتهم يكتبون في الميادين: هذا الميدان رصفه فلان على نفقته.. وهذه اللوحات الزجاجية هدية من فلان أو شركة فلان..

وأنا أقترح على محافظ الدقهلية دكتور صوان أن يدعو الأثرياء إلى زراعة الشارع بأكمله أو ميدان أو حديقة وأن يضع اسمه عليها، وأنا أبادر باستعدادي لأن أغرس أشجارًا في أحد ميادين المنصورة على حسابي، وكذلك المهندس أحمد المسري سوف يزرع عشرة آلاف شجرة.

ومن الأحاديث النبوية البليغة حديث يقول: «إذا قامت القيامة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها» أي حتى إذا انتهت الحياة يجب أن نمد الحياة في شجرة!

ابـن بطوطــة أملــي!

يمكن أن تكون وزارة الثقافة المغربية قد نسيت أنه قد مرت سبعة قرون على ميلاد أشهر الرحالين العرب: ابن بطوطة، الذي قدم لنا رحلاته الشهيرة بعنوان (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).. وابن بطوطة هو محمد بن عبد الله ابن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله اللواتي الطنجي، الذي ولد في طنجة، ومن قبيلة اللواتي التي تمتد حتى برقة في ليبيا، وبدأ رحلته بالحج إلى مكة مارًّا بمصر لعبور البحر الأحمر إلى الحجاز، ولكنه لم يستطع فعاد إلى الشام وفلسطين ومن مكة اتجه إلى العراق وإيران، رحلة ورحلتين وثلاثًا، كلها بدأت سنة 1325 حتى بلغ تركيا وأوزبكستان ونهر الفولجا وبخارى وأفغانستان والهند، وعمل قاضيًا في دلهي..

وتوقف عند جزر (ذيبة المهل) المسماة الآن جزر (المالديف) وعمل قاضيًّا للقضاة سنتين، وعاد وسافر إلى إفريقيا جنوبًا وغربًا، ثم عاد إلى مراكش وأملى رحلاته على العالم محمد بن محمد بن جزي، فكتبها ابن جزي سنة 1356بأسلوبه، والأسلوب به كثير من العبارات العامية..

وكان من أحلامي أن أكون مثل ابن بطوطة، وكانت رحلتي حول العالم سنة 1959 في 228 يومًا.. لقد رأيت أكثر مما رأى، وعرفت القارات الخمس، أربعين...... خمسين مرة، وقد ذهبت إلى كثير من

الأماكن التي توقف عندها ابن بطوطة في شمالي وجنوبي قارة آسيا.. وفي جزيرة سيلان أو سرنديب أو سري لانكا وقفت عند جبل (قمة آدم) في طريقي إلى البيت الذي عاش فيه الزعيم عرابي باشا عشرين عامًا، ووجدت أن ابن بطوطة قد وصف هذا الجبل وصفًا دقيقًا، وقد نقل عن الفولكلور أن البحيرة فوق الجبل هي المكان الذي نزل فوقه أبونا آدم عندما خرج من الجنة، وأن قدم أبينا آدم في مساحة هذه البحيرة، أما القدم الثانية فكانت في مدينة عدن، والمسافة بين القدمين ألوف الأميال.

وقد روى ابن بطوطة الكثير من الخرافات التي توارثها الناس في دمياط والمنصورة، وسجلها دون مناقشة لها.. ولكن رغم هذه العيوب، فقد أشعلت رحلات ابن بطوطة خيالي ورحت أحلم وأتمنى، فكانت لي رحلات أطول وأكثر تنوعًا..

الفهـــــرس

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ
أنيس منصور

(أ) ترجمة ذاتية:

1 – في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.

2 – عاشوا في حياتي.

3 – إلا قليلاً.

4 – طلع البدر علينا.

5 – البقية في حياتي.

6 – نحن أولاد الغجر.

7 – من نفسي.

8 – حتى أنت يا أنا.

9 – أضواء وضوضاء.

10– كل شيء نسبي.

11– لأول مرة.

12– شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13– الحائط والدموع.

14– وجع في قلب إسرائيل.

15– الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).

16– عبد الناصر – المفترى عليه والمفتري علينا.

17– في السياسة (3 أجزاء).

18– الدين والديناميت.

19– لا حرب في أكتوبر ولا سلام.

20– السيدة الأولى.

21– التاريخ أنياب وأظافر.

22– الخالدون مائة – أعظمهم محمد (ﷺ).

23– على رقاب العباد.

24– ديانات أخرى.

25– وكانت الصحة هي الثمن.

26– الغرباء.

27– الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28– عزيزي فلان.

29– هي وغيرها.

30– بقايا كل شيء.

31– يا من كنت حبيبي.

32– قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسري فريدريش ديرنمات:

33– رومولوس العظيم.

34– زيارة السيدة العجوز.

35– زواج السيد مسيسبي.

36– الشهاب.

37- هي وعشاقها.

** للأديب السويسري ماكس فريش:

38- أمير الأراضي البور.

39- مشعلو النيران.

** للأديب الفرنسي جان جيرودو:

40- من أجل سواد عينيها.

** للأديب الأمريكي آرثر ميللر:

41- بعد السقوط.

** للأديب الأمريكي تنسي وليامز:

42- فوق الكهف.

** للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

43- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسي يوجين ليونسكو:

44- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف:

45- الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

46- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47- الحنان أقوى.

48- من أول نظرة.

49- طريق العذاب.

50- ألوان من الحب.

51- شباب.. شباب.

52- مذكرات شاب غاضب.

53- مذكرات شابة غاضبة.

54- جسمك لا يكذب.

55- الذين هاجروا.

56- غرباء في كل عصر.

57- أظافرها الطويلة.

58- هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.

60- الحب الذي بيننا.

61- عذاب كل يوم.

62- كيمياء الفضيحة.

63- كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.

65- الذين عادوا إلى السماء.

66- القوى الخفية.

67- أرواح وأشباح.

68- لعنة الفراعنة.

69- وكانت الصحة هي الثمن.

(ز) نقد أدبي:

70- يسقط الحائط الرابع.

71- وداعًا أيها الملل.

72- كرسي على الشمال.

73- ساعات بلا عقارب.

74- مع الآخرين.

75- شيء من الفكر.

76– لو كنت أيوب.

77– يعيش.. يعيش.

78– الوجودية.

79– طريق العذاب.

80– وحدي.. مع الآخرين.

81– ما لا تعلمون.

82– لحظات مسروقة.

83– كتّاب عن كتب.

84– أنتم الناس أيها الشعراء.

85– أيها الموت.. لحظة من فضلك.

86– أوراق على شجر.

87– في تلك السنة.

88– دراسات في الأدب الأمريكي.

89– دراسات في الأدب الألماني.

90– دراسات في الأدب الإيطالي.

91– فلاسفة وجوديون.

92– فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

93– حول العالم في 200 يوم.

94– بلاد الله خلق الله.

95– غريب في بلاد غريبة.

96– اليمن ذلك المجهول.

97– أنت في اليابان وبلاد أخرى.

98– أطيب تحياتي من موسكو.

99– أعجب الرحلات في التاريخ.

100– ماذا يريد الشباب؟

101– الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

102– مدرسة الحب.

103– حلمك يا شيخ علام.

104– مين قتل مين؟

105– جمعية كل واشكر.

106– الأحياء المجاورة.

107– سلطان زمانه.

108– العبقري.

109– كلام لك يا جارة.

110– فوق الركبة.

111– هذه الصغيرة (وقصص أخرى).

112– يوم بيوم.

113– إنها الأشياء الصغيرة.

114– إلا فاطمة.

115– القلب أبدًا يدق.

(ي) المسلسلات التليفزيونية:

116– حقنة بينج.

117– اتنين.. اتنين.

118– عريس فاطمة.

119– من الذي لا يحب فاطمة؟

120– غاضبون وغاضبات.

121– هي وغيرها.

122– هي وعشاقها.

123– العبقري.

124– القلب أبدًا يدق.

125– يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

126– ثم ضاع الطريق.

127– النجوم تولد وتموت.

128– هناك أمل.

129– أحب وأكره.

130– الحيوانات ألطف كثيرًا.

131– مصباح لكل إنسان.

132– أتمنى لك.

133– لعل الموت ينسانا.

134– اقرأ أي شيء.

135– ولكني أتأمل.

136– حتى تعرف نفسك.

137– الحب والفلوس والموت.. وأنا.

138– نحن كذلك !!

139– اللهم إني سائح.

140– كائنات فوق.

141– تعال نفكر معًا.

142– آه لو رأيت !

143– النار على الحدود: لعبة كل العصور.

144– انتهى زمن الفرص الضائعة !

145– هناك فرق.

146– الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا – الجزءان الأول والثاني.

147– يا نور النبي.

148– وأنت ما رأيك؟

149– حضارة الإوز والبقر.

150– حلمنا الجميل.

151– ضاع الجيل ضاع.

152– قالوا (الجزءان الأول والثاني).

153– وآخرتها.

154– من أول السطر.

155– أظافرها الطويلة.

156– القلب لا يمتلئ بالذهب.

157– تكلم حتى أراك.

158– الذي خرج ولم يعد.

159– ليلة في بطن الحوت.

160– والله زمان يا حب.

161– أجيال من بعدنا.

162– قلبك يوجعني.

(ل) الترجمات القصصية:

163– رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.

164– (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.

165– (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.

166– (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.

167– (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.

168 – (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

169 – الفلسفة الوجودية الألمانية ـ لإميل تسلر.

170 – الفلسفة الوجودية الفرنسية – لجان جاك رسو.

171 – معنى العدم عند هيدجر وسارتر – لجانيت أردمان.

172 – مسرح العبث الفرنسي – لإتيان ماريبو.

173 – الفيلسوف الروسي برديائف – لفيكتور لوزتسيف.

174 – من كيركجور إلى مارسيل – لأنطوان بابيف.

175 – سيمون دبوفوار تلميذة رصينة – لفرنسواز روسلان.

176 – رسائلها إليه – لفرنسواز روسلان.

177 – فاشلون لكن نبلاء – لجان ماري روار.

178 – ما الميتافيزيقا؟ – لمارتن هيدجر.

179 – الوجودية فلسفة إنسانية – لجان بول سارتر.

180 – فلسفة حنا أرنت – تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر – لآدم برجشتاين.

181 – كروتشه فيلسوف الحرية – لإيرابيلا دلورنتس.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

أكثر من رأي

في التعبيرات الشائعة عبارة تقول: فَتَّح مُخك! ومعناها: فكر.. انظر إلى المعلومات الجديدة ليكون أفقك واسعًا، ويبدو أن أحدًا لا يفتح مخه، وإنما لا بد أن يدق باب المخ أحد أو شيء..

فالتفاح يتساقط من الشجر من ملايين السنين ولكن عندما سقطت تفاحة على رأس العبقري نيوتن بدأ يفكر..

والماء يغلي في الإناء من ألوف السنين، ولكن مهندسًا بريطانيًا هو الذي اكتشف أن الماء الذي يغلي يمكن أن يكون قوة دافعة لعجلات القطار..

وفيلسوف الحضارة الألماني اشبنجلر رأى أن اكتشاف الإنسان للنار هو أعظم اكتشافات العصور القديمة.. كلها أحداث صغيرة أدت إلى تغيير كبير وكلها صدمات أدت إلى تفتيح المخ واضاءة الطريق.

أنيس منصور







www.nahdetmisr.com